

# محاضرات فى اصلاح الفرد والمجتمع

محمد الغزالى

[www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)

تصدير بقلم الدكتور / عبد الستار فتح الله سعيد الأستاذ بكلية أصول الدين

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد... فقد تعهد الله تعالى بحفظ كتابه ودينه، وصار ذلك قدرا مقدورا، وقضاء مبرما ماضيا في الأحياء والأشياء لا يزيده من الليالي والأيام إلا ثباتا وتحقيقا، وقد هيأ الله عز وجل لذلك أسبابا منها:

-1

"القيمة الذاتية" لكتابه ودينه، لاشتمالها على موافقة الفطرة ومطابقة الحق والإبتناء على الحكمة والعدل والإحسان، وإلى ذلك يشير قوله تعالى : وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم

2-

"الرجال الكبار" الذين حملوا هذا الدين وتعاقبوا على تجلية حقائقه في كل العصور، وكشف ما تراكم عليها من غبار حتى تعود في كل جيل بيضاء للناظرين.

ولقد امتاز تاريخ الإسلام بهذه الكثرة الكاثرة من الدعاة والمجددين الذين يحرسون أصوله وينفون عنه التحريف والتزييف، ويتجلى لنا هذا الفضل الإلهي حين نقارن ذلك بما وقع لأهل الكتاب قبلنا، فقد تمر قرون ولا يظفرون بمصلح يجدد لهم أمر الدين، فيتأصل الانحراف بمرور السنين، ويغدو من المستحيل أن يقبل الناس المراجعة والتصحيح فضلا عن أن يرجعوا إلى المسار الصحيح !!

وتاريخ بني إسرائيل أبلغ شاهد على هذا، فقد ضلوا بعد انقطاع النبوة فيهم حين كفروا بعيسى عليه السلام، وحرفوا التوراة، واخترعوا "التلمود"، وصارت بينهم وبين الوحي الإلهي فجوة هائلة لا سبيل إلى إصلاحها!! وحين قامت حركات "الإصلاح الديني" في أوروبا على يد "مارتن لوثر" وأمثاله لم تقترب من الأصول المحرفة في النصرانية كالثلث

والصلب والفداء، لأنها كانت قد رسخت منذ قرون بعيدة، لذلك دارت محاولات الإصلاح حول بعض الوسائل والفروع!! ..

أما الإسلام العظيم فقد ظلت أصوله وفروعه على غاية السلامة والاستقامة رغم أن المسلمين قد فرطوا في التطبيق واجتاحت الكفار بلادهم ، وأسقطوا دولتهم ، وأوقعوا خللا هائلا في عقائد المسلمين وأخلاقهم!!

ولقد هب رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يقارعون الطوفان الغازي ، ويذودون عن دينهم العظيم ، وينازلون الضلالات والشبهات الوافدة حتى ردوها على أعقابها ،

وخرج الإسلام من غبار المحنـة أـنـصـع وأـجـلـى ، وبـذـلـك حـفـظـالـلـهـ تـعـالـيـ دـيـنـهـ وـكـتـابـهـ ، وـتـأـكـدـ الـوعـيـ الـحـقـ أـمـاـمـ النـاسـ كـشـائـنـهـ فـيـ كـلـ جـيلـ إـلـىـ الـدـرـجـةـ الـتـيـ أـدـهـشـتـ الغـرـاـةـ أـنـفـسـهـمـ ، فـكـانـ كـبـارـ الـمـفـكـرـيـنـ وـالـعـلـمـاءـ مـنـهـمـ يـدـخـلـوـنـ فـيـ دـيـنـ اللـهـ تـعـالـيـ رـغـمـ سـقـوـطـ دـوـلـتـهـ وـأـمـتـهـ !! وـلـاـ يـنـسـىـ تـارـيـخـ الـإـسـلـامـ مـاـ قـامـ بـهـ الـأـئـمـةـ الـأـعـلـامـ مـنـ جـهـادـ نـاصـبـ لـرـدـ الـغـارـةـ الـجـاهـلـيـةـ الـعـارـمـةـ وـحـشـدـ الـأـمـةـ حـوـلـ مـعـالـمـ الـإـسـلـامـ الشـامـلـ الـذـيـ لـاـ يـقـبـلـ التـجـزـئـةـ وـالـتـفـرـيقـ .ـ وـعـلـيـ سـبـيلـ الـمـثـالـ لـاـ الحـصـرـ :ـ كـانـ الشـيـخـ عـبـدـ الـحـمـيدـ بـنـ بـادـيـسـ وـجـمـعـيـةـ عـلـمـاءـ الـجـزاـئـرـ يـقـومـونـ بـهـذـاـ الـجـهـادـ الـمـضـنـيـ فـيـ "ـغـرـبـ"ـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـيـ .ـ وـكـانـ شـاعـرـ الـإـسـلـامـ مـحـمـدـ إـقـبـالـ وـعـلـمـاءـ الـهـنـدـ الـكـبـارـ يـقـومـونـ بـهـذـاـ فـيـ "ـشـرـقـ"ـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـيـ .ـ ثـمـ فـيـ "ـقـلـبـ"ـ هـذـهـ الـأـمـةـ قـامـتـ أـفـوـاجـ مـتـلـاـحـقـةـ تـزـوـدـ عـنـ مـعـالـمـ الـوـحـيـ وـالـحـقـ كـالـشـيـخـ مـحـمـدـ عـبـدـهـ ،ـ وـرـشـيـدـ رـضاـ ،ـ وـمـحـبـ الـدـيـنـ الـخـطـيـبـ ،ـ وـشـيـخـ الـإـسـلـامـ مـصـطـفـيـ صـبـرـيـ "ـالـمـهـاجـرـ مـنـ تـرـكـيـاـ إـلـىـ مـصـرـ فـرـارـاـ بـدـيـنـهـ"ـ ،ـ وـالـشـيـخـ حـسـنـ الـبـنـاـ ،ـ وـغـيـرـهـمـ كـثـيرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ أـجـمـعـيـنـ .ـ وـفـيـ ظـلـالـ هـذـهـ الـمـدـرـسـةـ الـرـيـانـيـةـ الـمـجـاهـدـةـ تـرـبـيـ شـيـخـنـاـ مـحـمـدـ الـغـزـالـىـ ،ـ وـحـمـلـ أـعـبـاءـ الـدـعـوـةـ مـعـ رـجـالـهـ الـكـبـارـ ،ـ ثـمـ صـارـ بـفـضـلـ اللـهـ عـلـمـاـ مـنـ أـعـلـامـهـ ،ـ وـمـضـيـ يـرـفـعـ لـوـائـهـ شـامـخـاـ فـيـ وـجـهـ الـاسـتـبـدـادـ وـالـإـلـحـادـ ،ـ وـيـزـوـدـ عـنـ شـرـفـ الـإـسـلـامـ بـقـلـمـهـ وـلـسـانـهـ ،ـ وـيـجـلـيـ حـقـائـقـ الـوـحـيـ الـأـعـلـىـ ،ـ وـيـقـارـعـ الـجـاهـلـيـةـ الـطـامـسـةـ يـوـمـ ضـرـبـ الـطـغـيـانـ فـيـ أـمـتـنـاـ لـيـلـاـ بـهـيـمـاـ ،ـ وـحـينـ طـنـ عـمـيـانـ الـإـلـحـادـ أـنـ جـذـوـةـ الـإـسـلـامـ قـدـ خـبـتـ إـلـىـ الـأـبـدـ عـلـيـ يـدـ الـطـاغـيـةـ الـغـشـوـمـ ،ـ اـنـطـلـقـ صـوتـ

الداعي عالياً مجلجلاً بكلمات لا تتعالى ، فأنبت الله بها نبتاً جديداً رشيداً ، وهو الذي ينطلق الآن بقافلة الإسلام على الطريق الوعر ، وستنكشف بِإِذْنِ اللهِ على أصواءٍ تكبّرُهُ ظلمات المادية والإلحاد .

وهنا عبرة عظيمة للدعاة :  
فالكلمة الصادقة المخلصة لها أكبر الخطر والأثر حين تنطلق ممزوجة بذوب النفس ، وعصارة الفكر ، ونبض القلب ، وإخلاص الوجهة والقصد ، ولذلك تسرى فيها روح تحيي الموات ، وأنوار تصئي الظلمات ، ويكون لها صولة تعصف بالزيف والدجل ، ووهج هائل يحرق الباطل الكاذب !!

وهذا فارق بين كلام مثقل بهموم أمته ودينه ، وكلام بارد الأنفاس يتطاير في الهواء ،  
ويتلاشى في الفضاء كطين أجنحة الذباب !!

لقد كنت شديد الإعجاب والسرور بذلك الجهد المشكور الذي قام به أخونا الشيخ قطب عبد الحميد ، حين تتبع " خطب " الشيخ الغزالي واستخرجها من بطون الأشرطة المتناثرة ، وجمعها لنا في كتب مقروءة ولقد كانت كنوزاً مطوية مخبأة ، لا تصل إليها أيدي أكثر الناس ، فقربها للجميع ، وكان بذلك كالصائغ الماهر الذي يجمع اللؤلؤ المنتشر ، أو ينظم الدر المكنون ليكون قلادة نفسية مباركة تعتز بها الدعوة الإسلامية المعاصرة ، ولتكون نبراساً في أيدي الدعاة ، وزاد روحياً لأجيالنا الإسلامية في صراعها الممرين مع أعداء الحق والإسلام !!

ولقد ازدت سرورا حين جاءني أخونا الشيخ قطب بخطوته الجديدة وهي : جمع "محاضرات" الشيخ محمد الغزالى المتناثرة في أرجاء العالم الإسلامي والتي تعطي بعدها عمقا دينيا وثقافيا جليلا ربما فاق غيره من فنون الدعوة والخطابة . ذلك لأن خطيب الجمعة يراعي أن يخاطب جمهورا متفاوت العلم والثقافة ، فيلجا إلى شئ من البساط والتقرير مع المحافظة على جمال العرض ، وجلال اللفظ ، وسمو الغرض والموضوع ، وملاحظة الوقت ، وهذه مهمة شاقة لا يستطيعها إلا أخذ الدعاة !! أما المحاضرات فجمهور أكثر تجانسا وتقاربا في ثقافته ، وأقدر على تلقي المعاني العلمية والفكرية الدقيقة ، وربما يكون الوقت فيها أوسع ، ولذلك تأخذ شكلًا أعمق في النظر والفكر والتقسيم والترتيب والتأصيل والاستدلال والموازنة والرد على الشبهات ونحو ذلك. وفي الحالين كان للشيخ الغزالى ملكرة مشهورة يملك بها ناصية الموقف ، وينزل المقام على ما يناسب المقام ، وما البلاغة في ذرотها إلا مراعاة مقتضى الحال . وبهذه الخطوة الجديدة يكتمل لنا من آثار شيخنا الغزالى ما لم يكتمل لغيره من الدعاة ، وهذا فضل الله يؤتى من يشاء ، وهي بإيجاز : الكتب المطبوعة الذائعة والتي غطت معظم جوانب المعرفة الإسلامية . المقالات المنشورة في الصحف والمجلات على مدار أربعين سنة تقريبا في أنحاء العالم الإسلامي ، وهذه تحتاج إلى أن تجمع في كتب أيضا ، وعسى أن ينشط لها أخونا الشيخ قطب بإذن الله . 3- الخطب المنبرية " وقد صدر منها جزءان " . 4- المحاضرات والندوات ، وباكورتها في هذا الكتاب . ونسأل الله أن يوفق أخونا الشيخ قطب لإتمام ما بدأ وأن يجزيه بذلك خيرا كثيرا . وقد يكفي للتدليل على عظمة هذا العمل أن نتذكر آثار الدعاة المعاصرين من الخطب والمحاضرات والندوات والأحاديث ، وكيف تفرقت حتى صارت في حكم المفقود مع الأسف الشديد !! وإذا كان الشيخ أحمد عيسى عاشور - بارك الله في عمله وجهاده - له فضل السبق والريادة في جمع كثير من آثار الشيخ الإمام حسن البنا في وقت لم تكن قد شاعت فيه أجهزة التسجيل فأين بقية آثاره وقد قضى حياته داعيا مرشدًا رحمة الله ؟! وأين آثار الأستاذ سيد قطب ، والأستاذ عبد القادر عودة ، والشيخ محمد فرغلى ، والشيخ أحمد شريت ، وغيرهم من شهداء الدعوة وأئمتها رضي الله عنهم وقبل جهادهم أجمعين ؟! ولعل

هذه مناسبة طيبة ننتهزها لدعوة طلاب العلم أن ينشطوا في هذا الجانب ، وأن يجمعوا آثار الدعاة المجاهدين

فإن في ذلك خيراً كبيراً للدعوة وللشباب الإسلامي في كل مكان . وإننا لنرجو أيضاً كل من لديه شئ من آثار هؤلاء المجاهدين الراحلين أن يسعى إلى نشره وإذاعته وفاءً وثواباً وخدمةً للإسلام ، ووصلًا لحاضر الدعوة المعاصرة ب الماضيها القريب ، والذكى تنفع المؤمنين . وفقنا الله جمِيعاً لخَيْرِ مَا يُحِبُّهُ وَيُرِضُّهُ ، والحمد لله رب العالمين . كتبه الفقير إلى عفو الله تعالى عبد الستار فتح الله سعيد القاهرة في شعبان 1409 هـ مارس 1989 م

## مقدمة

الحمد لله والصلوة والسلام على من لا نبي بعده.  
أما بعد

فهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم هو مجموع محاضرات ألقاها في أمكنته مختلفة.

وجميع هذه المحاضرات تتسم بالقوة والوضوح ، والصراحة الواقعية ، وتحدث عن واقع العالم الإسلامي وأزمة المسلمين الحقيقية ، وتصارح بالداء والدواء ، وتكشف عن الأصدقاء والأعداء..

ـ ولا ينبعك مثل خبيرـ

وهذه الحقائق التي يبعترها شيخنا الغزالى على الطريق تلفت النظر ، وتدق ناقوس الخطر

..

ـ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينةـ

وفي هذا الكتاب أحداث وتجارب ، وأحكام وحقائق ، ووصايا اقتراحات ، يسوقها شيخنا الغزالى بأسلوبه الفذ الذى يجمع بين التحليل الفكري الهدى الدقيق ، والغرض الأدبي الحار الرشيق !!

وفضيلة الإمام الغزالى غنى عن التعريف فهو بالنسبة إلى قراء العربية بمثابة الذهب في عالم المعادن لا يكاد يجهله أحد !! إنه صوت لإسلام الصافى الفذ الحنون الذى يعرف كيف يحرق الأفئدة ويضيئها في الوقت نفسه !! إنه المحب العاشق الذى ترى في عينيه بريق الحب ، وتقراً في وجهه نور الإيمان ، وتحس في كلماته حرارة تنفذ إلى قراره النفوس كما ينفذ البرق في الأسلاك !! ويكفيه شرفاً أن تقر له الدعوة الإسلامية بالجهاد المتواصل في سبيلها طول نصف قرن في حياته المجيدة المديدة إن شاء الله . فمنذ نصف قرن وهو يجاهد في سبيل الله بالكلمة الرائدة ، والفكرة الراسخة ، حتى أصبح بحق معلماً من معالم الدعوة الإسلامية في هذا العصر ، وحتى أصبحت كتبه ومؤلفاته تحتل جانباً هاماً وكبيراً من مكتبه الدعوة الإسلامية . فجزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .. آمين . وختاماً فإنني أشكر الله أن وفقني لجمع هذه المحاضرات وإعدادها ليعلم نفعها ويظهر نورها . وأسال الله جلت قدرته أن ينفع بها جماهير المسلمين ، وأن يجعلها لنا ولشيخنا وسيلة يوم الدين .. ` يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ` وصلي الله على سيدنا محمد وآلـه . قطب عبد الحميد قطب

الشيخ محمد الغزالى السقا بقلم الأستاذ الكبير محمد المجدوب لقد اشتهر في الأوساط الإسلامية بقلب الغزالى ، ويفسر لنا سبب هذا اللقب بأن والده كان شديد الإعجاب بالإمام أبي حامد الغزالى مؤلف `الإحياء` متأثراً بنزعته الصوفية ، وأن هذا تراءى له ذات ليلة فأخبره أنه سيتزوج وينجب غلاماً ، ويشير عليه بأن يسميه الغزالى ! . ولد في 22 / 9 / 1917 للميلاد في قرية `تكلا العنب` من `إيتاى البارود` من أعمال البحيرة ، وقد سبق لهذا البلد أن أنجب العديد من كبار أهل الأدب والعلم ، الذين خلفوا شهرة واسعة في مصر والعالم الإسلامي ، منهم الشاعر المجدد محمود سامي البارودى ، ثم منشئ

كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث الإمام الشهيد حسن البنا . وقد قدم هذا الإقليم كذلك ثلاثة من أئمة الأزهر هم : الشيخ سليم البشري ، والشيخ إبراهيم حمروش ، والشيخ محمود شلتوت . الأسرة والدراسة : أما أسرته فيغلب عليها العمل بالتجارة ، وكان والده من حفظة القرآن ، يتعهده بالتلاوة المثبتة ، وقد نشأ ولده على ذلك ، إذ دخله كتاب القرية ليتعلم الخط والحساب ، وليحفظ القرآن ، فكان يحفظ حصته المقررة على الشيخ ويضيف إليها حصة أخرى على والده ، فما إن بلغ العاشرة حتى كان قد حفظة كله . ويقول فضيلة الشيخ : إن حفظ القرآن والتنافس في دراسة العلوم الإسلامية كان أثناءه من طوابع هذه البيئة ، ولابد أن يكون لهذا أثره العميق في تركيبة النفسي والعقلي ، ولا يستبعد أن يكون كذلك من الحوافز الاباعثة على الطموح إلى مثل المكانة التي سبق إليها أولئك المقدمون . في الأزهر : ومن كتاب القرية إلى المعهد الديني المخصص لمحافظة البحيرة في الإسكندرية ، حيث قضي سنواته الأربع في دراسة المرحلة الابتدائية ذات المقررات القوية ، ومن ثم واصل دراسته حتى نال الكفاءة بعد ثلاث سنوات ثم الشهادة الثانوية بعد سنتين . ومن هناك انتقل إلى القاهرة ليبدأ دراسته الجامعية في كلية أصول الدين ، وبعد أربع سنوات نال شهادتها العالية ، ليتحول إلى التخصص في الدعوة والإرشاد ، وقد نال إجازته - الماجستير بلغة اليوم - بعد تمام السنتين.

موحيات لا تنسى:

ويسمى فضيلته من مشايخه الأكبر تأثيرا في نفسه أثناء الدراسة: الشيخ محمد عبد العزيز بلال ، والشيخ إبراهيم الغرياوي ، والشيخ محمد الريان .. ويعلل ذلك التأثير بما تميز به هؤلاء - ومن في طبقتهم أيامئذ - من السلوك العالي ، والإخلاص الذي يريرهم العلم والتعليم وسليتهم المفضلة إلى مرضاه الله ، وبذلك كانوا المعلمين والأسوة في آن واحد.

ومن أمثلة ذلك التي لا ينساها ما يرويه من أن شيخه الريان قد كلفه ذات يوم إعراب الجملة التالية : `عبدت الله` ، وعلى دأب ذلك الجيل الملزوم أحباب أن اسم الجلالة منصوب على العظيم ، فما تمالك الشيخ أن بكى .. وحق لإنسان مشغول القلب بحب الله أن يبكي وهو يستمع إلى ذكر مولاه معظما على لسان تلميذه. ولا جرم أن مجرد اختران الشيخ لهذه الذكرى منذ ذلك العهد إنما يصور مدى تأثيره بموحيات ذلك الجو المتوجج بالإشراق. ولعلي لا أذيع سرا إذا قلت أن عارفي الشيخ الغزالى يحسون استغراقه في تلك الخاصة ، ولا سيما حين ينطلق على سجيته في كلام عن الله جل وعلا ، وعن رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، حتى ليفضحه الدموع فلا يستطيع له ردًا.

مع الإمام البنا:

وتحدث فضيلته عن لقائه بالإمام حسن البنا لأول مرة ، وذلك أثناء دراسته الثانوية بالإسكندرية ، وكان من عاداته ليزوم مسجد عبد الرحمن بن هرمز في منطقة رأس التين بعد المغرب من كل يوم حيث يقوم بمذاكرة دروسه .. وذات مساء - يقول - ينهض شاب لا يعرفه ليلقي على الناس موعظة قصيرة شرحا للحديث الشريف:

ـ أتق الله حيثما

كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخلق الناس بخلق حسن . وكان حديثا مؤثرا يتصل بأعمق القلب ، فما إن فرغ منه حتى وجدت نفسي مشدود القلب إليه . ومنذ تلك الساعة توثقت علاقتي به ، ومضيت معه عقب صلاة العشاء إلى مجلس يضم بعض رجال الدعوة ، ثم استمر عملي في ميدان الكفاح الإسلامي مع هذا الداعية العملاق إلى أن استشهد سنة 1948 م . ويعلل فضيلته تأثير إمامه الشهيد بقدرته على معالجة الواقع الحية بالحقائق الإسلامية ، ويدعوه أنه يريد بهذا التعبير المكثف الإشارة إلى استيعابه لمشاكل عصره ، وإدراكه الدقيق لموقف الإسلام بازاء كل منها ، ومن هنا كان له ذلك الامتياز العجيب الذي يستقطب حوله الرجال ، ويجعل لكلمته فاعليتها الساحرة في القلوب . العلوم التي يؤثر : والمطالع لآثار الشيخ الغزالى ، مؤلفات ومقالات ومحاضرات وأحاديث ، يستشعر بقوه سعة الأفق ، الذي يطل به على مختلف فروع العلم .. وأول ما يطالعه من خلالها جميا تلك الموهبة الفنية التي تفرغ على تعابيره ألق البيان العفوى الجميل . فالقارئ المتذوق لهذا الضرب من البلاغة لا يسعه أن يمر بكتاباته دون أن يتوقف بين الحين والآخر ليمتع وجданه بتلك الصياغة الموفقة . وطبعي أن يكون لهذه الأساليب الجذابة

أثرها في تثبيت الفكرة التي يعالجها . وقد أجمع علماء البلاغة ، منذ الجرجاني والجاحظ ، على أن سر الجمال في كل نص ممتاز عائد بالدرجة الأولى إلى صياغته المحكمة ، وهكذا يتعاون الشكل الباهر مع المضمون القاهر في أدب الشيخ ، فيجعل له ذلك القبول في القلوب والعقول. ولهذا لم نفاجأ بجوابه عند استطلاعنا إياه عن أحب العلوم إليه ، إذ بدأ بذكر الأدب أولا . والأدب عند الشيخ - كما نفهمه من خلال آثاره - ليس ذلك الذي يقوم على الدراسات المجردة ، بل هو كل عمل فني تتوافر فيه عناصر الجمال ، وتفاعل به المشاعر على الصورة التي يسميها العرب بالسحر الحلال . وأحسبني قد أشرت فيما أسلفت من الترجم إلى قيمة هذا التفاعل الوجداني في تذوق الجملة القرآنية ، وقد دعى اعتبار العالم المفسر الأديب أبو حيان تعاطي الشعر ، والقدرة على تذوقه من الأسباب المساعدة على فهم القرآن والنفاد إلى إعجازه البلاغي . ولعل من أبرز الملامح الدالة على خصائص المترجم الأدبية تلك الشواهد الرائقة من الشعر ، التي تستجيب له في عفوية بالغة ، لتحول من كلامه في المواضع المناسبة كتناسب العضو الحي في مكانه من الجسد الحي . والشيخ الصديق يعتبر الأدب - من أجل ذلك - هو الوسيلة المحققة في الإنسان خاصته الأولى التي أكرمه بها الخالق حين " علمه البيان " . ويليه الأدب في إشارته " الدراسات النفسية " وهي التي يعني بها أصحاب القلوب من الأئمة الذين جمعوا بين العلم والعبادة والزهد ، وخلفوا من ذلك كله تراثا للأجيال ، لا يستغني عنه في معرفة النفس البشرية وما انطوت عليه من الأسرار العجيبة ، وما يعторها من الأمراض والأعراض . ويشير من ذلك التراث إلى بعض المؤلفات المميزة مثل ` صيد الخاطر ' للإمام ابن الجوزي ، و ` مدارج السالكين ' ..

للإمام ابن القيم ، وـ إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ، بعد تجريدة من الأخبار الضعيفة والشواذ الأخرى . ويرى أن ثمة خاصة مشتركة بين الإمامين الغزالى وحسن البناء ، تتجلى في قدرة كل منهما على هضم العلوم والخبرات ، وتحويلها جمیعا في منهجهما العقلی إلى تيار فكري يعمل عمله في العقول والقلوب بمنتهى اللطف والسهولة ، كمثل النحلة تمتضض ربوب الأزاهير فتستخلص منها الرحيق الذي فيه شفاء للناس . وبالنسبة إلى صلته بأفكار الإمام الغزالى بخاصة ، يقص علينا فضيلته ذلك الخبر الطريف التالي : يقول : أثناء عمله في كلية الدراسات العربية والإسلامية بالجامع الأزهر عهد إليه بتدريس كتاب ميزان العلوم لذلك الإمام .. ولكنه سرعان ما صاق به صدرا .. وقدم تقريرا عن المسئولين عن الكلية يبين فيه مآخذه عليه ، ويقترح رفعه وإحلال مدارج السالكين .. لابن القيم مكانه .. علي أن ما إن فعل ذلك حتى ساوره بعض القلق إذ جعل يتتساءل : أليس من المفارقات الغريبة أن يحمل اسمه . وهو الذي ترإى لأبيه يشير به عليه . ثم يعم الآن إلى هذا الموقف من كتابه ؟ .. بيد أن تصرفه هذا لم يصرفه عن تقريره الذي لم يكتبه إلا إيثارا للتي هي أحسن . في غمرة الصراع : وعن أهم الأحداث تأثیرا في تكوينه الفكري والروحي يرددنا فضيلته إلى خصائص تلك الفترة التي عاشها منذ التحق بالقسم الثانوي ، والتي شحنت بالتيارات المتصارعة في كل جانب من حياة مصر والشرق العربي ، فالاحتلال الإنجليزي كان مصدرا لا ينفد لنشاط الطلاب ورجال السياسة ، وقد شارك فيه بحظ أدي به إلى الفصل من الدراسة

الثانوية لمدة عام ، وإلى السجن الذي لم يغادره إلا بكافلة مالية . ولما انتقل للدراسة الجامعية بالقاهرة كان أكثر تماساً بمركز الأحداث ، فهناك أمواج الفتنة التي قدحت زناها مغامرات طه حسين في نطاق النقد ، الذي أراد أن يسلطه على القرآن كأي أدبي من صنع الناس ! . وفي دار الأوبرا تعرض مسرحية وقحة تتطاول للنيل من مقام صاحب الرسالة إلى جانب الأزمات السياسية التي لا تتورع عن استغلال هذا الواقع القلق بمختلف الوسائل ..

وقد بلغ الصراع أوجهه بين التيارات الهدامة التي تستهدف الإجهاز على بقايا الحصانة الإسلامية في أوساط الجيل الجديد ، وبين الانتفاضات الكبيرة التي انطلقت في وجه ذلك الزحف المدمر .. يمثلها عمالقة من رجال الفكر والعلم كمحمد الخضر حسين صاحب الرد الشهير على كتاب `الإسلام وأصول الحكم` للشيخ على عبد الرازق ، الذي يعتبره المترجم من أهم الخدمات التي قدمها مسلم للكافرين ، كيما كانت نية مؤلفه والدوافع الحافزة عليه .. ويسمى من كتبية الدفاع عن الإسلام في تلك المرحلة عبد الحميد سعيد صاحب الصوت الإسلامي المدوبي تحت قبة البرلمان ، وأحمد زكي باشا ، المعروف بشيخ العروبة ، ومصطفى صادق الرافعي ، الذي يصفه المرحوم عبد العزيز البشري بأنه خلاق المعاني ، والشيخ محمد رشيد رضا حامل لواء السنة وممثل المدرسة التجددية المنسوبة إلى الشيخ محمد عبده . وإلى جانب هؤلاء تنهض حركة الإمام البناء ، لتألف من العناصر المؤمنة غير المنسقة ، تنظيمًا محكمًا لا يلبث أن يهزم ضمير العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه . ولا جرم أن فتى في مثل موهب الغزالى ، وفي مثل نشأته الجادة ، لا مندوحة له عن التفاعل الحار مع موحيات هذا الجو . وهكذا تتضاد العوامل المختلفة والمتصارعة لتدفع بمتربصنا الفاضل إلى

ميدان العمل الإسلامي ، الذي بدأ صغيرا ثم مضي به صعدا ، لم يفارقه يوما واحدا من عمره الذي نيف اليوم على الستين .. وذلك فضل الله يؤتى به من يشاء . محن حملت منحا : على أن ما تقدم ذكره من المؤشرات لم يكن أكثر من تمهيد تهأبا به الشيخ لمواجهة المرحلة التي كانت أحفل حقول حياته بالتجارب . لقد خضت حركة الإخوان طاقات الشعب المصري لفتح أعينه على طريق جديد من الجهاد والعمل لم يكن له بمثله عهد منذ حروب الصليبيين والتنار .. وكانت زحوف مجاهديهم لتحرير فلسطين صدمة هائلة لعملاء الغرب ، أدخلت الخلل على خططهم الموجهة للقضاء على حيوية الإسلام ، وقدراته التي لا تنتهي على تحرير الخامد من همم المسلمين . وما هي إلا أيام مشحونة بالجد والصبر حتى زلزلت الأرض بأقدام اليهود ، وحتى بات الأخوان المسلمين هم البلاء الأكبر الذي لا يقف في وجهه شئ .. ولم يكن بد من تدخل أمريكا وروسيا ودول أوروبا ، لتدارك المصير المحتموم الذي سينسف إسرائيل من أساسها إذا استمرت دفقات الإيمان في طريقها المنظور . وتحركت "مراكز التخزيل" لإنقاذ اليهود .. فكانت الهدنة الأولى ، التي فرضها النقراشي على حكومات العرب في اجتماع "عالية" . ويحدثنا صديق حدثه ممثل اليمن في ذلك المؤتمر - أيامئذ - قائلا : لقد أعلن النقراشي رغبة مصر في إعلان الهدنة ، ليتاح لوسطاء الخير أن يقوموا بمهمة التسوية في جو مساعد . وحاول أكثر الأعضاء مناقشة تلك الرغبة الخطرة على ضوء منطق الأحداث ، فرفض النقراشي الدخول في

أي مناقشة، وصرح بأن مصر قررت الانسحاب من المعركة منفردة إذا أصدرت الحكومات العربية على متابعة الحرب ! .. وبذلك أكره الجميع علي قبول العرض الذي أضاع الفرصة على كل عمل صحيح لمصلحة فلسطين . ثم جاء الخطيب التالية لتجريد مجاهدي الأخوان من سلاحهم الذي اشتروه بثمن أمتغتهم ، وأعقب ذلك تجميدهم في معقل محاط بالأسلاك الشائكة ، ليمنعوهم من أي حركة لا يريدها أعداء الإسلام .. وأتموا ذلك التطويق بمصادرية الحركة في مصر كلها . وكان مستحيلا أن تمر العاصفة بسلام .. وهكذا أقدم بعض شباب الدعوة على اغتيال النقراشي ، جزاء وفاقا علي ما قدمته يداه - بأمر فاروق - لقضية فلسطين وللحملة الإسلامية .. وما لبث أن جاء الرد على مقتل النقراشي باغتيال الأمام الشهيد بعد أن جرد من كل وسيلة يستطيع بها الدفاع عن نفسه . وكان طبيعيا أن تتخذ سلطات فاروق من هذا الجو فرصة لتحطيم بناء الأخوان كله ، فساقت الآلاف منهم إلى منفي الطور وفي مقدمتهم أعضاء مكتب الإرشاد ، وفيهم المترجم ، الذي حجز أولا في سجن الدرج الأحمر لعدة أسابيع ، ثم أخذ إلى معقل الطور ليقضي مع إخوانه سنه كان لابد منها لتدريب الجماعة على ممارسة أنواع البلاء ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ . ويصف الشيخ تلك السنة بأنها كانت حافلة بالآلام والبركات معا ، فعلى الرغم من ضخامة المحنـة التي شملـت أسرـاً بأجـمعـها من الآباء والأـباء الأـصـهـارـ ، وما رافق ذلك من فنـونـ الإـذـلـالـ والنـكـالـ التي صـبـتـ عـلـىـ الجـمـعـ بـمـخـتـلـفـ الـوـسـائـلـ ، فقد كانت فرصة ضرورية أـتـاحـتـ لـلـجـمـاعـةـ لـوـنـاـ مـنـ التـرـبـيـةـ الرـوـحـيـةـ هـمـ أـشـدـ مـاـ يـكـونـونـ حـاجـةـ إـلـيـهاـ . يقول فضيلته : لقد غذـتـ هـذـهـ التـجـرـيـةـ طـاقـةـ الـاحـتمـالـ فـيـ النـفـوسـ

وارتفعت بروحانيتها إلى مستوى عال ، فلا تذمر ولا تململ ، بل الصبر الجميل والرضى بالقدر الحكيم ، حتى لتسمع في هدآت السحر مثل هذه الضراعة السعيدة من أفواه لا تستبين أصحابها : `` تجل علينا بالرضى يا رب `` . وكان المترجم يؤم الأخوان بالصلوات ، لا يختلف عنها إلا ممزق الثياب لا يجد الستر الكامل لعورته . ومن هنا ، من هذه الفترة التدريبية ، عاد الأخوان إلى العمل - عهد النحاس - وهم أعلى ما عهدوا في أنفسهم من المعنويات . زوابع الرعب : وكانت الطامة الكبرى في العهد الذي أحال مصر كلها سجناً كبيراً ، ومصنعاً للتعذيب لا يضارع حتى وراء الستار الحديدي . ويصف فضيلته ذلك العهد .. بأنه كان يسلب الرجال رجولتهم بما أطلق من زوابع الرعب ، التي ألقى في روع كل حر في مصر أنه محاط بالأعين والحراب والسياط . في أحد السجون سيق أهل العلم ، وكل من توهם المتسلطون أن له صلة بالدعوة الإسلامية ، إلى الباستيل الذي لم يدخل قط من الأبراء . وبعد سنوات من الفتنة التي شوهرت وحطمت ، أفرجوا عن أحد المشايخ من لم يستطيعوا مواصلة الاحتمال ، بعد أن كتب لهم التعهد الذي شاءوا .. بعد ما أوهموه أن في مكان ما في جوفه جهاز تسجيل ينقل إلى هم كل كلمة يقولها ، وكل حركة يأتيها . وبذلك أصبح وهو بخارج السجن في حي حريم لا يحمد من الخوف ، أحال وجوده سجناً لا يطيق معه حراكاً . تلك أدق صور للجو الذي فرضه زبانية " ... " علي الشعب

المصري وبخاصة جماعة الأخوان منذ إلى وم الذي قلب لهم فيه ظهر المجن . ويقول الشيخ ظللت في مطالع المحنـة مدة ألقى الدرس في المسجد أو في الجامـع فـلا أدرـي في أعقـابـه أـينـ أـبـيـت .. وـيـوـمـ أـعـلـنـ الطـاغـيـةـ منـ مـوـسـكـوـ نـيـتـهـ فيـ إـيـقـاعـ المـذـبـحةـ الـجـدـيـدـةـ فيـ الـأـخـوـانـ ،ـ اـسـتـدـرـارـاـ لـعـطـفـ طـوـاغـيـتـ الـكـرـمـلـيـنـ ،ـ جـاءـهـ أـيـ الغـزـالـيـ .ـ تـوـجـيـهـ الـزـيـانـيـ بـوـحـوبـ التـجـرـيـحـ فيـ الـجـمـاعـةـ لـتـسـوـيـغـ ماـ يـرـادـ بـهـمـ .ـ وـلـمـ رـفـضـ الـخـصـوـعـ لـلـأـمـرـ زـجـ فيـ السـجـنـ طـرـهـ ،ـ حـيـثـ قـضـيـ هـذـهـ المـدـةـ فيـ جـوـ مـنـ الـمـهـانـةـ وـالـتـحـقـيرـ لـاـ يـمـلـكـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ وـصـفـهـ .ـ وـلـكـنـهاـ مـعـ ذـلـكـ كـلـهـ كـانـتـ فـرـصـةـ أـخـرـىـ لـلـخـلـوـ مـنـ الـقـرـآنـ الـذـيـ لـمـ يـكـنـ لـهـ سـلـوـهـ سـوـاـهـ .ـ وـيـشـيرـ إـلـىـ وـاحـدـةـ مـنـ هـذـهـ الـمـنـاسـبـاتـ الـرـوـحـيـةـ قـائـلاـ :ـ كـنـتـ ذـاتـ لـيـلـةـ مـضـجـعـاـ فـيـ ثـيـابـ السـجـنـ فـوـقـ الـأـسـفـلـتـ ،ـ فـجـعـلـتـ أـتـلـوـ فـيـ نـفـسـيـ سـوـرـةـ الـمـائـدـةـ ،ـ وـأـلـاحـظـ أـثـنـاءـ ذـلـكـ مـضـامـينـهـ وـاحـدـاـ تـلـوـ الـآـخـرـ ،ـ فـأـحـسـ بـيـنـهـ مـاـ تـنـاغـمـ مـاـ لـمـ أـنـتـبـهـ إـلـىـ ٥ـ مـنـ قـبـلـ ..ـ وـهـكـذـاـ هـدـيـتـ فـيـ ظـلـمـاتـ هـذـهـ الـمـحـنـهـ إـلـىـ أـنـوـارـ مـنـ الـمـعـرـفـةـ أـضـاءـتـ لـيـ سـبـيـلاـ جـدـيـدـةـ إـلـىـ أـفـقـ جـدـيـدـ مـنـ الـفـهـمـ الـقـرـآنـيـ .ـ وـمـمـاـ يـتـصـلـ بـهـذـاـ الضـرـبـ مـنـ الـأـحـدـاـثـ مـاـ تـنـاقـلـتـهـ الـأـلـسـنـ عـنـ مـوـقـفـ أـحـدـ الـمـنـافـقـيـنـ حـيـنـ عـرـضـ لـلـشـيـخـ ،ـ وـهـوـ يـلـقـيـ خـطـبـتـهـ الثـانـيـةـ مـنـ عـلـيـ مـنـبـرـ جـامـعـ الـأـزـهـرـ ،ـ فـيـذـكـرـ وـيـعـظـ وـيـسـأـلـ اللـهـ لـلـمـؤـمـنـيـنـ دـوـنـ تـعـيـيـنـ ..ـ فـنـهـضـ هـذـاـ لـيـصـيـحـ :ـ أـلـاـ تـرـوـنـ ؟ـ ..ـ إـنـ عـصـبـيـتـهـ لـلـإـخـوـانـ الـمـسـلـمـيـنـ تـمـنـعـ أـنـ يـدـعـوـ لـلـرـئـيـسـ ..ـ إـلـاـ أـنـ اللـهـ أـعـانـ الـمـصـلـيـنـ فـجـرـأـهـمـ عـلـيـهـ بـمـاـ أـخـرـسـهـ .ـ وـقـدـ كـرـرـ هـذـاـ الـمـنـافـقـ فـعـلـتـهـ مـعـ الشـيـخـ فـيـ مـسـجـدـ الـحـسـيـنـ ..ـ فـكـانـ نـصـيـبـهـ هـذـهـ الـمـرـةـ طـائـفـةـ مـنـ الـصـفـعـاتـ الـمـنـاسـبـةـ مـنـ جـمـهـورـ الـمـصـلـيـنـ .ـ وـيـقـلـلـ مـنـ التـأـمـلـ يـدـرـكـ الـمـفـكـرـ بـعـضـ أـحـوـالـ الـنـفـوـسـ الـتـيـ تـعـيـشـ تـلـكـ

الغمرة من الإرهاب ، فعلى الرغم من ضجيج الدعاية التي سخرت لها الأقلام والأفلام والأغاني ، ومئات الوسائل التي حاولت أن تجعل من الظلمة نورا ، ومن الباطل حقا ، ومن الأقزام عمالقة .. على الرغم من كل ذلك لم يجد المهرج من المصلين في كلا المسجدين سوى الازدراء والرد والمذل . وليس ذلك في الواقع إلا ردا على عهد الطغيان كله لا على ذلك المنافق وحده . ويفكك لنا هذه الحقيقة تصرف المسؤولين عن إدارة مسجد الأزهر مع الشيخ ، إذ كانوا ينحونه عن الخطبة في كل جموعه يعتزم الرئيس شهودها ، ويقدمون لها غيره من يحسنون الملق للظالمين . في مسجد عمرو : هذا المسجد الذي يحمل إلى قلوب العارفين ، نفحات المد العظيم ، الذي أضاء مصر بنور الإسلام على أيدي الطليعة المباركة من تلاميذ النبوة ، كان قد استحال أو كاد خلاء كالخراب يوشك ألا يجتمع فيه نصاب الجمعة على المذهب الشافعي . وكأني بالدكتور عبد الحليم محمود ، وكان يومئذ وزيرا للأوقاف ، قد شاء إحياء الغابر من جلال هذا المسجد ، فدعا الشيخ الغزالى ليبلغه رغبته في أن يتولى خطابته .. وكان هذا بنظر الغزالى أشبه بالنفي له عن أوساط التوجيه ، لذلك راجع الوزير يطلب بإعادته إلى خطابة الجامع الأزهر الذي ألفه وألفه رواده مدى عشر سنوات . ولكن الوزير أصر على تكليفه وقال له اذهب إلى مسجد عمرو ، وستجدني بين المستمعين إليك . وكانت هذه لفته طيبة أقنعت الشيخ بقبول التكليف . وما إن ذاع خبر هذا التوجيه حتى استبشر الناس ، الذين أحزنهم أن يفتقدوا هذا الصوت المؤثر ، وأقبلوا على المسجد منذ الجمعة الأولى فملئوه وصhone . ثم مضي الأمر على التزايد جمعة بعد الأخرى ، حتى قفز العدد عن الألف

إلى ما يقارب الثلاثين ألفا ، يتواجدون إليه من مختلف أنحاء القطر . وتراءى للشيخ من خلال ذلك الإقبال عظم المسئولية فاستخار الله وتوجه إليه بالدعاء أن يوفقه إلى إعلاء كلمته وتبنيت حقائق الإسلام في هاتيك القلوب المتلهفة إلى قوله الحق . ورأى أنفع شئ لهذه الآلاف المؤمنة أن يعالجها بالقرآن ، وعلى المنهج الذي أفاده من تأملاته الخلوية في ليمان طرة .. وهكذا مضى بها في حدائق `الأنعام` و `الواقعة` و `محمد` صلي الله عليه وسلم . وقادته حكمة الله أن يبدأ بسورة النساء في الوقت نفيسة الذي اختاره وزارة الشئون الاجتماعية لآثاره موضوع قانون الأسرة ، و ما يراد له من التغيير. قضية الساعة : وتنصاعد موجة البحث، و يكون من ردود الفعل الطبيعية لمحاولات أنصار القانون المرد، أن اتجه ألو الفكر في مسجد عمرو إلى الدعوة لمؤتمر يعقد في الأزهر، و يضم المشغلين بالقضايا الإسلامية لمعالجة القضية على نطاق أكثر موضوعية.. و كذلك كان، و قد حضر ذلك المؤتمر كثيرون يمثلون مختلف الأوساط العلمية والسياسية ، فعلماء من كبار الأزهريين، وأعضاء من مجلس الشعب، وأساتذة و طلاب من مختلف الكليات، إلى آخرين من العاملين في الجماعات الإسلامية. و شارك في الاجتماع سفير نيجيريا، حتى بلغ الحضور قرابة خمسة عشر ألفا يمكن القول بأنهم يعكسون بمجموعهم رأى الكثير الغالبة من الشعب المصري . وطرح قضية الساعة في جو من الصراحة الواجبة ، و كان الصديق

المترجم في بحثه الموضع بمثابة المرافع القضائي الذي يدعم أفكاره بالحجج الدماغة ، والوثائق الحاسمة وانتهى النقاش أخيرا بإجماع الحضور ودون معارض إلى المقررات التالية : لا يجوز النظر في قانون الأسرة قبل تعديل قوانين العقوبات كلها لتنتفق مع مبادئ الشريعة . يضع قوانين الأسرة علماء الأزهر فقط .. لا الوزارة . استنكار ورفض كل تهجم تقوم به أجهزة الأعلام على التعاليم الإسلامية وأوضاع المسلمين . وعقب ذلك خرج جمهور المؤتمرين، ومعهم الطلاب، في مظاهرة ما زالت تزداد بالمنضمين إليها حتى أحاطت بمجلس الشعب إحاطة السيل بجزيرة معزولة . وكان هذا كافيا لإقناع المسؤولين بأن الشعب المصري غير مستعد للسماح بتمرير هذا العدوان لجديد علي بقايا الشريعة الإسلامية ، فوقفوا التفكير في مشروعهم ولو إلى حين . وكان طبيعيا بعد همود العاصفة ، أن يتحرك القوم للبحث عن مسببها ، فانتهي بهم المطاف إلى مسجد عمرو وخطيبه ، وأعقب ذلك تنحية الشيخ عن منبره .. ثم جاء التدبير الآخر بنقله من وظيفة مدير عام للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف ، إلى منصب مستشار فيها . ونشرت بعض الصحف يومئذ أن الدافع إلى هذا الإجراء صلة الشيخ بقضية الكلية العسكرية الفنية . ولا حاجة إلى القول بأنها تهمه لفقها الخراصون ، وكذبها القارئون .. هذا فضلا عن أن ما نشر عن قضية الكلية حتى اليوم لا يزال ينتظر الأقلام النطيفة التي تكشف عن أسرارها ومفاجآتها الأستار.

حوار معقول : ويدركني مضمون الفقرة الثانية من مقررات المؤتمر حوارا دار قبل أيام بيني وبين المفكر الدكتور مصطفى محمود ، لقد ناقشته في إنكاره حكم الرجل للزانيين المحصنين ، والذي سبق له التصريح به في إحدى الصحف ، فكان قصاري ما احتج به أمران: الأول - أن الحكم لم يرد في القرآن ، ومجرد وروده في الحديث لا يقوم دليلا على صحته لما أحاط بالحديث مطلقا في مفارقات تبعث على الشك. والثاني - أن الزنا أصبح من المسلمين التي تحميها الدولة ، وتزين للشباب أسبابها بمختلف وسائل الإغراء ، وللعوامل الاجتماعية آثارها البعيدة في صرفهم عن سبيل الزواج المشروع.. فلو دعونا إلى إقامة حد الرجم في هذه الأحوال لكننا بالعصر الذي نعايشه ، وبالمجتمع الذي نريد تطهيره من هذه الآفة . ولم يكن عسيرا تصحيح الشق الأول من كلامة الذي لابد قد تسلل إلى فكرة عن طريق أبي ريه من ورائه من المبشرين والمستشرقين ، إذ يكفي لدحض هذه الشبه تذكير طالب الحق مثله بقوله تعالى : ` وما ينطق عن الهوى ` و ` وما آتاكم الرسول فخذوه ` وأن تعهد الله على حفظ كتابه لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق حفظ السنة التي جاءت تفصيلا لمجملة ، وإيضاها لغامضة ، وتحديدا لمقاصده .. ولو لاها لاستحال على المؤمنين التثبت من هيئة الصلاة ، وأحكام الصوم ، وشعائر الحج ، ونسب الزكوات في الأموال المختلفة . فإذا وجد في نطاق المرويات عن الرسول صلي الله عليه وسلم الضعيف والمنحول ، فلنذكر القدرة الخارقة التي أثارها الله لسنة نبيه فأنقذتها من كل دخيل لم يثبت صدوره عن صلوات الله وسلامه عليه . وأما الرجم فهو جزء من

قضية كاملة لا يمكن تفتيتها . ونعلم استحالة تنفيذه في المجتمع الذي تأخذ الفاحشة عليه السبيل ، لذلك نريد تثبيت الإيمان أولاً بشرعية الله ، وأنها وحدها صاحبة الحق في ضبط تصرفات البشر ، فإذا تحقق ذلك كان من أسهل الأمور تطهير المجتمع من أسباب الفاحشة ، وتبسيير السبيل إلى التلاقي المشروع بالزواج النظيف ، ويومئذ يصبح الرجم ضرورة يتطلبه المجتمع نفسه لحماية وجوده من نكسات الشيطان .. مثله في ذلك كمثل حد السرقة ، لابد قبل تنفيذه من تحقيق العدالة الاجتماعية بتوفير العمل الشريف للقادر ، والمعونة الأخوية للعجز ، فإذا أقدم امرؤ على السرقة في مثل هذا الجو كان حقيقة بالقطع ليكون عبرة رادعة لكل من يحمل مثل خطره على أمن المجتمع . ويسريني أن الأخ الدكتور لم يتردد في قبول هذه الحقيقة ، حتى وعد بأن يتدارك ما سلف منه في أول فرصة ، جزاه الله خيراً وزاده هدى على هدى . كلمة للمسؤولين : وشيء آخر أيضاً يسيره في خاطري هذه المناسبة ، وهو اتهام المسؤولين للعاملين للإسلام ، بالنشاط السياسي والعمل لإقامة زعامة دينية . وقصاري ما يواجه به دعاة الإسلام هذه التهمة هو تبرؤهم منها ، واعلان رفضهم لكل مطمح سياسي ! وأنا لا أرى لأي من السياسيين المتهمين ، والدعاة المتبئلين سندًا من المنطق نفسه ، رجاءً أن نصل به إلى الحكم المعقول ، الذي من حقه أن يصحح أوضاع كل من الفريقين في هذا المضمار .

إن الدستور الذي يحكم به في معظم البلاد الإسلامية التي تكافح دعاة الإسلام هو الدين الرسمي للدولة ، وحين نستنطق هذا الكلام لا نجد له مفهوماً صحيحاً سوى هيمنة النظام الإسلامي على شئون الدولة كلها ، بحيث لا يعتبر أي عمل هناك مشروعًا ما لم ينسجم مع أصول هذا النظام . ذلك هو المفهوم المعقول لمضمون ذلك النص ، وإن انحرف به الحاكمون في مختلف أقطار المسلمين ، حتى كاد ينحصر في بعض المطاهر السطحية ، التي لا تتجاوز مع شهود المسؤولين لبعض المناسبات الإسلامية كصلة العيددين مثلاً ثم يمضي كل شيء في الخط المنافي لمقاصد الإسلام . وقد ألف الناس هذا التناقض حتى كادوا لا يحسبون به .. فإذا ارتفع صوت التنبية إليه و التحذير من أخطاره وعواقبه ، جوبه بالإنكار ونبذ بالاتهام ، و صب عليه العذاب صبا . و المؤلف العجيب في هذا الوضع أن الذين يستكرون قيام الزعامة الإسلامية ، في بلد حياة أهله كلها قائمة على الإسلام ، وفي ظل

قانون أساسى يعلن إسلامية الدولة ، هم أنفسهم يبيحون لأعداء الإسلام وغير الإسلام من الأديان التي تؤمن بالله و اليوم الآخر، حق العمل للوصول إلى زعامة البلد كله باسم الديمقراطية .. دون أن يلمحوا ما فى إباحتهم هذه، و منعهم ذاك من المفارقات التي لا مفهوم لها في لغة القانون و لا المنطق. كيف يكون من حق الشيوعية مثلاً أن تدعوا لحلتها، وتسعى بكل حولها وأضاليلها للهيمنة على أزمة المجتمع ، وهي التي يعتبر مجرد وجودها منافياً للهوية الإسلامية التي تحدد شخصية الدولة ، ثم يعتبر مجرد الدعوة إلى تنفيذ مضمون تلك الهوية ، بتحكيم شرعية الإسلام في مسيرة المجتمع

عملاً مستنكراً مرفوضاً، يستحق دعاته المطاردة والتشهير والتحقيق؟

وكلمة لدعاة الإسلام:

ولماذا يتهرّب دعاة الحكم الإسلامي من تهمه السعي للوصول إلى الحكم كأنها وصمة عار يدفعونها عن أنفسهم بكل ما يملكون من قوّة!.. حتى لقد أوقع موقفهم هذا في أخلاق العامة أن مجرد العمل في مجال السياسة مخالف لروح الإسلام! و ما أحسب أن ثمة إساءة للإسلام أكبر من هذه النتيجة.

إذا كان الإسلام هو النظام الذي أراده الله دستوراً مهيمناً على مسيرة الحياة البشرية ، وكان واجب المؤمنين به في كل مكان و زمان هو تحقيق هذه الهيمنة في كل وجودهم، والشهر الدائب لحمايتها من كل عدو يريد بها شرًا أو إيهاناً .. فأول مقتضيات هذا المبدأ ، وبخاصة في مثل ظروفنا التي عزلت فيها الشريعة الإسلامية عن ميادين الحكم أن تتجه مساعي العاملين لإيصال النخبة المجرية من المؤمنين بهذه الحقيقة إلى مراكز المسؤوليات العليا في الدولة.

وذلك هو الطريق الطبيعي في ظل الديمقراطية ، التي تعطي كل فرد حق العمل لتصحيح الأوضاع الاقتصادية ضمن نطاق القانون ، وكما أن المفروض في كل منظمة حزبية ذات مبادئ ، ملتزمة ألا تأتمن علي تنفيذها إلا المؤمنين بها ، فمن باب أولى ألا يأتمن العاملون للإسلام على مبادئه إلا من ثبت إيمانه بها وتفانيه لتحقيقها.

ولنستعرض هنا بعض كلمات الشيخ لتوكيد ما نذهب إليه في هذا الصدد.

في كتابه `قذائف الحق` صفة 127 يعدد مهام العاملين للإسلام في نقاط محددة ، ثم يقول : `وبديهي أن ذلك لن يتحقق كلا

أو جزءاً إلا في ظل حكومات تحترم الإسلام ، وترى نفسها مسؤولة أمام الله عن القيام بحقوقه . ثم يردد ذلك ببيان التفاوت بين مواقف الحكومات العربية بالنسبة إلى الإسلام مع تلاقيها على استبعاده عن نطاق الحكم ، مما يجعل العبء قاصراً على كواهل الشعوب وحدها ، " فعلي الشعوب أن تتحرك وإنما ت تعرضت للفناء عقوبة من رب السماء " . ونحن نقول : ما دام الأمر كذلك ، ففيما الفرار من صفة السعي إلى الحكم في حدود الأنظمة المشروعة ؟ .. لماذا لا نقول للحاكمين وللمحکومين : إن الأساليب التي تحكم بها الدولة قد أثبتت إفلاتها وعجزها عن أي عمل مأمون العواقب على المدى البعيد ، ومن أجل ذلك نتقدم بمبادئنا الربانية لإقامة قواعد الحكم الصالح ، الذي يضمن للأمة العدالة والعزة والقوة ، فدعوا لنا حقنا الطبيعي في عرض ما عندنا لأمتنا أسوة بالآخرين ومن يعملون لتدمير هذه المبادئ ، بل لتحطيم عنصر الأمان والعدالة في هذه الأمة ؟ وإذا بعد ذلك في المسؤولين من يرفضون هذا العرض بغير حق ، سألناهم بالله أن يقوموا الله مثني وفرادي ثم يتذكروا في تجرد من كل هوي شخصي ، وباستقلال عن كل غرض غير مصلحة الأمة ، ثم واصلنا مسيرتنا إلى الهدف الأعلى غير عابئين بالتهديد والوعيد ، حتى يتحقق الله وعده بالنصر للذين قال في وصفهم : ` الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهاوا عن المنكر .. أو يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو أحكم الحاكمين . في خدمة العلم : وعن نشاط الشيخ في خدمة العلم وطلابه ، يؤكد لنا ما يعرفه عنه من خلال آثاره كل قارئ وسامع ، فحبه للعلم هو يتزايد مع لحظات

الحياة ، ولا يكاد ينقطع عن جانب منه ، وإذا تفاوتت صلته بفنونه وفق مقتضيات العمل والحاجة . وذلك أمر بديهي بالنسبة إلى داعية تتعدد ميادين نشاطه العلمي ، وكل منها يتطلب المزيد من الثراء الفكري الحي . فهو خطيب مسج و لكن من الضرب الذي يستشعر في عمق قيمة الكلمة و حق المستمعين عليه ، ومسئوليته عن ذلك أمام الله .. ولقد عرفه كليتاً أصول الدين والشريعة بالأزهر مدرساً يخاطب العقول فيشيرها ، والقلوب فيستهويها ، وفي معسكرات الطلاب والجماعات الإسلامية عن نشاطه الفعال آثار تذكر فتشكر . ولقد شاء الله أن يمتد عمله الشخصي إلى أبعد من محيطة الوطن ، فيسر أسباب نقلته إلى مكة المكرمة ، ليكون رئيساً لقسم الدعوة في كلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز ، من ثم ليكون على صلة بالآلاف من قرائه الذين يتواوفدون على البيت الحرام من أنحاء العالم الإسلامي . مما كان ليتاح له ولا لهم ولا لنا مثل هذا التلاقي ، لو لا أن أكرمنا الله وإياه بالهجرة إلى حرميه المباركين . وفي التأليف : ويشأن مؤلفاته يذكر فضيلة الشيخ أنها بلغت حتى الآن واحداً وثلاثين كتاباً وقد أعيد طبع بعضها عشر مرات ، وهو لا يكاد يؤثر بعضها على بعض ، ومرد ذلك فيما نرى ما تمتاز به جميعاً من صدق التصوير لأعمق أفكاره ، وأحر عواطفه . ولكنه مع ذلك لا يخفى نظرته الخاصة لكتاب ` فقه السيرة ` لصلته بأحباب الناس إلى قلبه ، ولا يلي ذلك آخر كتاب له صدر باسم ` قذائف

الحق ` لما ضمنه من ردود قاهرة علي مفتريات يريد بها أعداء الإسلام تدويخ العالم الإسلامي ، علي حد تعبيره . والحق يقال إن الحديث عن مؤلفات الشيخ الغزالى لا تفي به العبارة العجلى ، لأن فيها من الخصائص المنهجية والأدبية ما يجعلها نسيجا وحدتها بين الكتب ، وهي بذلك تقتضي الوقوف علي كل منها بالتحليل الطويل . وحسبنا في هذه المناسبة المحدودة أن نذكر القارئ بأسلوبها المميز الذي من المتعذر أن يختلط بغيره من أساليب الكتاب ، ولو توجوا ما يكتبون بالعنوانات نفسها التي يتخيرها لمصنفاته . العناية العليا : يقول فضيلة الأخ ، في الإجابة علي الاستطلاع الخاص بمستقبل الجيل الإسلامي ، إنه أميل إلي التفاؤل بشأنه ، ويعلل ذلك بما يحسه في كل مكان من مخاض يبشر بخير عميم . ويمثل بأقرب مشاهداته ، وهو أن ثمة شبابا ولدوا بعد تواري دعوة الأخوان ، يحملون في صدورهم طاقات حركية لا حدود لها ، تدفعهم إلي العمل ، وتحبب إليهم حتى الاستشهاد في سبيل الإسلام . وشد ما يلومون الدعاة علي مسلكهم القائم علي الأناء . ويقول : إنني لأتساءل من الذي أعد هؤلاء الجنود وجدد بهم شباب الدعوة علي حين فترة من الدعاة وطغيان من الأحوال ، فلا أجد جوابا إلا في قول الله عز وجل ` إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ` ، فالله يخفي حكمته هو الذي أراد استبقاء الإسلام بهذا الشباب المنتشر في بقاع العالم الإسلامي جميا .. وأغرب ما في هذا التدبير الإلهي أن كثريهم تكاد تكون مقصورة علي الكليات العملية من الجامعات ، حتى ليتفاصل عنهم أبناء الكليات النظرية وحتى الدينية منها عددا وحماسة.

ولذلك يصر الشيخ علي أن الإسلام محفوف بالعناية العليا ، وهي التي تتولى حمايته وتتجدد زحوفه ، كما توهם الباغون والجاهلون أنه استنفذ طاقته . بيد أن يقينه هذا لا يعني الاستنامة ، ولا يسوغ التوقف علي طريقة ` اذهب أنت وربك فقاتلا ` بل يجد فيه ال باعث الحديث علي مضاعفة الجهد بما يبيه في قلوب العاملين من توقعات النصر المضمنون من حيث لا يحتسبون . الكرامة والعدالة والأمن : ويأتي جوابه الأخير ، حول مهام علماء الإسلام في هذه المرحلة الدقيقة من حياة الجيل ، مؤكدا لما تقدم ، ويمكن تلخيص أفكاره هنا بما يلي : أول هذه المهام بالنسبة لأهل العلم مضاعفة الحرص علي فضائل الإسلام والتشبث بحقائقه لتتوافر فيهم القدوة الصالحة للجيل الذي يريدون توجيهه . إن تفتيت الطاقات العاملة للإسلام هو أهم مرتکزات العدو الذي يريد لكل منهم أن يموت وحده لذلك كان أول واجباتهم أن يتجمعوا ويتعاونوا ويوثقوا مع شعوبهم . ومن أجل التغلب علي التيارات الغازية ، لا مندوحة للعلماء من دراستها علي الطبيعة، لمعرفة الوسائل الكفيلة بصدتها ، وتحصين المسلمين بالللاعنة الواقية من سمومها . والسبيل إلي ذلك إبراز الحلول الإسلامية لكل مشكلة عامة تريد استغلالها تلك التيارات. السعي الدائب لتأمين حق كل مسلم بالكرامة والعدالة والأمن علي الصورة العملية الملمسة ، فقد شبع الناس من هذا الكلام عن فضائل الإسلام ، وأصبحوا متلهفين لمواجهتها علي أرض الواقع

وحسينا هنا التذكير بقول الفاروق العظيم عليه رضوان الله لعماله في مختلف ديار الإسلام :  
ـ لا تضربوا المسلمين فتذلوا لهم ولا تجيئوا بهم فتكفروهم.

## الجهات المعادية للإسلام

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستعيذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا  
ونسأله التوفيق والسداد.

وبعد..

يتملكني شعور في هذه الأيام أن كل عمل لتهجين قوي الإسلام واضعاف العلاقة به وجعل  
الأمة مضطربة في الأخذ من الكتاب والسنّة ، يتملكني شعور بأن هذا العمل خيانة عظمى،  
ومشاركة لأعداء كثيرين يلتغون حولنا ويتربصون بنا.

إن قارب النجاة الوحيد وسط الطوفان من البلايا التي تهب على العالم الإسلامي من يمين  
ويسار هو الإسلام . ولذلك فإن كل ثقب يحاول البعض إحداثه في هذا القارب هو مؤامرة  
لاقتراف جريمة قتل ، لا قتل فرد أو أفراد بل قتل عالم بأسرة ، ومؤامرة على جعل الظلم  
يحتوي على مستقبل الدنيا .

لقد تأكد لنا . كما نحس وجودنا . أن الإسلام . هو الآن . سياج حياتنا . هناك صيحات قد تكون جهيرة ، وقد تكون وساوس في الصدور تقول .. يجب لي هذه الأمة أن ترتد عن دينها ، وأن تتنازل عن أرضها ، كفاحها ما عاشته من قرون مضت هذه هي النية في قلوب أعدائنا ، وما الذي ينجينا من هذه النيات الغادرة الخسيسة ؟ إنه الإسلام وحده إنه معاشنا ومعادنا ، ويومنا وغدنا . ولذلك أقرر بأن كل محاولة لتشويه معالم الإسلام برأي يذكر أو مقال ينشر أو خيانة تسر أو تعلن فهي مؤامرة علي مستقبل أمة كاملة لكي تهلك . هذه مقدمة أولي ، ومقدمة ثانية تتصل بمعرفة الأعداء من هم ؟ وما خطفهم ؟ أعجبني تعبير لأحد الأدباء يقول فيه : إذا كنا نعرف سبيل الاستقامة فبجب أن نعرف سبيل المجرمين ، وقد قال تعالى : "وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين" ويجب أن نعرف أن آبائنا كانوا يدرسون الملل والنحل الشائعة في الدنيا ، لماذا ؟ يريدون أن يردوا علي ما بها من شبهاه وأن يعرفوا ما فيها من علل ، وأن يبصروا أبنائهم بالباطل ليدمغوه بما أتوا من حق . كان هذا – قدি�ما – الهدف الأول من دراسة الملل والنحل ، أو ما يسمى في عصرنا مقارنة الأديان . لكن الأمر تحول – فيما أعتقد – فأصبحت دراسة سبيل المجرمين ، أو دراسة الجبهات الأخرى شيئاً لابد منه لنعرف مكامن الخطر ، من أين يجيئنا ؟ وكيف نتقي هذا الخطر ؟ أصبحت دراسة سبيل المجرمين وجبهات المعادين فرضا .

ولذلك سأجعل هذه المحاضرة من جزأين ، الجزء الأول : استعراض سريع للجبهات التي يهب الخطر منها علينا ومظهر هذا الخطر ، والجزء الثاني : كيف ننقى تلك الأخطار ونحسن أنفسنا ضدها ؟ فأما النصف الأول فابداً فأقول : هناك خمس جبهات تقائل الإسلام الآن .. لابد أن نعرفها وأن نعرفها أولادنا ، لابد في مجالسنا أن نتحدث عما يحدث فيها . أبدأ بالجبهة الأولى : وهي جبهة الفاتيكان أو الكاثوليك هذه الجبهة تتكون من الفاتيكان كدولة تمثل الخلافة المسيحية . وأحب أن ألفت نظركم إلى أن الحلفاء في الحرب العالمية الأولى أو عزوا إلى عميل لهم هو مصطفى كمال أتاتورك فرمي بالخلافة التركية في البحر ، نعم كانت خلافة شبيحاً ولكنها كانت رمزاً ، وكانت تمثل أبوة ثقافية وروحية للمسلمين ، فإذا أصبحت الأمة يتيمة لا أبوة لها فإن العبر بثقافتها يسهل ، والإغارة على مخلفاتها تتيسر . لقد رموا بالخلافة الإسلامية في البحر - بواسطة جواسيسهم عندنا - ثم أكدوا وجودهم بن جعلوا للمسيحية خلافة . والخلافة في المسيحية لها وزنها ، ولتعلموا كيف لها وزنها أذكر لكم هذه الحادثة : اصدر بابا من الباباوات - من عشرين سنة - قرار حرمان ضد جنرال بيرونـ في الأرجنتين فأسقطه على بعد عشرة آلاف كيلو مترات من الفاتيكان !! هذه الخلافة التي تمثل هذه القوة لها شعبتان ، شعبية سياسية ، وشعبية اقتصادية . أما الشعبة السياسية فإن أمريكا الجنوبية فيها عشرين دولة كلها تدين بالكاثوليكية وتتبع البابا وتنطق بلغة واحدة وهي اللغة الأسبانية .

الفلبين - الآن - يتبنى النشاط التبشيري فيها الكاثوليك ، ينشرون النصرانية ومعها اللغة الأسبانية ، ويجهدون في أن يجعلوا من الفقراء والأيتام والضعاف ميدانا خصبا لتبشيرهم . ومن دراسة التاريخ على نحو كاذب أنكم تقرأون أن "مجلان" كان مستكشفا جغرافيا ، وهذا كذب ف "مجلان" مبشر مسيحي ، وقد حاول أن يعرف علم الصليبية على الفلبين فقتله أحد المسلمين . المهم أن الجبهة الكاثوليكية جبهة قوية ، ففرنسا أم الكثلكة مع الفاتيكان مع إيطاليا مع عدد كبير من الجبهات التي تنتشر فيها الكثلكة في العالم الشيوعي مع الكاثوليك في ألمانيا مع خمسة ملايين في إنجلترا مع خمسين مليون في الولايات المتحدة ، كل هؤلاء يجمعهم نظام دقيق . قال لي طالب عربي يدرس في إحدى جامعات النمسا : سألت صديقا لي لماذا لا تكون معنا في حلفنا يوم الأحد ؟ فقال لي : القس الكاثوليكي يتصل بأبي يبلغه إذا غبت عن الكنيسة !! والجبهة الكاثوليكية في العالم تملك إمكانات هائلة ، ولا تستغربوا إذا قلت لكم : إنها من الناحية الاقتصادية تلي القوتين العظمتين ، فالبابا يملك مالا ضخما يوجهه لخدمة التبشير يعادل في ضخامته ما تملكه روسيا أو أمريكا !! وقد أشرت إلى أن راهبة كاثوليكية تدعى "ترستا" اقترح "كيندي" أن تعطى جائزة نوبل العالمية ، فأعطيت الجائزة ، لماذا ؟ إنها تملك عشرات المؤسسات التبشيرية في الهند لنشر الكثلكة . الكثلكة تعمل عملها في صمت ، وأخر ما أثبته في بعض ما كتبت أنها وضعت خطتها حتى يتقلص الإسلام في إفريقيا ، والمقال الذي

يتضمن هذا نشر في مجلة الفاتيكان وأخذته من رابطة العالم الإسلامي وأودعته كتابي الدعوة الإسلامية تستقبل القرن الخامس عشر . الجبهة الثانية : وهي جبهة العالم البروتستانتي ، ويقودها مجلس الكنائس العالمي ، وهذه الجبهة من وراء مجيء اليهود إلى فلسطين ، والذين قرأوا مذكرات وايزمن - وهو يحدث قومهبني إسرائيل - يعلمون أن الرجل قال لقومه : إن لورد بلفور عندما أعطانا تعهدا يجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ما كان يخدمنا بقدر ما كان ينفسم عن عاطفة دينية تملكه !! نعم كان ينفسم عن عاطفة دينية فإن البروتستان لها علاقة وثيقة بالعهد القديم ، ولذلك نجد الكنائس البروتستانتية ليست بها تماثيل ، أما الكنائس الكاثوليكية فإن صنم القديس بطرس في كنيسة القديس بطرس في روما قبل قدمه فتنبئي من كثرة المقربين لها !! لكن الكنائس البروتستانتية ليست بها أصنام ، والسبب أنهم يرون أن الأصنام ممنوعة بنص العهد القديم عندهم . البروتستان هم الكثرة الكاثرة في إنجلترا ، والكثرة العظمى في الولايات المتحدة ، وأثر هؤلاء في قيام إسرائيل معروف ، لأن العهد القديم يؤكد ضرورة إعادة إسرائيل وإقامتها على أنقاض فلسطين . ومن هنا فإن النزعة الدينية التي قامت عليها إسرائيل نزعة معروفة ويفيدها في ذلك البروتستان . هذه هي الجبهة البروتستانتية وهي جبهة خطيرة لأن البروتستان يكونون المبشرين على نحو غريب فهم لا يعترفون بالسلك الكهنوتي وإنما يشغلون رؤساء بنوك ، أطباء ، صيادلة ، مهندسين ، يشغلونهم في جميع المشروعات العالمية التي تبادرها الدول العظمى ، وعن طريق هذه المؤسسات المدنية تخدم المسيحية .

الجبهة الثالثة: هي الجبهة اليهودية قد يستغرب الإنسان إذا سمع أن عدد اليهود في العالم ستة عشر مليونا !! ولكن هؤلاء الستة عشر مليون لهم قدرات علمية ومالية وفنية ودعائية يجعلهم يصنعون الأعاجيب وهم بقوتهم يستطيعون تحريك أحجزة كثيرة في العالم اليهود قلة في العالم وقد استطاعوا بقتلهم أن يصنعوا الكثير لأنفسهم ويجب أن نعرف أنهم يجاهرون بتدينهم فاليهودي في نيويورك يلبس قلنسوة الصلاة ويمشي في كبر ذاهبا إلى الكنيسة في الوقت الذي نرى فيه بعض المسلمين يرى الذهاب إلى المسجد رجعية ثم نرى زعيمهم يتحدث فيقول حدودنا التوارثية أي أن الحدود عندهم رسمها الوحي . الجبهة الرابعة : هي الجبهة الشيوعية وهي جبهة - أولا - ورثت الأملاك التي كسبتها روسيا القيصرية وروسيا القيصرية كسبت نصف العالم الإسلامي الشرقي والعرب في غفلة وكأنهم يبلغون حشيشا أو بنجا . ذهبت سبيطريا وهي قطر كان الإسلام له فيه مكان وذهبت الأورال وذهبت القرم ، وذهبت التركستان وذهب نصف مساحة روسيا وثلاثة أرباع خيراتها من عالمنا الإسلامي أين البلاد التي أنجبت الإمام البخاري والإمام مسلم والإمام النسفي و السكاكى والزمخشري وعلماء السنة والفقه واللغة والأدب أين هذه البلاد أخذتها الشيوعية ولما رأت المسلمين سكوتا ضربت ضربتها الأخيرة واحتلت أفغانستان.

الجبهة الخامسة هي الجبهة الونمية ، جبهة عباد الصنم ، وعباد الصنم لهم قتلى كل سنة بالمئات في الهند ، وفي أيام التقسيم إلى باكستان وهند قتل نحو مليون مسلم والعجيب في هذا أن المسلمين الذين قتل لهم هذا العدد يتذاءبون في كسل ويتمطون في استرخاء ، وينبعثون لطلب الملذات والملاهي . ولازال عباد الصنم بالمئات والألاف في الهند لا يدرؤن شيئا أنهم حملة أحقاد ، وأرباب ضغائن ، ولذلك فإنهم يقتلون الأطفال والنساء ، ويتشفون من أعماق قلوبهم بهذا المنظر. ولا يزال كل شيء في دنيا الناس يسوق مع اختلاف الليل والنهار دليلا بعد دليل على صدق قوله : "لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا" هذه جبهات خمس ذكرتها على عجل لكي أسأل نفسي بعد ذلك : فما العمل إذا كان المسلمين في هذا العالم هدفا لتلك الجبهات كلها ؟ أقول : إنني أذكر موقفا مثل هذا الموقف أو حالا مثل تلك الحال في القرن السابع الهجري ، في هذا القرن انهزمت الخلافة العباسية ودخل التتار مدينة بغداد، وكان سقوط بغداد في أيدي التتار له دوى رهيب في

العالم لأن بغداد يومئذ كانت أفحى وأضخم من واشنطن أو من موسكو ! وكان المسلمون الدولة الأولى في العالم كله ، فسقوط عاصمتهم كان له صدى يتردد في كل أفق بالفزع والرعب . عندما أحلوا تحليلًا عمليا - كداعية مسلم - أقول : كان يجب أن تسقط هذه الدولة ، أن العدل الإلهي نفذ فيها ، لقد

طلت هذه الدولة نحو أكثر من خمسة سنتين فماذا قدمت للإسلام ؟ الحكام كانوا يبحثون عن شهواتهم ، ويهتمون بملذاتهم ، هاجم الأوربيون في زحف متتابع طوال مائتي سنة العالم الإسلامي ، فماذا صنعت الخلافة العباسية في بغداد ؟ تم تصنع شيئا . استطاع القرامطة أن يخطفوا الحجر الأسود وظل بأيديهم نحو ربع قرن مما صنع العباسيون شيئا ، فالدولة كانت لاهية ، وكما قال الشاعر : وطني كم صنم مجده لم يكن يحمل طهر الصنم لا تلوموا الذئب في عدوه إن يك الراعي عدو الغنم القصة أن الدولة انتهت وقتل الخليفة إلى حيث ألت . من معجزات الإسلام : هناك ملحوظ يعرفه كل دارس للإسلام ، ولعله من معجزات هذا الدين ، ومن خصائص الصدق فيه أنه دين كتب الله له الخلود ، وأنه إذا فقد سلطته التنفيذية على نحو ما فإن جماعات فدائمة من الفقهاء والمربيين والعباد والعلماء والدعاة ينصحون للأمة، ويتولون قيادها ، ويربطونها بدينها ، وينبعثون في نواحي المجتمع يرعون الأمة التي كان يمكن أن تتحصد وأن يذهب بعقائدها ومعالملها لو لا أن الله استبقى أولئك العلماء فكانوا - هم من الناحية الشعبية - أولى الأمر الذين استبقوا الأمة الإسلامية صامدة ولها صلابة وجلد في مواجهة الأحداث . فماذا حدث ؟ الذي حدث أن شيئا من قوانين الله الاجتماعية فرض نفسه وهو أن التتر دخلوا في الإسلام ، وذابوا فيه . وكما يقال في عالم المادة : البقاء للأصلح ، وكما عرفنا رينا في كتابنا "فامازيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض" وهذا -

فعلا - ما حدث ، فإن فقهاء المسلمين ودعاتهم ومربيهم استبقو تقاليد الشرف وأصول العقيدة والعبادة ومكارم الأخلاق ، استبقو النضارة الثقافية لأمتنا فإذا هذه الأمة تبدو أرجح فكرا وأحسن عقلا وأضبط نظاما من التتر ، وبعد أن كان يقال : المغلوب يدخل في دين الغالب ، وقع العكس فدخل الغالب في دين المغلوب !!

والسبب أن المغلوبين عسكريا ، المهزومين حربيا ، لم ينهزموا أنفسهم على هازميهم وأدخلوهم في دينهم.

هذه هي الحقيقة التي حدثت في السابع الهجري ثم بعد ذلك وفي تلك البيئة بدأت الدولة العثمانية تتكون في الثامن ثم جال الإسلام جولة أخرى غسل بها أرض الشرق الأوسط من كل بقايا الصليبية ثم دخل القسطنطينية التي عجز الصحابة رضوان الله عليهم عن فتحها دخلها محمد الفاتح وكان مسلما صواما قواما خادما للسنة وكان يوصى جيوشه وقواعده بان يكونوا على طاعة الله !!

عود على بدء :

بعد هذا الاستعراض التاريخي أعود إلى يومنا هذا . إن الأمة الإسلامية الآن مهزومة لماذا أولا هي أمة مكونة من نحو ألف مليون شخص نصفهم في نحو أربعين دولة ودولية لهم استقلال حقيقي أو شبة حقيقي الدول المستقلة تمثل أقل من نصف المسلمين أما النصف الآخر فهو موزع على نحو أربعين جنسية أخرى .

في كل دولة مستقلة أو محتلة وفت جراثيم قارضة لتأكل هذا الدين ، لتجهز على هذه الأمة حتى لا تعود إلى دينها . لكنني أقول للمسلمين : ما صنعته أجدادكم أيام الهزيمة يمكن أن يصنع الآن لكنه لا يصنع بين عشية وضحاها .



الإصلاح يحتاج إلى أمور كثيرة ، ولذلك سأعرض الآن عدة أمور لكي يراجع المسلمين أنفسهم ويستعيدهم وأمجادهم ويمكن أن يقع لهم ما وقع لأجدادهم من دخول التتار في دينهم فهم على الأقل سيبقون على الإسلام ، وعلى مر الأيام يمكن أن يرفعوا رايته مرة أخرى ويستعيدها له ما فقد من أمجاده . قصة القوميات : يجب أن يراجع المسلمين أنفسهم في قضية القوميات .. مصر لها قومية خاصة ، العراق لها قومية خاصة !! كل بلد إسلامي - الآن - صنع الاستعمار له قومية خاصة ، فأصبح له علم خاص يقاتل تحته وأصبحت له حدود يتحرك داخلها وينظر إلى الآخرين نظرة أنهم جيران أو غرباء عنه أو مصالحهم ثانوية بالنسبة إلى مصالحه الداخلية . هذه القصة هي أول أسباب الخراب في العالم الإسلامي ، يجب أن نعيد النظر في هذه القوميات التي مزقتنا ، يجب أن يتتصدر الشعور الإسلامي كل شعور آخر يجب أن يتتصدر الولاء الإسلامي كل ولاء آخر ، يجب أن تسبق الأخوة لإسلامية أي أخوة من العرق ، أو من الدم أو من الجنس أو من اللون أو من الرحم الماسة . لابد أن تعود الجماعة الإسلامية مرة أخرى ، قد تقول : هذا صعب وأقول لك لماذا يكون صعبا على المسلمين سهلا على اليهود الذي أحرق المسجد الأقصى أول مرة من استراليا ، والذي أطلق الرصاص في المرة الثانية على القبة حتى كادت تسقط من أمريكا ، الشعور الديني جمع الأمريكياني على الأسترالي بما الذي يفرق بين مسلم في فلسطين ومسلم في مصر أو في أي مكان آخر ؟

ال المسلم الآن في الهند وهو مسلم وموحد يتجه إلى قبلتنا ويصلب صلاتنا ولكن الشعور بارد بإزاء ما ينزل من كوارث ، لماذا ؟ لأنه هندي ؟ إنه مسلم وأقرب إلى من النصراني العربي ، وأحسن من ملك على رأسه التاج ليس بمسلم . "ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم" قصة القوميات التي صنعوا الاستعمار لكي يقضموا الرغيف لقمة لقمة ويسهل الابتلاع والهضم إذا استبقينها فالدائرة ستدور علينا ، والمصير إلى الهاوية . اللغة العربية : الشيء الثاني : القرآن هو الذي يربطنا ، خلد الله هذا الكتاب وشرف العرب بأن أنزله بلغتهم بداهة اللغة العربية عدو للإنجليز والفرنسيين ، عدو لليهودية والصلبية في العالم كله !! كيف استحيا اليهود لغة ميتة هي اللغة العربية ؟ ما كان ينطق بها أحد ، كيف جعلوها الآن لغة الطب والهندسة والعلوم والأحياء والفيزياء والكيمياء ؟ كيف أحياوا لغة ميتة ؟ وكيف نمي

نحن لغة حية ؟!! أتعجب ما أدهش له أن يجيء إنسان يعرف الإنكليزية فقط ليأكل عيشا في الخليج أو في المملكة العربية السعودية ، هذا القادم بلغة إنجليزية يريد أن يفرض علي أهل البلد أن ينتقلوا إلي لغته لأنه لا يتصور - هو - أن ينتقل إلي لغة الحيوانات ، هذه منزلتنا عند هؤلاء الخلق !! علينا أن نحقر اللغة العربية وأن نتركها كلغة تخاطب ، كلغة مكاتب ، حتى كتحية عابرة في الشارع !!

اللغة العربية لغة غريبة ، اللغة العربية ضيف ثقيل الدم يراد أن يذهب إلى حيث ألت !!

أما اللغة المحترمة فهي رطانة الإنجليز ورطانة الفرنسيين ، أما لغة القرآن فلا احترام لها فلتذهب إلى حيث ألت. هذا كفر، الأمة تکفر رويدا رويدا بتطليقها اللغة العربية و انسلاخها عنها.

خدعنا الاستعمار العالى ، كنت وأنا طالب في الثانوى أقرأ `الأهرام` فأحد المحاولات الجادة من كل ناحية لجعل اللغة العربية تنتشر ، فجأة اختراع الإعلاميون ما يسمى بـ`الفلكلور` ما الفلكلور إحياء لغة الرعاع و الشوارع و الأزقة و الحارات المنتنة.

لماذا ؟ لكي يزحم اللغة العربية و ينتهي بها.

لا بد من التعصب للغة العربية و إعادتها لغة رسمية و شعبية و لغة التخاطب و لغة الإعلام و العلوم في كل ناحية.

الحكم والممال:

الشيء الثالث : أريد أن أسأل نفسي وأسألكم : ما مسافة التخلف بيننا وبين العلم في الأمور الإنسانية العامة ؟

العالم الآن يحكم بالشوري ، هناك مجالس لوردات ، و مجالس عموم ، و مجالس كونجرس ، و مجالس نواب ، و هؤلاء لهم في الشوري أنظمه يضبطون بها أمرهم ، و يحكمون بها سياستهم ، و يوقفون نزوات الحاكم من أن تمضي في طريقها.

في هذا الوقت يخرج مرتزق في عالمنا يقول : الشورى غير ملزمة !!  
لحساب من تقال هذه الكلمة ؟ لحساب من يقال : إن الشورى في الإسلام صوره ؟

إن الرسول "صلى الله عليه وسلم" التزم بها في جميع غزواته ، ورأينا أول خليفة

للمسلمين يأتي عن طريق بيعة عامة من الجمهور ، ورأينا أول ميثاق بينه وبين الناس يقول فيه:

أيها الناس إني وليت عليكم و لست بخيركم ، إن أحسنت فأعينوني و إن أساءت فقوموني ، الصدق أمنه و الكذب خيانة ، و الضعيف فيكم قوى عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله ، و القوى فيكم ضعيف حتى اخذ الحق منه إن شاء الله ، أطيعوني ما أطعت الله و رسوله فإذا عصيت الله و رسوله فلا طاعة لي عليكم.

أسمع هذا من أبي بكر رضي الله عنه ، ثم أفاجأ بإنسان يقول عن الحاكم : لا يسأل عما يفعل !! لماذا ؟ إله ؟

المال: الأوربيون يسخرون منا و يقولون : المال العربي يراق في الشهوات و علب الليل و أندية القمار و لا يذهب إلى المصالح العامة !!

أريد أن أقف وقفه أحاسب فيها نفسي و قومي:

ما تصنعون في الشوري ؟ و ما تصنعون في المال العالمي ؟ هذا شيء لابد من مدارسته و أن تكون فيه على مستوى لا يسمح لأحد أن يسخر منا .

رجل إيطالي في الصومال تبنى ثلاثين ألف طفل مسلم ينشئهم على النصرانية !! رجل لديه مال وظفه في خدمة دينه 00 في إندونيسيا استطاعت حركات التبشير أن تصنع الكثير 00 محاولات الانقلاب الشيوعي في إندونيسيا خلفت نحو مائة ألف طفل لا عائل لهم ، تحركت أجهزة الكنيسة على عجل ، و بنت الملاجئ و المحاضن و الأماكن التي تجعل هؤلاء يتربون في أحضان الكنيسة !!



أين نحن ؟ لا أعرف ، نحن قوم نحسن الفتك بالثروات الضخمة أرخص الأغراض.

كيف نخدم ديننا:

الشيء الرابع : أين نحن من القدرة على خدمة مبادئنا بالإمكانات الصحيحة ؟

بمعنى : حزب ` تودا ` في إيران يستعد - الآن - للاستيلاء على الحكم ، كيف يستعد ؟ بالتعبير الشيوعي يقول : نجهز كوادر ، لديه ناس في التعليم العالي والمتوسط ، لديه ناس في الجيش ، لديه ناس في الصحافة ، لديه ناس في الطب ، لديه ناس في كل مكان.

بهذا يخدمون إفکهم وضلالهم ، فهل يخدم الإسلام بالجدل البيزنطي ولللغو الفارغ الذي يحسن بعض التافهين ؟

نريد أن يتوزع المسلمون من أصحاب الحمية والغيرة و النشاط على المجتمع كله ليكون للإسلام في كل ديوان ناس ينصرونه ، بحيث إذا تحرك الجهاز الإسلامي يوما تحركت ميادين وشوارع ومصالح وأجهزة كثيرة.

التجديد والتصحيح:

الشيء الخامس : ألغت النظر أخيرا إلى ما لا بد من النظر إليه ، نحن نريد أن نجدد أنفسنا وأن نجدد ديننا ، وأقصد بالتجديد أن نمنع كل درن لحق بجوهر هذا الدين و شأنه ، التجديد في الإسلام أن أعيد الدين سماويا كما نزل من عند الله ليس فيه غبار ولا عكار.

عندما أجدد في الإسلام لن ألغي نصا فهذا مستحيل ، لن آتي بعندى من شيء ، ولكن أبذل جهدي في أن أعود إلى ما كان عليه سلفنا الأول ، وسلفنا الأول كانوا رجالا عقلا

ذوي أدب وقدرة ، فهموا دينهم فهمما عامرا بالحكمة بالدقة ، واستطاعوا أن يحملوه للناس  
فدخل فيه الناس أفواجا .

وسأضرب لكم مثلا واحدا لفهم سلفنا للإسلام : سيدنا ريعي بن عامر رضي الله عنه رجل بدوي ، رفع الإسلام مستوى وجعله أحسن من أحسن فيلسوف في أوروبا ، ذهب إلى فارس ، فلماذا يقول في البلاط الفارسي ليعرض الإسلام ؟ إنه يرى أمة أكلها الذل ، يرى أن الكسروية هناك أرهقت الشعب بترفها وطغيانها ، فوقف - في هذا الجو - يعرض الإسلام نظام حياة وأمل جماهير ، بدأ يعرض هذا الدين فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرُجَ مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ إِلَيْهِ عِبَادَةَ اللَّهِ ، وَمَنْ ضيقَ الدُّنْيَا إِلَيْهِ سُعْتُهَا ، وَمَنْ جُورَ الْأَدِيَانِ إِلَيْهِ عَدْلٌ إِلَّا سَلَامٌ ﴾ . كلمات تدل على الوعي ، وسياسة راشدة تخامر الأفئدة ، هل أطمع أن يتحول المسلمون في أخلاقهم وتقاليدهم ومعاملاتهم وصلتهم بربهم وأدائهم لنسكهم ، هل أطمع أن يكونوا صورة تغري الآخرين ولو بمجرد التأمل في هذا الدين لعلهم يدخلون فيه ، أو لعلنا بتوبتنا إلى الله يعطف علينا ربنا وينقذنا من براثن الظلمة والفتاكين ؟ الأمر لا يحتاج إلى عبرية ، يدخل المسلمون في الإسلام ، هذا هو المطلوب ، فإن المسلمين الآن عبء على الإسلام أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الإسلام والشيوخية الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله أما بعد.. الشيوعية انتشرت في العالم ، واسمحوا لي أن أقول : إنني أعذر كثيرا من الناس ممن انتسبوا للشيوخية ، لماذا؟ أين انتشرت الشيوعية؟ الدولة الأولى لها روسيا ، الدولة الثانية لها الصين ، الدولة الأولى - التي هي روسيا - إذا استيقظ العقل الأوروبي فيها وجد نفسه محاطا بأمررين : الأمر الأول : فكرة عن العقيدة لا يهضمها فكر، ولا يقبلها عقل. أنا أعذر من يرفض قضية التثليث ، ربما انتقل منها إلى الجحود ، ولم ينتقل إلى التوحيد، والعيب هنا على من يحمل فكرة التوحيد، لم لم يعرف الناس بها؟ هات البديل إذا أردت أن تغير وضعا خطأ ، ويعجبني قول أحد شعراء المهاجر: لا تقل عن عمل ذا ناقص حيء بأوفى ثم قل ذا أكمل

الأمر الثاني : إذا استيقظ العقل الأوروبي ونظر إلى رجال الدين في أرجاء العالم الغربي فوجدهم يكملون الطبقة الأرستقراطية ، وهي طبقة متربة تعيش على كدح الآخرين ، على عرق العاملين، فإذا تألم الكادحون يوما وضاقوا ونظروا يلتمسون العون من أرض أو سماء فوجدوا رجال الدين هم الجناح الثاني للرأسمالية، فتكون الصيحة الطبيعية : اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس !! اعتبروا الدين مسئولا مع الحكم عن الظلم والظلم للذين وقع فيهما العالم ، وبهذا انتشرت الشيوعية هناك. لا عذر لنا : إذا كانت الشيوعية - لهذه الأسباب - مستساغة في أوروبا ، فهل كان هذا مستساغا بالنسبة لنا نحن العرب أو نحن المسلمين؟ إذا كان هناك عذر لمن كفر بالتثليث فما عذر من يعيش في جو التوحيد؟ وإذا كان هناك عذر لمن كفر برجال الدين الذين فرضا أنفسهم يكملون الاستبداد السياسي ، فما عذرنا نحن وعلماء الدين عندنا من الطبقات المتوسطة فما تحت ؟ ومع هذا فإن الشيوعية وجدت في بلادنا من يدفع عنها ويزور عرضها ، والسبب : ضعف الذين تبنوا الدعوة الإسلامية فلم يحسنوا تكميل البديل عند هؤلاء الذين طنوا أنهم وجدوا في الشيوعية ما يكفل لهم شيئا من الحرية الاقتصادية ، ولو عقلوا لعرفوا أنهم مغشوشون عشا هائلا . هذا ديننا : يجب أن نعرف أن الإسلام دين واسع دائرة العقيدة والشريعة ، فالدين عندنا إيمان ونظام ، وعبادة ومعاملة ، وشريعة وعقيدة ، ودين ودولة .. هذا الدين له امتدادات وآفاق لابد أن تعرف ، وكان جهودنا

كبيراً عندما كتبنا في توضيح النواحي الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام حتى ظن بعض الناس - لحماقتهم - أنني شيوعي !! وأنا عندما كتبت ' الإسلام والأوضاع الاقتصادية ' و ' الإسلام والمناهج الاشتراكية ' و ' الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين ' كنت بهذا أسد الطريق على الشيوعية حتى يعلم الناس أن في الإسلام عوضاً عن كل ما يفكرون فيه ، وهنا أحب أن أشرح للناس هذا العوض . أسس الشيوعية : تقوم الشيوعية على أمرين : على عقيدة فلسفية ، وعلى منهج اقتصادي .. العقيدة الفلسفية تتلخص في أن الحياة مادة ، وأن ما وراء المادة وهم ، وأن عالم الروح مزاعم وخرافات ، وبالتالي فكل كلام عن الله والدين والإيمان بالغيب واليوم الآخر مرفوض ، هذه هي العقيدة الشيوعية كما تحدث عنها أصحابها . الأمر الثاني : المنهج الاقتصادي يتلخص في قيام المجتمع على الشيوع ، ومن كل حسب قدرته إلى كل حسب حاجته ، ورفض حق التملك ، إلى آخر ما هو معروف عند القوم . تقول لي ما الدليل على ما قلت ؟ الدليل : سأقرأه عليكم من كتاب لي صدر في الخمسينات ، اسمعوا منه هذا الكلام هل يتصور أن يعيش في ظل السلطة الشيوعية إسلام ؟ إن الذين يجيزون ذلك إما أنهم لا يفهمون الإسلام ، وإما إنهم لا يفهمون الشيوعية !! فلنستمع إلى كلمات رؤساء الشيوعية في الدين كله ، حتى يستتبين

الأمر . إن `كارل ماركس` و `فريدريك أنجلز` - و هما الفلاسفة الأول للشيوعية ، وواضعو جرثومتها في الأرض - يقولان بالmadia المضحة و يصرحان بأن العالم شيء واحد لم يخلقه أي إله أو أي إنسان ، و أنه كان و لا يزال وسيظل شعلة حيه إلى الأبد تشتعل و تنطفئ تبعا لقوانين معينه .. !! و يقول `لينين` : الدين أفيون الشعوب ، و رجل الدين يعمل على تخدير أعصاب المظلومين و الفقراء و جعلهم يستكينون للذل والبؤس !! و يقول أيضا : ليس صحيحا أن الله هو الذي ينظم الأكونا ، إنما الصحيح أن الله فكرة خرافية ، اختلقها الإنسان ليستر عجزه ، و كل شخص يدافع عن هذه الفكرة فهو جاهل ضعيف !! و يقول `ستالين` سنة 1944 : نحن ملحدون ، نعتقد أن الدين يعرقل تقدمنا ، و نحن لا نحب أن يسيطر الدين علينا لأننا نكره أن نعيش سكارى . هل هذه الأفكار آراء شخصيه لأصحابه ؟ لا ... أنها أسس التوجيه الذي يجب أن يسود كل الأرجاء التي وقعت في براثن الشيوعية .. فمنذ سنة 1928 م و : `ستالين` يقول : يجب أن تقوم التربية في المدارس علي مبدأ إنكار الدين وحد الألوهية .. وفي سنة 1933 م صرخ الرئيس الشيوعي بأن الثقافة النافعة هي التي تحرر عقول الناس من استبداد الدين ، والتعليم النافع هو الذي يشيع الإلحاد ، والرأي العام الصالح هو الذي لا يؤمن بأي أفكار سوي الأفكار الماركسيه . ويستحبيل أن ينتسب إلى الحزب الشيوعي إلا شخص موغل في الكفر بالله وكتبه ، ليس لتعاليم السماء من أي مله ظل في نفسه أو سلطان علي قلبه .. !! فإذا ظهرت عليه أعراض تدين ما طرد من الحزب فورا .. ومن الخيانات أو الجرائم أن يري موظف شيوعي في بيت للعبادة !!

ونترك ماركس ، ولينين ، وستالين .. ونستمع إلى ` خرشوف ` - وكان لا يزال حاكماً عندما صدر هذا الكتاب - أتحسبه خيراً من أسلافه في هذا المضمار ؟ كلا .. إن كفره بالله واليوم الآخر لا يقل ذرة عن كفرهم إن لم يزد ، ففي الأخبار التي نشرتها صحيفة ` التيمس أوف إينديا ` الصادرة في ` بومباي ` 1961/9/10 م جاءت هذه العناوين : خرشوف يؤمن بجنة الأرض فقط ، أمل في التقدم ولا خوف من الحرب ، ثم قالت الصحيفة وأيدتها في ذلك ` نيويورك تايمز ` نفلاً عن مراسلها في موسكو : ` لا توجد جنة سوي ما يمكن أن نوجده نحن على الأرض . هذا لي أي حال ما يؤمن به مسْتَرْ خرشوف الرئيس السوفيتي ، فقد أرسل إلى الفضاء الميجور ` جاجارين ` والميجور ` تيتوف ` لتحقيق هذا الأمر وقد قرر ذلك !! أبدى الرئيس السوفيتي هذه الملاحظة المضحكة خلال إحدى مراحل حديثنا يوم الثلاثاء الماضي ، وقد كان ذلك جزءاً من مناقشة شبه فلسفية تناولت بين الجد والهزل بسب السؤال التالي الذي وجه إليه : ألا تعتقد أن الشيوعيين الملحدين الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر يجب أن يخافوا الحرب أكثر من المؤمنين الذين يعتقدون في الحياة الآخرة بعد الموت ؟ المؤمنون !! ؟؟ كان مسْتَرْ خرشوف بادي السرور من التحول المفاجئ في الحديث عن تحليل مشكلات الأرض المعقدة ، فخلع نظارته وصمت لحظة ثم قال : سؤال لطيف جداً ، ويسرني أن أجيب عليه .. لقد عشت كثيراً ، ورأيت كثيراً ، رأيت الحرب ورأيت الموت ، ولكن لم أر أي شخص - حتى من رجال الدين الذين يعتبرون أنفسهم أقرب إلى الله ،

ويعرفون عن الحياة الأخرى أكثر من غيرهم - يتوجّل ترك هذه الحياة !! وأضاف قائلا : إن الإستعماريين والإحتكاريين والاستغلايين الذين يقولون أنهم أيضاً يؤمنوا بالله - على الرغم أنهم أقرب إلى الشياطين - لا يتوجّلون مع ذلك دخول الحياة الأخرى !! وهم يعملون على إرسال جنونهم للحروب وأعدن إياهم بالجنة بعد الموت بينما هم أنفسهم طول البقاء على هذه الأرض بجوار ممتلكاتهم وصادقهم من الذهب والدولارات !! حتى المؤمنين لم لالاحظ قط أي رغبة خاصة بينهم للموت حالا !! وانفجر سكرتير الرئيس ضاحكا بصوت مرتفع .. بينما استطرد خرشوف قائلا في مرح : إن كثرة الشعب السوفيتي غير المؤمن - على الرغم من وجود المؤمنين والمتدينين فيما بيننا - يفضلون الحياة الدنيا وليس لديهم الرغبة في الذهاب إلى الجنة ، إنهم يريدون جنة على الأرض ، أما عن الجنة التي في السماء فقد سمعنا عنها كثيرا من القساوسة .. ثم قال في سخرية : ولقد قررنا البحث بأنفسنا عنها ، فيبعثنا في البداية إلى الفضاء الخارجي مكتشفنا الأول ` يوري جاجارين ` الذي طاف حول العالم ولم يجد شيئاً في الفضاء الخارجي ، بل قال : إن هناك ظلاماً شديداً وليس هناك جنة عدن أو ما يشبه تلك الجنة !! ولذا قررنا إرسال مكتشف آخر فأرسلنا ` جرمان تيتوف ` وأمرناه أن يطير يوماً كاملاً حيث أن جاجارين لم يمكث هناك في الفضاء سوى ساعة ونصف فقط مما جعلنا نشك في أن يكون قد ضل الطريق إلى الجنة ، وأخبرناه أن يلقي نظر فاحصة فقام بذلك التكليف وجاء مؤكداً نتيجة جاجارين وقرر أنه لا يوجد شئ هنالك على الإطلاق !!

وأضاف مستر خرشوف : إن هذا لا يعني أن الشعب السوفياتي لا يقاتل لأنّه لا يعتقد بوجود الحياة الأخرى ، إن شعبنا شجاع ، كما قال أيضا وبقوّة : إن `هتلر` قد اكتشف ذلك ولكن قد ذهب الآن هو وأعوانه . وأنه مسّتر خرشوف حديثه بهذه الملاحظة ، إذ قال : نحن الشيوعيين لا نؤمن بالحياة الأخرى ، ونريد أن نعيش هنا ونقدم في سلام . هذا هو ما قاله زعماء الشيوعية ، وقد نقلت نصوصاً لبعض قوانين العقوبات التي يعاقب بها من يجرؤ على تعلّيم ابنه الدين وهذه النصوص موجودة في كتابي `الإسلام في وجه الزحف الأحمر` والكتاب طبع أربع طبعات في الخارج ، وكان ممنوعاً دخوله هنا ، ثم أصبح دخوله منذ شهر . لا .. للشيوعية : أريد بعد أن وضحت أن الشيوعية لا صلة لها بالدين أن أقول : إننا نحن المسلمين نؤمن بالله إيماناً راسخاً ، ونشعر أنه هو الذي يطعمنا ويسقينا ، ونشعر بأن الكسوة التي تستر أبداننا هي من فضله ، ونشعر بأن ما في أبصارنا من نور ، أو ما في أذاننا من سمع ، أو ما في افكارنا من رشد ، أو ما في أجسادنا من طاقة ، ذلك كله هبة من الله - جل جلاله - علينا ، فلا نحن ولا أمهاتنا ولا آبائنا صنعوا عينا ولا أذنا ولا فكرا .. والنبي صلي الله عليه وسلم كان يحس هذا الإحساس عندما يضع جبهته وهو ساجد لله يقول : `سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين` .

الالوهية عندنا واضحة ، الله واحد ، ليس قطاعا عاما ، ولا شركة مساهمة : "إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدَهُ" . كيف نعرف وجوده ؟ كيف نعرف صفاته ؟ قال لنا : لكم عقول فكروا ، لكم عيون انظروا إلى المملكة الكبيرة التي أنشأها ، انظروا إلى الأرض التي تحيون فوق أديمها ، إلى السماء التي تظلمكم بما فيها من كواكب وهباء وفراغ واسعة معروفة وغير معروفة ، انظروا إلى كل هذا : "أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلْكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ" . الإسلام بنى التوحيد والإيمان على العقل حتى صياغة رسالة نوح - في كتابنا - صياغة عقلية ، فنوح يقول لعبدة الأصنام : "مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا أَلَمْ تَرُوا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سَرَاجًا وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يَعِدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سِبَلاً فَجَاجًا" . بنى الإسلام قضية الإيمان على العقل الذي ينظر ويفكر ، وعندما بين أن إبراهيم عرف ربه قال : "وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رِشْدَهُ" عرفه بالرشد ، ولما فكر إبراهيم في الملوك ، قال جل جلاله : "وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مِلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوْقَنِينَ" . فلإسلام دين بنى الإيمان على النظارات العقلية والفكر السليم ، وقال : "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلْفَ لِلَّيلِ وَالنَّهَارِ لِآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَذَكَّرُونَ اللَّهُ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَى جَنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبُّنَا مَا خَلَقَ هَذَا بَاطِلًا سَبَحَانَكَ فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ"

ليس في ديننا ما يرفضه العقل ، وأدلة العقيدة عندنا أدلة سخية ، والإيمان عندنا متجاموب مع الفطرة البشرية . منهج الإسلام في الحياة الاجتماعية : نجئ الآن - بعد العقيدة - إلى منهج الإسلام في الحياة الاجتماعية . اعترف الإسلام بمبدأ التملك ، وأعطي المبدأ حق الحياة وشجعه ونشرته ، لماذا أقر مبدأ التملك ؟ أولاً : إقرار الإسلام لمبدأ التملك جزء من الفطرة الإنسانية ، لأن الإنسان يجب أن يملك . ثانياً : أقر الإسلام بمبدأ التملك تنشيطاً للعمران ، وبناء للحضارة ، ودفعاً للنشاط الإنساني بأعظم طاقة ممكنه لأن الإنسان أفضل شخص يثمر ماله ، ورأينا هذا ، فمع انعدام الحافز ، وضعف الضمير ، وقلة الحيلة خسر القطاع العام كثيراً ، وتخلفت الدول الشيوعية كلها . حق التملك في الإسلام : والدليل على احترام الإسلام لمبدأ التملك ، نقرأ في القرآن : "وَلَا تَؤْتُوا السُّفَهَاءِ أَمْوَالَكُمُّ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ

قياماً" ويقول جل شأنه "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ" ويقول : "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم" . فالإسلام اعترف بحق التملك وبني عليه - قرآنيا - المواريث والبيوع والتجارات والإجارت وما إلى ذلك.

أما التملك في السنة المطهرة ، فقد احترم الرسول صلي الله عليه وسلم حق التملك وحضر كل ماله أن يرفض البغي والعدوان علي ما يملك ، وفي هذا يروي مسلم في صحيحه أن رجلا جاء إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال له : أرأيت إن جاء رجل ي يريد أخذ مالي ؟ قال : فلا تعطه مالك ، قال : أرأيت إن قاتلني ؟ قال : قاتله ، قال : أرأيت إن قتلني ؟ قال : فأنت شهيد ، قال : أرأيت إن قتله ؟ قال : هو في النار.

الدفاع عن المال شهادة ، فمبدأ التملك قائم في دين الله ، والنصوص في هذا متواترة تبلغ حد القطع الجازم.

قيود لابد منها:

هل الإسلام إذا احترم مبدأ الملكية تركه حرا في الحياة يتصرف كيف يشاء ؟ لا .. أحاطه بقيود كثيرة.

لعل أول قيد نلتفت النظر إليه : أنه أهدر كل تملك من باطل ، فإذا سرق أحد أو غش أو نهب أو قامر أو خدع أو احتقر فكل هذا حرام ، وفي الحديث : لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ، النار أولي به.

فأول ما قيد به الإسلام مبدأ التملك رفض العدوان علي حقوق الآخرين .

ولو أن كل إنسان اجتهد في أن يحرر كسبه من الباطل لا تشكو الدنيا من شئ . فالساحت لا كرامة له ، والظلم لا يؤدي إلا إلى النار ، وخصوصا في الأرض الزراعية ، ففي الحديث من ظلم قيد شبرا من الأرض طوقة من سبع أرضين ـ القيد الثاني : فرضنا أنك ملكت من حلال محسن فما الذي يقيد به مالك إذا ملك من حلال محسن ؟ لابد أن تنظر إلى المجتمع وتنفق في مطالبه .. بعض الناس يظن أن الحق الوحيد في هذا هو الزكاة ، لا .. صحيح أن الإسلام فرض زكوات كثيرة ، فرض في المال ، وفرض في الأموال ، وفرض في عروض التجارة ، وفرض في الزروع والثمار ، وفرض في الركاز .. ومع كل هذا فإن نصوص القرآن و السنة اعتبرت الزكاة الحق الأول لا الحق الوحيد . قال تعالى : "لَيْسَ الْبَرُّ أَنْ تَوْلُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكُنَّ الْبَرُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حِبَّهِ ذُوِّيِ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمَوْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَااهَدُوهُمْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَقْوَنُ" فالآلية ذكرت حقين الله في المال ، الأول : ـ آتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب....ـ والثانى : ـ وأقام الصلاة وآتى الزكاة ـ . فالترتيب هنا أن إيتاء الزكاة جاء متاخرا بعد إيتاء المال للأصناف المذكورة في الآية .

إذا كان إبلك تشرب وجاء محتاج أو مسكيٍّ فأعطه من ألبانها يشرب ، ففي البخاري عن النبي صلي الله عليه وسلم : ` من حق الأبل أن تحلب على الماء ` . وجاء في الحديث : ` ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به ` . وجاء أيضاً : ` من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد برأ من الله تبارك وتعالي وبرأ الله تبارك وتعالي منه وأيماً أهل عرصة أصبح فيهم أمرٌ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالي منهم ` . إذا قبل الإسلام الغني ، لكنه أوجب على الأغنياء بذلا ربما كلفهم كل ما زاد عندهم إذا احتاج المجتمع ، وفي القرآن الكريم : " ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو" أي ما زاد . في أيام الهجرة وحاجة المجتمع إلى التكافل كان النبي صلي الله علي وسلم يقول بقوه : ` من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث وإن أربع فخامس أو سادس ` . وهذا حق ، فأغلب الناس يأكل أكثر مما يحتاج بدنـه ، ولو ما أكله زائداً ذهب إلى غيره لكان خيراً له ، وقد رأى النبي صلي الله عليه وسلم رجلاً .

سمينا فجعل النبي صلي الله عليه وسلم يومئ إلى بطنه : ` لو كان هذا في غير هذا  
لكان خيرا لك . وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلي الله عليه  
 وسلم : ` من كان معه فضل ظهر فليعد به علي من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد  
 فليعد به علي من لا زاد له ، قال : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد  
 منا في فضل ` . الإسلام - فعلا - قام علي هذا التكافل الغريب ، وجعل الأمة متماسكة .

يقول ابن حزم الطاهري في كتابه المحلي : " وفرض علي الأغنياء من أهل كل بلد أن  
 يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان علي ذلك ، إن لم تقم الزكوات بهم ، ولا في سائر  
 أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لابد منه ، ومن اللباس للشتاء  
 والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكفيهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة " . هذا هو  
 الإسلام ، ولا أعرف في الأولين والآخرين دولة سيرت جيشها لاستخراج الزكاة وإعطاء  
 الفقراء حقهم إلا الدولة الإسلامية الأولى . اعتراض ورد عليه : ربما قال بعض الناس :  
 تريدون تكوين مجتمع من الصدقات ؟ تريدون أن تقوم المجتمعات علي ما يرمي إليها من  
 فضلات الأغنياء ؟ !

والجواب : لقد ردت علي هذا الكلام في كتابي ` من هنا نعلم ` وأقول : هذا التفكير خطأ ، فإن الصدقة التي يخرجها الإسلام إنما تكون في طوارئ المرض أو العطل .. إنسان عاجز يعان ، إنسان تعطل فجأة يعان ، أما العامل القوي أو الغني فم يجوز لهما أن يأخذا من الزكاة . وفي هذا يقول النبي صلي الله عليه وسلم : ` لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي ` ذي مرة : يعني قوي ، فالمرة : هي القوة ، سوي : يعني سليم الحواس والعضلات والأعضاء . فإذا كان قويا سليما فلا يأخذ من الصدقة ، أنت مكلف بتقديم عمل له ، أنت من ؟ الدولة ، الدولة مكلفة بتقديم عمل له ، وهذا ما فعله النبي صلي الله عليه وسلم . فقد ورد أن رجلا من الأنصار أتي النبي صلي الله عليه وسلم يسأله ، فقال : أما في بيتك شيء ؟ قال : بلي : حلس - كساء يفرش في البيت - نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب إماء - نشرب فيه الماء ، قال : أئنتني بهما ، فأتاهم بهما ، فأخذهما رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال : من يشتري هذين ؟ - يعني أجري مزادا عليهما - قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال : من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثة ، قال رجل أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين ، وأعطاهما الأنصاري وقال : اشتري بأحدهما طعاما وانبذه إلى أهلك ، واشتري بالآخر قدوما فآتني به ، فشد رسول الله صلي الله عليه وسلم عودا بيده ثم قال له : اذهب فاحتطب ويع ولا أرينك خمسة عشر يوما ، فذهب الرجل يحتطب ويباع ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما ، وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

هذا خير لك من أن تجيء المسالة نكتة في وجهك يوم القيمة ، إن المسالة لا تصلح إلا لثلاث : لذى فقر مدقع - الفقر الشديد الذى يفضى به إلى التراب ، أو لذى غرم مفطع - الديبة الفظيعة الفادحة - أو لذى دم موجع - الديبة يتحملها فترهقه وتوجعه . معنى هذه القصة أن الإسلام حرم تحريمًا باتا التسول . وفي الحديث : ولا فتح عبد بباب مسألة إلا فتح الله عليه بباب فقر . وفي الحديث أيضًا : ` من نزلت به فاقعة فأنزلها الناس لم تسد فاقته ومن نزلت به فاقعة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل ` فالتسول لا يجوز ، والذين احترفوا التسول قال فيهم : ` من سأله ما يغنيه جاءت خموشا أو كدحا في وجهة يوم القيمة ` فالإسلام طارد التسول ، وعلى المجتمع أن يبحث له عن عمل ، وقد جاء في الحديث ` كلكم راع فمسئول عن رعيته ` ، فالامير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم .

نظر أحد العلماء في الموسم الجامع - يوم عرفة - إلى الجموع المحتشدة ، وكان قريبا من هارون الرشيد ، فقال له : يا هارون انظر إلي هؤلاء ، فنظر ، فقال له : ماذا رأيت ؟ قال : ناس تحج ، فقال له : يا أمير المؤمنين : كل واحد من هؤلاء مسئول عن نفسه أما أنت فمسئول عن هؤلاء جميعا !! لا يجوز ترك واحد منهم يتسلو وهو قادر علي العمل ، جهز فرص العمل لهؤلاء . حساسية الحاكم الأول بهذا هي التي جعلت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : لو عثرت بغلة بالشام لحسبت عمر مسئولا عنها لم تسو الطريق لهل يا عمر ؟ !! فإذا كان مسئولا عن تسوية الطريق لبلغه أفالا يسأل عن كفالة الحياة لكل مسلم ؟ لكل .. بل أكثر من هذا لقد اعتبر نفسه مسئولا عن كفالة الحياة ليهودي وحده يتسلو لأنه عاجز ، قال له ما أنصفناك وأمر له بمرتب من بيت المال !! بين العامل وصاحب العمل : يجيئ شئ آخر وهو : العلاقة بين العامل وصاحب العمل . إن التظالم قد يقع بينهما ، وهذا هو المدخل للشيوعية ، فان الشيوعية تقول : العامل - مثلا - يستحق جنيها فيعطيه صاحب العمل نصف جنيه ، وينتفع هو بالنصف الآخر ، وهذا هو الظلم والفساد .

الإسلام لم يترك هذه الناحية ، وألفت النظر . هنا - إلى ما كتبه ابن تيمية وابن القيم في السياسة الشرعية في هذا الموضوع ، وألفت النظر أيضا إلى ما كتبه ابن حزم الظاهري في المحلى فيما يتصل بهذا الموضوع . فالفقه الإسلامي يضع تسعيرا للملكات والمواهب والخدمات العامة ، وهو ما صنعته الدول حديثا يعني إذا اختلفت جماعة من الحمالين أو الخبازين في أمر فأن الحاكم يتدخل لمعرفة الثمن العادل الذي تقوم به هذه الخدمة ، ثم يفرضه ويحمل علية الطرفين . هذا ما تصنعه إنجلترا . الآن - فإذا حدث خلاف بين نقابات العمال وأصحاب رؤوس الأموال فأن المحكمة تتدخل بطريقة قضائية وتزن الموضوع بدقة ، لماذا ؟ أولا : لرفع المستوى المعيشي ، وهذا حق العامل . ثانيا : لا يريد تضخما في الدولة ، وهذا حق الدولة . ثالثا : لا يريد ظلم صاحب المال ، وهذا حق صاحب المال . وهذا ما أفتى به ابن تنمية وابن القيم في كتب السياسة الشرعية عندنا من قديم . أحكام المزارعة : فيما يتصل بأجور الزراعة حدث خلاف كبير بين فقهاء المسلمين : فابن حزم يرفض إجارة الأرض رفضا باتا لأنها تشتمل على ظلم ، ويستدل بحديث من كانت له أرض فليزرعها فأن لم يستطع أن يزرعها وعجز عنها فليمنحها أخاه المسلم ولا يؤاجرها إياه

ومن النبي صلی اللہ علیہ وسلم علی أرض تهتز زرعا فقال : `لمن هذه ؟ فقالوا اکترها فلن فقال : أما انه لو منحها إیاہ كان خيرا له من أن يأخذ عليها أجرا معلوما ` السنن - في الحقيقة - تجيء بأشياء كثيرة ، وقد فسر العلماء هذه الأحاديث ، فقد قال صاحب سبل السلام : ` في النهي عن المزارعة أحاديث ثابتة ، وقد جمع بينها وبين الأحاديث الدالة على جوازها بوجوه : أحسنها أن النهي كان في أول الأمر لحاجة الناس وكون المهاجرين ليس لهم أرض فأمر الأنصار بالتكرم بالمواساة ثم بعد توسيع حال المسلمين زال الاحتياج فأبيح لهم المزارعة وتصرف المالك في ملكة بما ساء من إجارة وغيرها ومعنى هذا التشريع أن المقنن يستطيع أن ينظر لحاجة المجتمع ويتصرف . والمعنى الذي قيل في المزارعة قيل في الأضاحي ، فقد روي أن النبي صلی اللہ علیہ وسلم نهي عن ادخار لحوم الأضاحي ، ثم - بعد ذلك - أباح الادخار ، لماذا نهي ، ولماذا أباح ؟ والجواب : نهي عندما كانت هناك أزمة وحاجة فلما زالت الأزمة والحاجة أباح الادخار . ففي الحديث : "من صحي منكم فلا يصبحن بعد ثلاثة وفي بيته منه شيء" فلما كان العام الم قبل قالوا : يا رسول الله نفعل كما فعلنا عام الماضي ؟ قال : كلوا و أطعموا و ادخرموا ، فان ذلك العام كان بالناس

جهد فأردت أن تعينوا فيها ” . بعض الفقهاء قالوا : نسخ الأمر بالادخار النهى عن الادخار .. هذا غير صحيح ، و الفقه الصحيح أن يقال : لا نسخ هنا ، إنما الأمر يتبع المجتمع . وهكذا نجد التشريع الإسلامي يقوم على رفع الحرج و منع المشقات . إذا النظام الإسلامي اعترف بحق الملكية و لكنه أثقله بالحقوق التي تجعل هذا الحق نافعا لأصحابه و للمجتمع . لقد استعرضت النظم الاشتراكية في العالم فوجدت أن هذه النظم ليس فيها من التعاليم ما في ديننا من ضمانات لرعاية الطبقات كلها . تطبيقات عملية : - هل كان العهد الأول عند مستوى هذه التعليمات ؟ نعم . كان عند مستوى هذه التعليمات ، فدون أن توجد مصلحة ضرائب ، ودون أن يوجد تجنيد إجباري ، كان بمجرد أن يقال : نريد الزحف على ” تبوك ” لتأديب الرومان الذين يريدون الهجوم علينا أو الذين قتلوا رجالنا ، بمجرد أن يقال هذا يتقدم ثلاثة ألف شخص متطوعين !! بمجرد أن يقال : نريد المال ، يجيء الأغنياء وفي طليعتهم الرجل النبيل عثمان بن عفان رضى الله عنه فيفتح خزائنه كلها لله ، لقد جهز - الرجل - جيشا من ماله الخاص !!

نجيء إلى الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز رضي الله فنجد أن الرجل راقب المجتمع الإسلامي على عهده ، وراقب إخراج الزكاة ، حتى جاء الأغنياء بزكواتهم إليه يقولون : لم نجد من يأخذ الزكاة .

وسع عدل عمر الناس جميعا فأصبحوا في عافية ورحمة وغنى وسماحة .

فلما وجد عمر أنه لا يوجد فقير يأخذ الزكاة أمر أن يشتري بها عبيد و يحرروا .

هذا ما صنعه السلف الأول عندما كانت الضمائر تحل محل القوانين .  
أني أقول : كلما كثرت القوانين في المجتمع دل هذا على الهبوط الاجتماعي والأخلاقي في المجتمع ، لأن المجتمع الرفيع تحكمه التقاليد .

هذه صورة حية للإسلام وأملى أن يجيء اليوم القريب الذي يطبق فيه الإسلام فيكون - في بلادنا - دينا ودولة ، عقيدة وشريعة ، إيمانا ونظاما ، وبهذا نسعد الآخرين .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكلم .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآلـهـ .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ، ،





الإسلام والعلمانية السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . عرفنا من كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم أن الإسلام عقيدة وشريعة ، عبادات ومعاملات ، إيمان ونظام ، دين ودولة . وعرفنا من كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم أن الإسلام عقيدة وشريعة ، عبادات ومعاملات ، إيمان ونظام ، دين ودولة . وعرفنا من دراساتنا ومن التطبيقات الواقعية التي ورثتها أن الدولة التي يقيّمها الإسلام لا توصف بأنها علمانية ..... ولا توصف بأنها دينية على النحو الذي يفهمه الناس من كلمة دين ، ومن الإيحاءات المحيطة بالحكومة الدينية كما عرفت في القرن الوسطى في أوروبا . لا توصف الحكومة التي يقيّمها الإسلام بأنها علمانية ، لماذا ؟ لأنها لا توصف الحكومة التي يقيّمها الإسلام بأنها علمانية ، لماذا ؟ لأنها حكومة ليس اهتمامها منصبا على توفير "الخبز" للناس ، بل هي كما تهتم بتوفير الخبر تهتم بإقامة الصلاة . ليست الحكومة التي يقيّمها الإسلام حكومة معنية برفع مستوى المعيشة للأمة وتوفير أنواع من المرفهات تجعل الحياة رطبة أو حسنة ، وينتهي واجب الحكومة ورسالتها عند هذا الحد ، بل تهتم الحكومة في الإسلام بدقة وبوضوح عندما قال : "الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور" فإذا كانت بعض الدول الآن ، أو إذا كانت الدول الأوروبية بشقيها الشيعي والصلبي ترى أن هدفها الأساسي هو رفع مستوى المعيشة أو توفير مقدير كبيرة من المرفهات تجعل حياة الأمة أنضر وأنعم فإن هذا المعنى يتجاوزه الإسلام . لأنة يتجاوز الدنيا إلى الآخرة ، ويتجاوز الجسد إلى الروح ، ويتجاوز عالمنا المادي إلى ما يرضى رب الناس الذي أبدع المادة والروح معا ، وله حقوق لابد أن نؤديها ، وله معلم لابد أن نتعرّف عليها ونقف عندها . إن الحكومة في نظر الإسلام حكومة ولاؤها لله ، وانتماؤها لهذه العقيدة ، وعملها أن تتبين هدایات الله في النفس والمجتمع والدولة ، ثم تمشي في ضوء هذه الهدایات كي ترضى ربها وتحقيق بذلك سعادتها في الدنيا والآخرة .. فهى من هذه الناحية ليست دولة علمانية . الإسلام يرفض الهدف أو الغاية التي تحدّت في الحضارة الغربية بشقيها الصلبي والشيعي ، والتي تجعل الأرض الأمل والهدف والغاية .. ونحن لنا رسالة أخرى نقيمها إلى جانب إقامة أبداننا ، وإلى جانب إقامة حياتنا المادية .

هل نحن أمة تقيم حكومة دينية ؟ هذا موضوع أريد أن أقف عنده وقفه فيها شيء من التأمل ، فإن كلمة `حكومة دينية ` الكلمة مزعجة ومخيفة ، لأن الحكم الديني في التاريخ الذي عرف به حكم كالح ، ومن حق الإنسانية أن تنفر منه ، لأن الحكم الديني عرف بأنه حكم متغصب ، والتعصب يستغلaci في الذهن يجعل الإنسان لا يفهم إلا نفسه ولا يرى غيره شيئا ، وهذا التعصب له في مسيرة الحياة اتجاهات ووصايا يرفضها العقلاe ويرفضها ديننا نفسه . إنني ألفت النظر إلى أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من هو عندما طعن وعرف أنه منتقل إلى الله أخذ يكتب ويسجل وصيته لمن حوله ، فجاء في هذه الوصية : `أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة ` !! لقد استغربت ، وغيري يستغرب ، أي رجل دين أو حاكم دين في القارات الخمس أثر عنه أو عرف أنه أوصي وهو في آخر مراحل الدنيا وأوائل مراحل الآخرة بالشيء الذي يعز عليه ، ويهتم به ويكثر له ؟ هل نجد هذا في فلسفة من الفلسفات ، أو في دين من الأديان ، أو في نظام من الأنظمة ؟ ! ما عرف هذا ، ولكنه الوفاء والشرف في معاملة من لا يدين ديننا . هذا شيء تميز به تاريخنا . كما تميز به تراثنا النظري ، مما يجعلني أقول : إن الحرية الدينية ابتداع إسلامي ، فما عرفت الحرية الدينية على هذا النحو إلا في تراثنا نظريه و تطبيقيا على الأعم الأغلب في تاريخنا كله ، ولا يخلو تاريخ من هنات ، لكن تاريخنا لا يعرف له نظير.

إن كلمة : "لكم دينكم وللي دين " ما عرفت إلا عندنا ، إن كلمة : "لي عملي ولكم عملكم  
أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون " ما عرفت إلا عندنا . فكلمة `دوله دينية`  
بمعنى التعصب ، أو بمعنى الضن بالكرامة المادية والأدبية على الآخرين لم يعرف في  
تاریخنا ، ولذلك أرفض أن أصف حکومتنا التي يقيمها الإسلام بأنها حکومة دینیه بهذا  
المعنى الذي يتب إلى أذهان الأوربيين ، والذي نقله الاستعمار الثقافي إلى أعداد كبيرة من  
الغوغاء التي قرأت كثيرة من الكتب ، ولكن لا تتحقق لها ولا علم ، وظنت أن الإسلام حينما  
يقيم دولته الدينية يصنع ما صنعه الذين أقاموا "محاكم التفتيش" في إسبانيا . وقد دخلنا  
إسبانيا ، وكلكم يعرف كيف دخلناها فعشنا وعاشت الأديان الأخرى معنا ، بل قيل : إنه لو لا  
ظهور الإسلام لفنيت اليهودية !! ثم استولى الأسبان مرة أخرى على الأرض فما بقي فيها  
إسلام ، وكما قال الشاعر : ملکنا فكان العفو منا سجية فلما ملکتم سال بالدم أبطح  
فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إباء بالذى فيه ينضح وقامت الدولة الإسلامية وكما قال  
الأستاذ العقاد : ` التفكير فريضة إسلامية ` يوم يكون التفكير معصية في بعض الفلسفات أو  
في بعض الأديان فالتفكير عندنا فريضة ، وعمل العقل عندنا لابد منه لصنع الإيمان ، وديننا  
هو الدين الذي يقول - وما سمعت في ديانة أخرى مثل هذا القول : "هاتوا برهانكم إن كنتم  
صادقين" . القرآن يناقش : "أَمْنَ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدهُ وَمَنْ يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهٌ  
مَعَ اللَّهِ قَلْ هَاتُوا بِرَهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. "

ومع الإله الذي نظر إلى ملوكه الرحب ، وإلي إتقانه هذا الملوكوت ، وإلي ما أودع في صفحاته من صور وأسرار وعجائب ، ومع تعجبيه العباد لما صنع : "ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا" .. "انظروا إلى ثمرة إذا أثمر وينعه" . في كتاب `التفكير فريضة إسلامية` للأستاذ العقاد ، ذكر بين يدي بحثه نحو ثلاثة آية تحدثت عن العقل الإنساني ووظائفه وطرائق فكره والسداد الذي يصل إليه .. علي هذا المنهج قامت حضارة إسلامية ، ما أحب أن أتحدث عنها - الآن - حديثاً موسعاً ، بل سأكتفي بنصين أقرأهما عليكم ، وقبل أن أقرأ أقول : إن المسلمين الآن - للأسف - أصبحوا العالم الثالث ، ولكنني سأذكر لكم شيئاً يوم كان آباءكم العالم الأول ، لقد بقيتم العالم الأول نحو ألف سنة ، إن فردم عدد قرون بالأولية ، ما شارككم فيها أحد ، ربما شارككم بعد ذلك في الأولية أحناس أخرى ، لكننا انفردنا بالأولية عدة قرون ، حوالي ألف سنة كنا العالم الأول . وأمامي الآن كتاب `القرآن والمنهج العلمي المعاصر` للمستشار عبد الحليم الجندي ، سأقرأ منه خطاباً أرسله ملك إنجلترا إلى الخليفة هشام . يقول المؤلف : حسب القارئ بياناً لسعة مدى الانتفاع بعلوم الأندلس في عالم الظلمات الأوروبي خطاب صادر إلى الخليفة هشام الثالث الذي حكم في القرن الحادي عشر الميلادي ، وفي نصه غني عن التفصيل في شأن أوربا وأهلها ، وشأن الأندلس وعلومها ، هذا نصه : من جورج الثاني ملك إنجلترا وفرنسا والنرويج إلى الخليفة هشام الثالث : بعد التعظيم والتوقير ، سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم في بلادكم العاشرة فأردنا لبلادنا إقتباس هذه الفضائل لننشر أضواء العلم في بلادنا التي يحيطها الجهل من أركانها الأربع ، وقد وضعنا ابنه شقيقتنا الأميرة دوبانت على راس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز من خادمكم المطيع جورج !! وجاء في الهاشم أن هذا الخطاب ورد في كتاب `العرب عنصر السيادة في القرون الوسطى` وأورد المؤرخ التركي عبد الرحمن شرف ، في كتاب `التاريخ العام` أن هذا الخطاب ألحقت به هدية شمعدانات من الذهب الخالص طول كل منها ذراعان مع 22 قطعة ذهبية من أواني المائدة !! انظر كتاب الأزهر في عيده الألفي ص 189 `هذا أول خطاب ، أما الخطاب الثاني ، فقد أقيم عن ابن خلدون ملتقى في الجزائر ، وتكلم في هذا الملتقى علماء مصريون ومغاربة وغيرهم ، وتكلم المؤرخ المغربي عبد الهادي التازي عن ابن خلدون وقال : هناك ماخذ على ابن خلدون ، هذه المأخذ تتلخص في أنه لم يهتم كثيراً بالمكاتبات التي كانت بين ملوك

المغرب وملوك أوريا ، وذكر علي سبيل المثال العرض الذي تقدم به جوهان ملك إنجلترا إلى الخليفة الناصر بواسطة السفارة التي بعثت به إلى البلاط الموحدي سنة 608 هـ - 1212 م ولما يمضي علي بناء جامع حسان أكثر من بضع سنوات . ولقد جاءت البعثة تطلب المساعدة العسكرية من الموحدين ضد النبلاء ورجال الدين وسائر الأهالي ، وكدليل علي الامتنان عرض الملك

جوهان كلك إنجلترا علي الخليفة الناصر أن يعتنق الإسلام هو وسائر أفراد رعيته . يقول الدكتور عبد الهاדי التازى : مثل هذه اللقطة في التاريخ الدولي للمغرب كان عليه ألا يغفلها أو يهملها ، سفارية في مثل هذه الأهمية ، ردتها المصادر الإنجليزية بإسهاب وذكرت أفرادها واحدا واحدا ، كان ينبغي أن يقف عندها . ما يعني هنا هو ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية خلال ألف سنة ، وكنت أود لو أن الذين يشتغلون بالثقافة المعاصرة بدلا من أن يصيروا أجيالنا الحاضرة بالقنوط أو اليأس أو بعقد النقص أن يعرفونا حضارتنا القديمة وأثرها على المعرفة العالمية بدلا من أن نطعن في ديننا وفي حضارتنا وفي تاريخنا ، ونظهر في العالم كأننا ما عشنا ولا كنا ولا بقينا إلا ونحن علي هامش الدنيا ، وهذا كذب كبير وافتراء وتضليل . وقد ذكرت - أنا - في كتابي " سر تأخر العرب والمسلمين " : أنه من قرنين فقط أرسل جورج واشنطن إلي الداي حسن ` الذي بني مسجد ` كينشاوة ` الذي حولته فرنسا إلي كنيسة عندما احتلت الجزائر ثم عاد إلي مسجد بعد حرب التحرير ، هذا الداي حسن المسلم أرسل إليه واشنطن رئيس الولايات المتحدة يتحدث إليه بتلطف كي يسمح أو يؤمن الطرق البحرية للسفن الأمريكية ، وكان الأسطول الجزائري سيد هذه المناطق كلها ، هذا شيء . شيء آخر أن الداي حسن انتصر علي أسبانيا عسكريا وأرغمهها علي أن ترسل وفدا إلي الأستانة كي يلقي الخليفة حاملا معه جرتين من الماء ، وذلك لأن القائد الأسباني كان قد هزم المسلمين قبل ذلك وحمل

معه جرتين من ماء مدينه وهران إلي ملك أسبانيا علي أن الصليبيين سوف يرثون القطر كله !! فلما انهزموا ألمهم الداى حسن بحمل جرتين آخرين وتقديمهم إلى خليفة المسلمين رمزا لانهزامهم أمام المسلمين !! المهم أن الأمة الإسلامية في كبوة الآن - يقينا في كبوة - لكن ليس هذا من الإسلام ، لقد كنا سادة العالم دهرا ، والكبوة التي عرضت لنا كبوة عارضة ، ويمكن أن نعود إلى أمجادنا وأكثر منها ، وهذا شيء طبيعي ، ويقع هذا عندما ندرس أسباب هزائمنا . وأسباب هزائمنا . كما أراها علي عجل . قسمان : أسباب أصلية : يعني مواريث فاسدة عرضت لنا من الناحية السياسية والثقافية والاجتماعية والفلسفية ، نعم ، لنا أغلاط ، هذه الأغلاط يجب أن تدرس ، والذين يدرسونها ليسوا رجال الشوارع ، وإنما يدرسها علماء متخصصون يعرفون لماذا وقعت الأمة فريسة هذه الأخطاء والخطايا والمبتدعات والخرافات المثيرة التي التصقت بنا من كل ناحية ، ولا أتحدث الآن عن هذا لأنه موضوع طويل ، وأوضناه في كتابنا **ـ سر تأخر العرب والمسلمين ـ** وهناك أسباب خارجية أثرت تأثيرا مباشرا في كبوة المسلمين ، فالمسلمون الآن يعانون من رافدين ، كلاهما راقد شر ، موراثنا البالية التي آلت إلينا من أيام الدخن والغش في ثقافتنا . والاستعمار الذي هجم علينا بأحقاده وأطماعه ونال منا ، هذا الاستعمار كما قال الشيخ جمال الدين الأفغاني : ما زال يحمل بين أضلاعه قلب بطرس الناسك ، حاقد على الإسلام ، حاقد على الأمة ، يريد أن يحرق ديننا ، واشتغل بهذا التحقيق عدد كبير

من المستشرقين والمبشرين وعدد كبير ممن تأثر بهم وأمسك بأذىهم وعاش لا يدرى إلا ما يلقنه من خرافاتهم وأهواهم . هذا النوع من المثقفين الدخلاء على علمنا وعلى ديننا وتاريخنا ، هؤلاء عرضونا لبلاء هائل ، وأفقدوا الأمة ثقتها في دينها وفي نفسها وفي تاريخها وفي حضارتها ، وهذا النوع من الناس أريد أن انظر في دخيلته بإنصاف أو بشيء من العدالة التي تعلمتها من لإسلام . هناك ناس معذرون ، لأنه كما قال الشاعر : ومن دعا الناس إلى ذمة ذموه بالحق وبالباطل وأنا دعوت الناس إلى ذمي ، خرافات كثيرة ما أحسنت إبعادها عنى ولا ردها عن ديني ولا تبرئة نفسي منه ، فإذا أساء البعض الظن بي فهو معذور . ومن هنا ، فأنا أنظر إلى العلمانيين علي أنهم قسمين ، قسم له مقتراحات حسنة في الإصلاح ، لكنه لا يعرف الشريعة الإسلامية ولا حقيقة الدين الذي ينتمي إليه ، فهو يظن أن ما يقترحه ليس من الإسلام ، أو بعيد عن الإسلام ، أو أن الإسلام قد يضيق به ، ولو كان واسع الأفق ، واسع الإطلاع لأدرك أن ما يقترحه هو من الإسلام ، لكنه ما فكر ، أو غلبه التيار الثقافي الاستعماري ، فهو مع هذا التيار يقتبس أشياء غير صحيحة ، ولو أنه أنصف لاصطلاح مع دينه ورجا الخير في كنفه . هذا نوع من العلمانيين ، وهناك نوع آخر لا يدرى - فعلا - أي شيء عن الإسلام ، وقد تقابلت مع أحد هؤلاء - وهو من الخليج -

فقال لي : هل يجوز أن تكون رئاسة الحكم ست سنوات أو عشر سنوات ؟ فقلت له : وما المانع من هذا ؟ فوجده لا يعرف لا مصلحة مرسله ، ولا يدرى شيئاً عن أصول الفقه ، ولم يدرس التاريخ ، مسكيين ، له عقليه قبلية وبعض دراسات فاسدة جعلته يتقوّق في بعض الأحكام التافهة ، فهو لا يعرف شيئاً .. وأيضاً هناك من الذين تبعوا الخواجات من لا يعرف الإسلام إلا على هذا النحو . لكن هناك صنفاً آخر ، وجدته جريئاً على الله ، كارها للإسلام ، ضائقاً بالكتاب والسنّة : "ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنتييعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أخطط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم" . هذا النوع من الناس لابد أن أقف منه موقفاً فيه يقظة ، فيه صرامة ، لماذا ؟ لأن الأمة الإسلامية الآن في فترة عصبية من تاريخها ، طمع فيها من لا يدفع عن نفسه ، تربص بها كل عدو كان يخافها قديماً ، فإذا تركت ديني تعثّب به الأهوال ، وتركنا أمتنا تلعب بها عصابات لا تعرف شيئاً من دين الله ولا دنيا الناس

فإنني أكون خائناً لهذا الدين ، و خائناً لهذه الأمة . ولذلك فنحن نرفض رفضاً باتاً كل من يقف بعيداً ينبح قافلة الإسلام ، ويؤذى الله ورسوله ، ويتحدث بصفاقية غريبة عن الحكم الإسلامي وعن رجعيته وعن تأخره إلى آخر هذا الموضوع ، نحن في فترة من فترات الدفاع عن النفس، وعن الكيان . بقي شيء آخر ، وهو أنني أنظر بشيء من الأسى وأقول : يعني العلمانية لم تجد " هفية " لها إلا الإسلام ؟ !! كلنا يعرف أن ألمانيا

مثلا - يحكمها الحزب الديمقراطي المسيحي ، إيطاليا يحكمها الحزب الديمقراطي المسيحي ، فرنسا يحكمها اليمينيون وهم الآن يطاردون الاشتراكيين ، المحافظون في إنجلترا حكمهم معروف ، بل إن ملكة إنجلترا هي رئيسة الكنيسة البروتستانتية . فهناك إذا قلت : الديمقراطي المسيحي فلا حرج ، لكن لو قلت : الديمقراطي الإسلامي - هنا قالوا لك : اخرس !! مع أنهم يتسللون العلمانية من ألمانيا وإيطاليا ، وهم هناك يقولون : ديمقراطية مسيحية ، وهنا . لا .. لماذا ؟ أليس عندكم إلا الإسلام لتحاربوه وتحاولوا محوه ؟ شيء آخر .. إسرائيل ، من هو ؟ فيلسوف ؟ أديب ؟ لا .. إنهنبي من الأنبياء ، فإذا كان الإسرائييليون جعلوانبيا من الأنبياء عنوان دولتهم ، وأقاموا الدولة الدينية فأنا أريد من العلمانيين أن يتعلموا من إسرائيل ، فاليهود الذين يحكمون فلسطين باسمنبي من الأنبياء احتقروا العلمانية ورفضوا ألا ينضوا إلا تحت مظلة الدين .. مع أنهم يغتصبون الأرض ويقتلون أصحابها !! كذلك الرجل المسمى `بوتا` في جنوب أفريقيا يقول أنا مسيحي ، ويعتبر الزوج إرهابيين ، وهو قاتلهم ، فأصبحنا نحن المسلمين وزوج أفريقيا المحكوم علينا بالبعد عن الدين وعن الفكر !! أريد أن أفهم هل أصبح الإسلام "هفيه" العالم كله ؟ ! إنني أوصي الأجيال الناشئة بأن تعلن كل من يحرر لها دينها ، وأن تتشبث بهذا الدين ، وأن تعتمد على الله وتمضي في الطريق وستنتصر يوما إن شاء الله . والله ولي التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## الصهيونية عقيدة دينية

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد وآلہ.

أما بعد..

فهل المسلمون الآن أضعف من اليهود يوم حملوا حملتهم علينا ؟.

لقد بدأت معركتهم ضدنا دعاية وتخطيطا في السنتين الأخيرتين من القرن التاسع عشر في مؤتمر بال في سويسرا ، وبدأت عمليا عندما صدر وعد بلفور في نوفمبر 1917.

فهل كان اليهود يومئذ أقوى من المسلمين الآن ؟

الجواب : لا .. كان اليهود يومئذ أضعف من المسلمين الآن ، لأن اليهود لم تكن لهم دولة لا في الشرق ولا في الغرب ، ولم تكن دول العالم تنظر إليهم إلا علي أنهم جنس جر علي نفسه الخصومات بسبب العزلة التي فرضها علي نفسه والسلوك الاقتصادي والاجتماعي الذي آثره علي امتداد التاريخ .

إلى جانب الأحقاد الدينية التي كانوا يبئرون بها لأنهم عند نصارى العالم مسئولون عن قتل عيسى بن مريم ، مسئولون أمام النصارى عن الوشاية به وحمل الدولة الرومانية على قتله كما يقولون . فكان اليهود شعبا ممزعا وكانت آماله تشبه أحلام السكارى لا يصدقها أحد ، ومع ذلك استطاعوا أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه الآن . وما وصلوا إليه الآن خطير ، فقد حازوا فلسطين إلا بقایا لا وزن لها ، واستطاعوا أن يضموا إلى أرض فلسطين أرض الجولان وأرض سيناء ، وأنكى من هذا وأقسى أنهم في موقف المتحدي الذي يملئ شروطه ، الجريء الذي ينظر إلى عدوه شزرا ، صاحب الحق . بحكم الأمر الواقع . الذي إلى أصحاب الحقوق الأصلاء وكأنهم أدعياء أو متسللون يطلبون ما لا يصح لهم ولا ينبغي منهم !! ما الذي وصل بالأمر في هذا الصراع الغريب إلى هذه النهاية المحزنة ؟ . أريد أن أكون واقعيا في استعراضي للأمور لأنني أكره الكذب والصورية في تناول القضايا . هؤلاء الأعداء كانوا من ستين سنة صفرا في ميزان القوى العالمية فما الذي جعلهم الآن يستطيعوا أن يقولوا للمؤتمرات العالمية : قولي ما تقولين فليس لما تقولين وزن ؟ السبب في نفس الطريقة التي مشوا بها ، فهؤلاء عرفوا دور العقيدة في تكوين المناهضات فقرروا أن يجعلوا هذه العقيدة طاقة يتحملون بها المتاعب ويستهينون في سبيلها بالتضحيات الجسيمة . حول اليهود العقيدة إلى طاقة تجعل الغني يعطي بالملايين ، فأحد اليهود الأغنياء عندما بدأ الصهيونية تتحرك نزل عن خمسة ملايين من الجنierات من ماله ، ويدافع العقيدة يذهب جامعوا التبرعات إلى يهود فرنسا وإنجلترا وأمريكا وغيرها ويأخذون ومئات الملايين من الدولارات . هذا بالنسبة إلى بذل المال ، أما بذل الدم ، فإن اليهود تركوا الجن التقليدي الذي عرفوا به وبدأوا بدافع العقائد يصنعون العجائب . ينزل الواحد منهم عن شهواته في معيشة المدينة حيث الأنوار والليل البهيج والراحة والترف ويجيء إلى صحراء فلسطين ، يجيء إلى بلاد أقرب إلى البداوة ثم يبدأ العمل لبناء الوطن القومي لليهود !! عندما كانت سلطات الانتداب البريطاني تجيء باليهود أعداداً كان اليهود يطلبون إلى النساء الجبارى أن يذهبن على أن المرأة شخص واحد ثم بعد شهور ستكون شخصين !! العقيدة جعلتهم يحرقون في أفران هتلر ، ومع ذلك فإن الآلام لم تجعلهم ينكصون إلى الخلف بل حملتهم على الاندفاع إلى الأمام . وأحب . هنا . أن أقرر أن

الصهيونية عقيدة دينية وأن كلمة اليهودية والصهيونية كلمتان مترادافتان . ومن شك في هذا فليرجع إلى العهد القديم كي يقرأ بعينيه هذه الحقائق . فالصهيونية دعوة دينية مائة في المائة ، وما لحق بها من أطماع استعمارية ، أو ما التصدق بها من أهواء سياسية إنما هو شيء كالللافات التي توضع على السلعة ، أما السلعة الحقيقة فتدين محض . ما تقولون - أيها الأخوة - في إنسان يجيء فيقول : إن مكانة مكة في الدين الإسلامي مكانة سياسية أو اقتصادية وارتباطها بالعقيدة أو العبادة ارتباط شكلي ؟ ماذا تقولون في إنسان يزعم هذا الزعم ؟ لا شك سبق : إنه كذاب ، لأن مكة قبلة المسلمين في صلواتهم . ما رأيكم في أن فلسطين بالنسبة لليهودية أهم من مكة بالنسبة للمسلمين ؟!!

لقد استمعنا طويلاً إلى ناس - إما جهلاء أو علماء - يقولون : إن الصهيونية نزعة سياسية وليس عقيدة دينية !! ، وأنا بلوت هؤلاء ورأيهم وعاصرت قادة الاتحاد الاشتراكي سنة 1967 ، 1968 ، 1969 وهم يشيرون هذه الأكاذيب في الأمة ، ويسممون الفكر العربي والإسلامي ، ويشيرون أكبر خدعة في التاريخ العالمي وهي أن الصهيونية شيء واليهودية شيء آخر ?? . قلت لهؤلاء : ألو جئت لكم من الإصلاحات والأسفار والصحف المقدسة عند القوم ما يجعل العودة لفلسطين دينا ، وما يجعل التشبيث بها عقيدة ، وما يجعل القتال من أجلها عبادة وجهادا وتحصية ؟ !! يقولون : أهذا في العهد القديم ؟ نعم في العهد القديم . وبالأمس كنت في ` المعادي ` وجاءني بعض الناس بالعهد القديم وقرأت منه صفحات من سفر حزقيال وسطوراً من سفر أشعيا ، واكتفيت بهذا ، ولم أقرأ ما ورد في هذا الموضوع فيأسفار ميخا وزكريا وغيرهما . لقد بلغ من التوسيع في المكانة الدينية لفلسطين أن حزقيال يجيء بقصبة ويقول لليهود : يبني الهيكل علي النحو الآتي : ثلاثة قصبات وتبني بناء ، سبع قصبات وتبني مذبحا !! وهكذا في صفحتين وضع التصميم الهندسي للهيكل ، وبدهة يقوم الهيكل علي أنقاض المسجد الأقصى.

وبلغ من الترف أن سفر أشعيا قال : لبنان ستتصدر اللبان لنساء إسرائيل عندما تقام ،  
والعالم كله سيرسل ذهب وفضة لمملكة يهوه التي يحكم بنو إسرائيل العالم منها . وقال  
لهم : إذا كانت الأم تركت رضيعها فإن الرب لا يترك إسرائيل ، غصب عليكم قليلا لكنه  
سيعيدهم إلي أرض إسرائيل !! هذا كلام يتلى على أنه وحي ، هذه عقيدة دينيه تشير  
النشوة في العروق ، تشير الحماس في الأعصاب ، تشير التضحية باسم الرب . وكتب ` وايزمن  
` في مذكراته السياسية يقول : إن اللورد بلفور ولويد جورج وغيرهم من قادة إنجلترا  
أعطوني الوعد بمشاعر دينية !! فالقول بأن إسرائيل دولة علمانية أو دولة إمبريالية قول  
ساقط والحقيقة الكبرى أن إسرائيل دولة دينية ، والأساس عندها أن اليهودية وحدها هي  
الدين ، وأن اليهود هم شعب الله المختار وأحق الناس بحكم العالم . وعلى هذا أخذ الدين  
في البناء اليهودي المعنوي والمادي مجالات شتى ، فهناك حاخامات مسئوله عن تربية  
الأطفال ، كما أن الجيش الإسرائيلي يقوم على جعل رجال الدين جزءا من الأسلحة ، فكما  
أن هناك جنرالات للدفاع الجوى أو المدفعية فهناك جنرالات حاخامات . فالتنظيم العسكري  
وضع للدين سلاحا ، بل الدين هو السلاح الأول ، والذي يصدر الأمر بالقتال الحاخام الأكبر  
يوصف أن الدولة دينية والجرب دينية !! هذا المعنى وهذا البناء وهذا الأساس وجد في الصف  
المقابل لي ، وفي الجانب المناوى لي ، هذا المعنى وجد عند اليهود .

أما الصف العربي فعن طريق العمالة أو عن طريق الجهالة قرر سحب الإسلام بعيدا عن القضية !! المجتمع العربي من خمسين سنة والجهل فيه يتقدم والعلم يتأخر ، وكما قلت بالأمس في جامع عمرو بن العاص : إذا مشي ` شكوكو ` في الشارع احتفي الجمهور به !! وإذا مشي أستاذ الهندسة الحاصل على جائزة الدولة التقديرية أنكره الناس !! من يعرفه ؟ لا أحد يعرفه !! . في سوريا - أخيرا - وقعت اشتباكات وكان السبب أن حزب البعث قدم دستورا لم يجعل الإسلام فيه دينا للدولة !! وكان تعليق الكتاب عندنا أن نزعات رجعية تحركت باسم الدستور التقدمي !! هل التقدم أن تطلق الدين وأن تبتعد عنه ؟ اليهود لم يطلقوا الدين ، و ` جولدا مائير ` قالت سنة 1967 م : لقد نصرنا السبت فنصرنا السبت !! تقصد أن أجدادهم لم يحترموا شعائر دينهم ، وكما قال الله : " واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت " . فالعدوان في السبت جريمة ، وقد قرروا أن لا يعتدوا في السبت ، دينهم يقول : العمل يوم السبت لا يجوز وإيقاد النار يوم السبت لا يجوز ، ولذلك لما ذهب ` بن غوريون ` ومعه رئيس الدولة لتشييع جنازة ` تشرشل ` وافق ذلك يوم السبت ، وكانت المسافة بين البيت والمقبرة الآلاف الأمتار ، فقرر المшиعون ركوب السيارات . أما ` بن غوريون ` ورئيس الدولة فقررا المشي على الأقدام ، لماذا ؟ لأن إيقاد النار لا يجوز ، وتحريك السيارة إيقاد للنار !!

هكذا يحترمون دينهم هذه المسافة وهم بين السبعين والثمانين من العمر !! لو أن إقامة شعيرة دينية تكلف بعض الزعماء العرب أن يمشوا مسافة نصف الكيلو فلن تقام هذه الشعيرة !! لما انتصر اليهود علينا نشرت مجلة `وعي الإسلامي` تصريحاً لـ`بن غوريون` يقول : إن أنبيائنا قالوا لنا : لابد من مضاعفة الاستعداد لأننا قلة وأعدائنا كثرة ويجب أن نصعد إلى مستواهم العددى في مضاعفة إنتاجنا حتى يصل إلى إنتاجهم !! الرجل يقول : أنبيائنا قالوا لنا ، بينما كثير من قادة العرب لا تجري على لسانه كلمة قال النبي كذا !! لماذا ؟ لأنه ليس من التقدمية أن يقول : قال النبي كذا !! التقدمية أن يقول : قال فلان كذا ، أما أن يقول : قال النبي ، أو قال أبو هريرة أو قال ابن حزم فهذه رجعية !! لابد من إعادة العقيدة إلى المقاتل العربي ، ولو أن الإسلام دخل المعركة من أول قتال دار بيننا في سنة 1948 م ما وصلت إسرائيل إلى امتدادها الحالي أبداً . في معركة الجزائر مع الفرنسيين كان الثوار الجزائريون يسمون صحيفتهم `الجهاد` ، وكان قائد `الجهاد` الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي قال شعب الجزائر مسلم وإلي العروبة ينتسب نشأً عن العقيدة اليهودية الوحدة ، فإن اليهود في العالم اتفقوا جميعاً ، اليهودي الروسي في نظام شيوعي اتفق مع اليهودي الأمريكي في نظام رأسمالي مع اليهودي الفرنسي مع اليهودي اليمني مع اليهودي المصري اتفقوا جميعاً على أن يقيموا إسرائيل بالدم والمال والعرق والجهد .

لقد رويت لزملائكم في مكان آخر قصة مدير تعليم من القاهرة وانتدب في أواخر الثلاثينات وأوائل الأربعينات إلى فلسطين مسؤولاً عن التعليم هناك ، قال لي : كنت حريصاً على ألا أركب سيارة إلا إذا كانت عربية ، فخدعت يوماً فركبت سيارة ، ومضت بي في الطريق من خان يونس إلى بيت المقدس ونظرت إلى السائق في الطريق وبدأت أتأمله وشعرت أنني خدعت لكنني سكت ، ونظرت إليه بكبرياء . وكان السائق أحس بأني أنظر إليه بكبرياء فأدار بصره إلي وقال لي : من أنت ؟ فقلت له : أنا رجل عربي ، فقال : يبدو أنك مثقف ، قلت : نعم ، أنا حاصل على إجازة كذا من سويسرا ، فلعبت أصابعه في الدرج الذي أمامه وأخرج نفس الإجازة العلمية وأراني إياها . فقلت له : أنت حاصل على هذه الإجازة ؟ قال : نعم !! قلت : فما الذي جعلك تشتغل سائق سيارة ؟ قال : أنا أشتغل سباكاً أو نجاراً أو حمالاً أو سائقاً من أجل إقامة إسرائيل !! مدير التعليم الذي روى لي هذا قال : كان هذا حديث يرن في أذني وله صدى في نفسي مشوب بالأسى لأنني وجدت بعض أبناء العرب الذين كانوا يتعلمون كانوا يرفضون أن يعملوا إلا رؤساء !! يريد الواحد منهم أن يحصل على شهادة عالية أو متوسطة يجلس على مكتب يصدر أوامره ، أما أن يتعرض للغبار ومتاعب فهذا ما لا يخطر بباله !! لقد جمعت الوحدة الدينية صفوف اليهود وجعلتهم يتحملون المتاعب ، أما العرب فقد أبعدوا الدين ، و إبعاد الدين جعل الوحدة العربية مظهراً لا جوهرًا . شيء آخر : في كل جنس توجد عناصر بشرية نفسية ، فإذا أراد الله

خيرا بأمه ووفقاها إلى أن تجعل العناصر النفيسة هي التي تقودها ، وإذا أراد الله شرا بأمة جعل عناصرها التافهة هي التي تقودها !! ويقول النبي صلي الله عليه وسلم : " من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضي لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين " . القيادة تكون في الأيدي المدرية اللبقة ، كان أعدائنا ينتفعون بالقيادات المدرية الماهرة ، بينما كنا نحن نرمي بالكتفاليات .. رجل كعبد المنعم رياض سئل - فيما أعلم - عن إسرائيل فقال : حاملة طيران ثابتة ، فكان هذا الجواب سببا في الغضب عليه !! لماذا ؟ هل مهمتي أن أقول كلاما يرضيك ؟ هذا بحث علمي ، لكن جنون العظمة يريد شيئا آخر !! الأمة اليهودية بحثت عن الرجال فيها وأسلتمتهم القيادة ، رجل كموسى ديان حمل أعباء المعركة شرقا وغربا ، ومشى مع الجنرال الإنجليزي في حرب ` العلمين ` ومشى إلى تونس والجزائر وعاد مرة أخرى وذهب إلى كوريا وتعلم الحرب الحديثة ، يعني الرجل تخرج في الميادين ، ومع هذا فلو دخل الكشف الطبي عندنا لسقط !! العالم العربي عالم غريب الأطوار ، أنا لم أر ` السلال ` لكن يوم إن أخذ رتبة مشير أو مارشال استغرقت وقلت : ` إيزنهاور ` كسب الحرب العالمية الثانية ومات وهو جنرال !! و ` ديجول ` مات وهو جنرال !! لو جئت بكاتب عمومي وجعلته رئيس محكمة النقض فماذا تكون النتيجة ؟ تكون خرابا ودمارا !!

ولذلك يوم أن دخلنا حرب سنة 1967 م لم تكن لدينا خطط قادة ، كانت الخطط خطط عيال ، ونكتبنا في سنة 1967 م .. إننا لم نحارب وإنما انتحرنا!! إنني أقول وبكل قوة : عزل العقيدة عن المعركة جريمة ، محاولة تجميع العرب بعيدا عن الطابع الديني مهزلة ، فالآمة عندها تتعرض للمخاطر والأهوال لا يعزيها عندما ترى الهول ، ولا يشجعها عندما تكلف باقتحام الصعب إلا الإيمان بالله . لقد فعل أعداؤنا هذا ، استعنوا بالتجميع ، استعنوا بالكفايات ، فلم بعد هذا ؟ إنني أشعر بأن الحرب قد اقتربت ، وستفرض علينا طوعا أو كرها . وإذا عدنا إلى ديننا بهذا الوصف وبهذا التفصيل فإن النصر سيكون لنا ، إذا عدنا في الصباح فإن النصر سيكون في المساء أو صبيحة الغد إن تأخر . "ألا إن نصر الله قريب" . وصلی الله علی سیدنا محمد وآلہ والسلام علیکم ورحمة الله وبرکاته .

## فلسطين إسلامية

أيها الأخوة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

قضية فلسطين من بدء التاريخ إلى يوم الناس هذا قضية دينية .. قد تسمعوا كلاماً أو بحثاً لبعض الناس يصورها قضية عنصرية أو قضية إمبريالية أو أي عنوان من هذه العناوين التي يتبناها الناس في فهمها وينسوا الحقيقة التي لا تنفصل أبداً عن هذه القضية وهي أنها قضية دينية.

وأنا أؤكد أن حل مشكلة فلسطين لا يمكن أن يتم مع تجاهل التاريخ الذي مضى ، ومع معرفة طبيعة القضية وما حل بها من هبوط أحياناً أو صعود أحياناً أخرى . إذا لم نعرف طبيعة القضية في مراحل التاريخ فلن نحل مشكلتها - المعاصرة - أبداً.

وأنا أستريحكم العذر في أن أعود بكم إلى تاريخ مضى ، ولكن هذا التاريخ سيكون في ظل القرآن حيناً ، وفي ظل تاريخنا الإسلامي حيناً آخر .

لقد كان سكان فلسطين من أربعين قرنا - تقربياً. عرباً يسمون الكنعانيين - وكنعان وقططان وعدنان أسماء عربية لقبائل انتشرت في الجزيرة وفوقها وتحتها . المهم أن هذه القبائل في تاريخها المبكر استعصت على أمر الله، وأساءت إلى نفسها ، ولقي الأنبياء العرب هزائم متتابعة من قومهم .. انهزم هود في عاد ، وانهزم صالح في ثمود، وانهزم شعيب في مدين ، وانهزم لوط في قري المؤتفكة . فكانت النتيجة أن دمر الله على هذه القبائل كلها وجعلها خبراً كان وكذلك أصاب الكنعانيين في فلسطين ، فعندما تجروا في أرضهم ، ونسوا ربهم سلط عليهم من كان أحق منهم يومئذ بأن يسكن الأرض ، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم علي لسان موسى عليه السلام : "يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا دخلون" لقد كان اليهود جبناء على عهد موسى وأقل وأذل من أن يدخلوا على العرب أرضهم ، فقد كانوا جباراً ، علي نحو ما حكي القرآن عن عاد التي قالت : "من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون" ومات موسى ، ومات هارون ، وشاء الله أن يدخل يوشع - فتي موسى - الأرض المقدسة وأن يدخل اليهود معه في هذه الأرض .. فهل كان اليهود بعد ما سكروا الأرض عباداً صالحين لله أم سرت إليهم عدو المجرمين من قبل وتحولوا أيضاً إلى جباراً ؟

يقول التاريخ : سرعان ما تحولوا إلى جباراً ، أكثروا في الأرض الفساد ، وبدا منهم ما لا يليق ، وأغضبوا رب العالمين لقد كان سيدنا موسى عليه السلام يشعر بأن قومه فيهم عوج غالب وأنهم - كما قال عيسى فيهم - قوم غلاظ الرقبة وعندما قالوا لموسى وهم في مصر : "أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربيكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون" وفي الكلمة رنين اتهام غامض ، كان موسى يشعر بأن قومه عندما يلون الأمر سيكونون فراعنة ، سيكونون أخبث من غيرهم ولقد كان المسلك المستحب لبني إسرائيل تحجير هذه الأجناس والنيل منها بأسلوب غريب ، فقد وصفوا الكنعانيين العرب بأنهم كلاب، وكان عيسى - عليه السلام - مشهوراً بأنه يشفى المرضى، وجاءته امرأة كنعانية - كما يقول إنجيل متى - وقالت له : يا سيد يا ابن داود، بنتي مريضة

جدا ، وطلبت منه شفاءها ، فقال لها : اذهبي يا امرأة فإن طعام البنين لا يرمي للكلاب يعني بالبنين :بني إسرائيل ، وبالكلاب : الكنعانيين ومع أن عيسى عليه السلام إنسان نبيل ، وأستبعد كل البعد أن تجري علي لسانه هذه الكلمة إلا أن هذا ما ورد في الأنجليل ، والويل للمغلوب كما يقول الأوربيون . لقد تحول الشعب الذي كان جبارا إلي شعب يوصف بأنه كلاب . ونعود إلي الرواية السابقة تقول المرأة - وهي حريصة علي شفاء ابنتها -

والكلاب أيضا تأكل تحت أقدام السادة !! فيقول لها : عظيم إيمانك يا امرأة , ويشفي لها ابنتها !! أيا ما كان الأمر فإن اليهود بقوا ما بقوا في فلسطين ثم ازداد فسادهم , وازداد ظلمهم ، وكثير بلاؤهم ، فشاء الله سبحانه وتعالى أن يسلط عليهم من يجتث ملتهم ن ويدمر هيكلهم ، ويسوّقهم أمامهم أسرى وهو بختنصر !! والقرآن عندما يحكى لا يذكر التواريخ والأمكنة ، وإنما يعنيه العبرة ، والعبرة التي ذكرت في صدر سورة الإسراء أن الأمم تحكمها سنة كونية واحدة هي : أنها إذا احتل أمرها احتلها الغرباء عليها !! الاختلال الداخلي يسبب الاستعمار الخارجي !! وقد قلت هذا في أول كتاب لي : الحاكم الذي يذل شعبه يوطئ ظهورهم ليكونوا قنطرة يعبر عليها الإذلال الخارجي !! وسماه مالك ابن نبي قابلية الأمم للاستعمار !! فإن للاستعمار قابلية تصنعها ظروف معينة ، لخصت في كلمة سريعة في قوله تعالى : " وقضينا إلىبني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علينا كيماً فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا " وفعلا احتلت الأرض المقدسة وسيق بنو إسرائيل إلى السجن .

البابلي ، وضرب عليهم ذل غريب ، ثم عفا الله عنهم ، ورجعوا إلى فلسطين مرة أخرى فماذا صنعوا ؟ يقول القرآن الكريم : "لقد أخذنا ميثاقبني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا ألا تكون فتنه فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون" فكانت الإفساده الثانية أن انساح الرومان في الأرض المقدسة ودمروا الهيكل مرة أخرى وشتبوا اليهود ن بل الصحيح تاريخيا أنهم منعوا بقاءهم في فلسطين خصوصا بعد أن اعتنق اليهود النصرانية . ونمضي مع التاريخ قليلا لننظر كيف تمضي الأيام .. أصبح بيت المقدس في أيدي الرومان ، ولكن جاءت البعثة المحمدية تشير إلى أمر لابد أن يعرف ، وهو أن بعثة محمد صلي الله عليه وسلم تغير حاسم للقيادة الروحية للأرض ، كانت هذه القيادة لبني إسرائيل قدما ، لكن الرسول صلي الله عليه وسلم عندما جاء أسرى به إلى بيت المقدس ، لماذا ؟ إشعارا بالنقلة التي حدثت في القيادة العالمية لولي الله سبحانه وتعالي ، هذه القيادة جعلت الدين من نصيب العرب لا من نصيب العربين ، فانتقل الوحي من أولاد إسرائيل إلى أولاد إسماعيل ، وانتقلت القيادة من بيت إلى بيت ، ومن عاصمة إلى عاصمة ، ومن حركة إلى حركة . شيء جديد ، لأنه لا يمكن أن يؤمن اليهود على التربية الإنسانية أبدا !! فاختير هذا العنصر الجديد حتى يكون الأمان للبشرية . والذين يقرءون سورة الإسراء ، ويعلمون أن السورة تسمى في كثير من المصاحف سورة بني إسرائيل ، ولا تذكر الإسراء إلا في آية وحيدة هل سألوا أنفسهم لماذا ؟ .

تقول السورة : "سبحان الذي أسرى بعده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير" ثم ماذا ؟ ثم عودة إلى التاريخ الذي مضى ، لقد جيء بك هنا لتلتحق هذا المسجد بالمسجدين الكبيرين في جزيرة العرب ، ولكن تصلى بالنبيين كلهم فأنت إمامهم وأنت خاتمهم وقد انتقل إرشاد السماء بعيدا عن هؤلاء القوم ، وأصبحت أنت وقومك المسؤولين عن هذا . والسبب : أن القوم فسدوا ولم يصلاحوا : "و قضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن على كبرى " لو كنا أهل تدبر في القرآن لوقفنا طويلا أمام هذه الآيات ، ما هذه الوثبة من تاريخ الإسراء إلى تاريخ بني إسرائيل ؟ إنما هذه الوثبة للمعنى الذي ذكرت . كان بيت المقدس في أيدي

الرومان ، أى فى أيدى الصليبيين ، وقد أكدنا . فيما كتبنا . أن الرومان عندما دخلوا النصرانية لم يدخلوها فعلا ، وهناك سؤال قاله علماء الملل والنحل عندنا : هل تنصر الرومان أم ترومت النصرانية ؟ الواقع أن النصرانية ترومت ولم يتنصر الرومان بل فرضوا على النصرانية تقاليدهم وعقائدهم وكثيرا من أخلاقهم . المهم خضع بيت المقدس للصليبية ثم جاء الفتح العمرى - أيام عمر بن الخطاب - وألفت النظر هنا إلى أننا سنتحدث فى ثلاثة مواقف فقط فى الفتح الإسلامى . دخل عمر إلى بيت المقدس ، هل دخل فى موكب فاتحين ؟ لا .. ما خطط بياله هذا ، بل الذى يقوله التاريخ ، ويضعه علماء السنة فى باب التواضع ، ولو أنصف الذين يفهرون كتب السنة لجعلوا للقضية عنوانا آخر ، لكن الذى حدث هو هذا.

المهم يحكى التاريخ : أن بركة اعترضت ناقة عمر رضي الله تعالى عنه فنزل الخليفة وحمل عليه إلى عنقه ومضى بناقه يخوضان البركة فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه: ما يسرني أن أهل المدينة يستشرفونك على هذا النحو فقال له عمر: ويحك يا أبو عبيدة .. لو غيرك قالها لجعلته نكالا لأمة محمد لقد كنا - معاشر العرب - أذل الناس حتى أعزنا الله بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله تعالى ودخل عمر إلى بيت المقدس ، وقابل الأساقفة ، وأمضى معهم المعاهدة ، ونودي بصلة الظهر فخرج عمر ليصلبى ، فقال له الطريق : صل مكانك قال له : لا .. لو صليت في مكاني لوثب المسلمين على المكان من بعدى وقالوا : هنا صلى عمر وأخذوا منكم الكنيسة !! لأن عمر يريد أن يستبقي حرية التدين ، وأن يحفظ للمعاهدين حقهم في إقامة شعائرهم ، وأن يعطي مثلا للتاريخ الإسلامي من مسلك رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وأنجاوز أربعة قرون سريعا لأنظر إلى فتح ثان لبيت المقدس ، فإن المسلمين تبعوا اليهود في أخلاقهم وأحوالهم ، المهم في يوم ما وثبت الصليبية العالمية تجري في أفئتها عواطف مشبوبة من حقد لا آخر له ، وذهبت مخترقة جنوب أوروبا وشمال آسيا ، وجاءت إلى فلسطين في أيام تشبه أيامنا هذه . قال التاريخ : لو أن المسلمين تحرك لهم جيش يحمل الحجارة ، لو أن النساء ألهن جيشا لهزمت الصليبيين لأنهم كانوا قد أكلوا الجيف من عجزهم وجوعهم ، ولكن قال التاريخ : سقط بيت المقدس ، ما تحركت

القاهرة ، ما تحركت بغداد ، ما تحركت دمشق ، ما تحركت مكة ولا المدينة ، ما تحرك أحد !! هذه طبيعة العرب إذا نسوا الإسلام ، وذبح سبعون ألف مسلم في بيت المقدس !!

وكانت نكبة هائلة ، لا أقول : صنعوا الصليبيون بنا ، ولكن أقول صنعواها نحن بأنفسنا ! وجاء صلاح الدين الأيوبى ، والناس تتصور أن صلاح الدين الأيوبى كان في نزهة عندما حرر بيت المقدس !! جاء صلاح الدين ، فماذا صنع ؟ طلب من العلماء أن يعلموا الجماهير العقائد الدينية ، وأن بينهم الأخلاق ، وأن يبتعدوا عن البدع والمخالفات ، وكان الفاطميون قد نشروا بدعا كثيرة في الأرض الإسلامية. كان صلاح الدين لا ينتهي له سعي إلى الصلوات ، كان مدمنا للجماعة في المسجد إلا في ثلاثة أيام الأخيرة من حياته والتي مرض فيها مرض الموت !! وكان مدمنا للجهاد في سبيل الله !! وكان عادلا اشتكت له امرأة من ابن أخيه . وكان يحب أقاربه . فنصر المرأة وأهان ابن أخيه !! وكان رجلا معروفا بأنه يحمل هموم المسلمين ، ويبذل جهوده كلها لاستنقاذ الأرض التي لوثها الصليبيون بأقدامهم . وفي معركة حطين وقف علي فرسه يصدر أوامره ويتبع المعركة .. يقول ابنه عن المعركة : رأيت فرسان المسلمين تتساقط عند أقدام أبي ، وبوشك الصليبيون علي أن ينزلوا بنا هزيمة ماحقة ، فيصرخ أبي يقول : كذب الشيطان !! فيرجع المسلمين مرة أخرى وأقول : انتصرنا ، فيقول لي : اسكت ، ما ننتصر حتى تسقط هذه الراية ، وتطوى تلك الخيمة .

وما كاد ينتهي حتى كانت خيمة قائد الصليبيين قد انفضت والراية قد سقطت ، واجتاز جيش التوحيد الميدان كله !! يقول ابن صلاح الدين : ورأيت أبي يهوى من فرسه ساجدا لله على الأرض !! الرجل يشكر الله ، طبعا الرجل كان مؤمنا صنع هذا لله ، ولم يكن ينتظر أن يرجع إلى القاهرة ليقال له : بالروح بالدم ندريك يا صلاح !! أبدا ، الرجل كان يعمل لله ، ويريد أن يقول : بالروح بالدم أفديك يا دين الله !! هذا هو الرجل ، وهذا هو الإسلام ، وما انتصر صلاح الدين إلا بهذا ، وما ننتصر إلا بهذا . ومضت قرون وقرون ثم سقط بيت المقدس مرة أخرى في حرب صليبية جديدة ، قال مارشال `النبي` الانكليزي وهو يدخل بيت المقدس : الآن انتهت الحروب الصليبية !! وقال جنرال `جيرو` الفرنسي وهو يقف أمام قبر صلاح الدين في دمشق : ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين !! والقصة كما قلت : قصة تاريخ : كان العرب هنا قد يما ثم طردوا ، لماذا ؟ لأنهم نسوا الله ، ودخلوا فلسطين بالإسلام ، ثم لما خانوا الإسلام أخذت منهم فلسطين ، ثم تابوا إلى الله ، وجاء رجل كردي - صلاح الدين - واستطاع بالإسلام أن يستنقذ فلسطين بالإسلام . وأحب - هنا - أن أشير إلى طبيعة الشعب المصري ، الشعب المصري له طبائع فيها تناقضات ، إذا فجر فيهم ذو السلطة قال : "أنا ربكم الأعلى" وإذا آمن أحد منهم كان إيمانه في القمة ، فسحرة فرعون كانوا كفرا فجرا ، عاشوا طلاب دنيا ، فلما شرح الله بالإيمان صدورهم قالوا لفرعون بعد أن هددتهم : "قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البيانات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنما آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى"

هذه هي طبيعة الشعب المصرى ، أنكر ذاته ، وسلم مقاليد الحكم للمماليك لأنهم مؤمنون ، ولم يفكر الشعب فى عنصرية ، ولم يسع إليها . وهل المماليك خانوا هذا الشعب ؟ لا والله فـ "قطر" المملوك كان أشرف من خلفاء بنى العباس القرشيين كلهم !! لماذا ؟ لأنه فى وقت المحنـة وهو يواجه التتر فى زحف رهيب ، التتر الذين داسوا بغداد وضربوا الخليفة بالنعل ، فاهتزـ قطرـ وصـاح : وإسلامـاه !! فـاجـتمعـ الناسـ وأـلـحقـواـ بالـتـترـ هـزـيمـةـ نـكـرـاءـ ، وـدـخـلـواـ بـعـدـهـاـ إـسـلـامـ !! هـذـهـ طـبـيـعـةـ الشـعـبـ المـصـرـىـ ، مـفـتـاحـ شـخـصـيـتـهـ إـيمـانـ ، وـكـلـ مـنـ حـاـوـلـ غـيـرـ هـذـاـ فـهـوـ فـاـشـلـ ، نـحـنـ أـمـةـ مـؤـمـنـةـ . أـيـنـ قـضـيـةـ فـلـسـطـيـنـ ؟ مـتـىـ كـانـتـ قـضـيـةـ عـنـصـرـيـةـ أـوـ اـمـبـرـيـالـيـةـ ؟ هـذـاـ كـلـامـ فـارـغـ ، الـذـىـ حدـثـ أـنـ الـقـضـيـةـ كـانـتـ إـسـلـامـيـةـ ، وـكـانـتـ عـمـامـةـ "أـمـينـ الحـسـينـىـ" هـىـ التـىـ تمـثـلـ إـسـلـامـ . إـنـنـىـ أـوـكـدـ أـنـ قـضـيـةـ فـلـسـطـيـنـ لـاـ تـزالـ بـعـيـدةـ عـنـ الـحـلـ ، لـمـاـذـاـ ؟ لـأـنـ الـمـسـئـولـيـنـ رـفـعـواـ شـعـارـ الـعـلـمـانـيـةـ ، وـهـوـ شـعـارـ الـهـزـيمـةـ ، الـعـلـمـانـيـةـ شـعـارـ الـهـزـيمـةـ لـكـلـ شـعـبـ مـسـلـمـ فـضـلـاـ عـنـ الشـعـبـ الـفـلـسـطـيـنـىـ ، لـقـدـ حـاـوـلـ نـاسـ أـنـ يـضـلـلـواـ الصـحـوـةـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ ، وـلـكـنـ جـذـوـةـ إـيمـانـ عـصـفـتـ بـمـاـ فـوـقـهـاـ مـنـ تـرـابـ ، وـتـحـرـكـ إـسـلـامـ فـىـ قـلـوبـ الشـيـابـ .

ومنذ ثلاثة شهور والمعركة الإسلامية مشتعلة ، وحاول العلمانيون أن يلتحقوا بالركب ، وحاول كثيرون أن يقولوا : إن الحركة غير إسلامية ، وهو نوع من الكذب الخسيس . ولكن الله شاء أن نعرف الواقع كلها ، وبدأ المسلمون يشعرون بصحوة إخوانهم في فلسطين باسم الإسلام . الذي أريد أن أقوله : إن اليهود لهم فكرة وحيدة لا تتغير هي : أنهم الشعب المختار ، وأنهم سادة العالم ، وأن ما في العالم من مال هو لهم يجب أن يستردوه ، وأنهم يجب أن يهدموا المسجد الأقصى ليبنوا على أنقاضه هيكل سليمان وسوف ينزل رب ليحل في الهيكل ويحكم العالم عن طريقه شعبه المختار - شعب بني إسرائيل !! هذا ليس قضاء على الإيمان العام بل هو قضاء على الإسلام وحده ، وسكت المسلمين في أي بلد على هذا المخطط معناه ارتداد عن الإسلام . وبعد أيها الأخوة : هذه حقائق ، لكن طبيعة أمتنا كما قال شوقي : نسيت روعته في بلد كل شئ فيه ينسى بعد حين وأرجو ألا ننسى ..... والله ولى التوفيق . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تربيه الشباب في الإسلام موضوعنا الذي نستعين الله تعالى إذ نتحدث فيه الليلة موضوع مهم لأنه عن تربية الشباب ، والحقيقة أن أمتنا أحوج أمم الأرض إلى أن تربى شبابها ، فإن الاستعمار العالمي عندما استولى على البلاد الإسلامية خلال القرن الماضي ، وعندما استمكنت يده منها خلال القرن الحاضر اجتهد أن يربى أجيالا على طريقته الخاصة ، يفرغ قلبه من العقائد ، ويملأ الجو حولها بالمثيرات ، ويتركها تتخطى في بياد الحياة دون هاد تستمع إليه ، ودون هدف تسعى إليه . ولذلك فإن هذه الأمة ربما وجد فيها المتعلمون ، وربما وجد فيها الأغنياء ، وربما وجد فيها أصحاب القوة ، ولكنهم ما يغنوون بعلمهم ولا بمالهم ولا بقوتهم شيئا عن أمتهم المحتاجة إليهم .. والسبب أنهم لم يربوا تربية ينتفعون بها ويتصرهم بحسن استغلال المواهب التي أفاءها الله عليهم .. ولذلك تراق أموالهم ومواهبهم وقواهم على التراب.

إن أمتنا موفور لديها كل أسباب المجد والنصر ولكنها قصيرة الباع في استغلال هذا الذي يسره الله لها .. والسبب أنها مشت في الاتجاه الذي دفعها الاستعمار إليه ، وقد دفعها الاستعمار إلى اتجاه خطير . من أربعة عشر قرنا والأمة الإسلامية لا تعرف التعليم إلا تعليما

يبدأ بالدين واللغة ، شئ لم تتفك عنه أمتنا فى القرون الأولى وفى القرون الوسطى ، حتى جاء العصر الحديث ووجدت بدعة فصل التعليم الدينى عن التعليم المدنى ، أى وجد ناس يتعلمون الدين ولا يعرفون شيئاً عن الدنيا ، ووجد ناس يتعلمون الدنيا ولا يعرفون شيئاً عن الدين . فلا الذين عرروا الدين وجهلوا الدنيا انتفعوا بدينهم ، ولا الذين عرروا الدنيا وجهلوا الدين انتفعوا بدنياهم .. وأصبحت الأمة العربية - كما وصفت - تمشى فى طريق مسدود ، لأنه لا يمكن لإنسان تعلم الدين فقط ولم يتعلم الدنيا أن ينفعه دينه بشئ . ولا يمكن لإنسان تعلم فنون الطب والهندسة والمحاماة والقوة والضبط والربط دون أن يتعلم الدين أن يحسن الاتجاه فى الميادين التى تعلمتها دون هدى الدين ، ودون سداد الإيمان ، ودون رعاية السماء له . ولو أننا تدربنا القرآن الذى نسمعه لعلمنا أن رسالة نبينا عليه الصلاة والسلام تعتمد على العنصرين معاً : التعليم والتربية ، دون تفريق بينهما . قال تعالى "هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لففي ضلال مبين" " كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون"

وهذا النص وأمثاله فى القرآن الكريم يبين أن الرسالة الإسلامية كما حملها خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم تقوم على ثلاثة عناصر : العنصر الأول : تلاوة آيات الحق على الناس ، الحق الذى لا باطل فيه ، الوحي الذى لا ريب فيه ، كلمات السماء التى لم يندس بينها باطل من لغو الأرض أو إفك الناس ، الوحي المصفى دون تزييف أو تزوير ، وهذا معنى قوله " يتلو عليكم آياتنا " العنصر الثانى : التزكية " ويزكيكم " أى يربىكم ، هذه الكلمة - كلمة الزكاة أو كلمة التزكية . معناها فى عصرنا هذا : التربية ، فإن التزكية تعنى : تهذيب النفس ، وضبط الشهوات ، وحكم العقل للهوى ، وجعل الإنسان قديراً على أن يسير طبعه وفق مراد الله منه . وهذا معنى قوله جل جلاله : "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتفوها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسها" زكاها : أى : رياها .. يعنى جعلها مهذبة ، وجعل أهواها مضبوطة ومحكمة ، فإن الإنسان إذا تركت نفسه على هواها ، واسترسلت وفق رغباتها فإنها ما تقاده إلا إلى كل مرعى وبئ ، وما استطاع أحد بعد أن ترك نفسه على هواها أن يصنع خيراً لنفسه أو لغيره أبداً ، لأنه كما قال البوصيري : والنفس كالطفل إن

أهملته شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم ويقول شاعر آخر والنفس راغبة إذا رغبتها  
وإذا ترد إلى قليل تقنع

النفس البشرية طيعة للتربيـة ، يمكن أن تمتد ويمكن أن تنكمـش ، ومعنى تزكيـتها : جعلـها  
تسير وفق مراد الله منها ، أي تـسـير مـضـبـوـطـة الغـرـائـز ، مـحـكـومـة الطـبـاع . وـفـى آـيـة أـخـرى  
يـوـضـحـ جـلـ شـأـنـهـ مـعـنـىـ التـزـكـيـةـ فـيـقـوـلـ : "إـنـهـ مـنـ يـأـتـ رـبـهـ مـجـرـمـاـ فـإـنـ لـهـ جـهـنـمـ لـاـ يـمـوـتـ فـيـهـاـ  
وـلـاـ يـحـيـاـ وـمـنـ يـأـتـهـ مـؤـمـنـاـ قـدـ عـمـلـ الصـالـحـاتـ فـأـوـلـئـكـ لـهـمـ الـدـرـجـاتـ الـعـلـاـ جـنـاتـ عـدـنـ تـجـرـيـ منـ  
تـحـتـهـ الـأـنـهـارـ خـالـدـيـنـ فـيـهـاـ وـذـلـكـ جـزـاءـ مـنـ تـزـكـىـ " تـزـكـىـ . هـنـاـ تـعـنـىـ أـنـهـ آـمـنـ وـعـمـلـ الصـالـحـاتـ ..  
وـهـذـاـ مـاـ يـطـلـبـهـ اللـهـ مـنـ النـاسـ لـيـكـونـواـ فـعـلـاـ عـلـىـ دـرـجـةـ مـنـ الزـكـاـةـ . أـيـ الـطـيـبـةـ . يـصـلـحـونـ بـهـاـ  
وـيـلـقـونـ رـبـهـمـ بـصـفـائـهـ وـسـنـائـهـ . الـعـنـصـرـ الـثـالـثـ : الـتـعـلـيمـ " وـيـعـلـمـكـمـ الـكـتـابـ وـالـحـكـمـ " وـمـعـنـىـ  
تـعـلـيمـ الـكـتـابـ وـالـحـكـمـ : تـعـلـيمـ الـحـقـائـقـ الـتـىـ تـنـظـمـ الـمـجـتمـعـ ، وـالـتـىـ تـجـعـلـ النـاسـ يـعـرـفـونـ  
طـبـيـعـةـ الـدـنـيـاـ الـتـىـ يـعـيـشـونـ فـيـهـاـ ، ثـمـ طـبـيـعـةـ الدـارـ الـتـىـ سـوـفـ يـنـتـقـلـونـ إـلـيـهـاـ ، فـإـذـاـ تـرـكـواـ الـدـنـيـاـ  
بـعـدـ حـيـاـةـ زـكـيـةـ بـصـيـرـةـ وـاعـيـةـ فـإـنـهـمـ يـسـتـقـبـلـونـ الـآـخـرـةـ وـلـهـمـ فـيـهـاـ مـكـانـ رـحـبـ ، وـفـىـ هـذـاـ يـقـوـلـ  
الـلـهـ جـلـ شـأـنـهـ "الـذـيـنـ تـتـوـفـاهـ الـمـلـائـكـةـ طـبـيـبـينـ يـقـولـونـ سـلـامـ عـلـيـكـمـ اـدـخـلـوـاـ الـجـنـةـ بـمـاـ كـنـتـمـ  
تـعـمـلـونـ " هـذـهـ الـعـنـاصـرـ الـثـلـاثـةـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـصـلـحـ مـجـتمـعـ إـلـاـ بـهـاـ .. اـنـظـرـ الـآنـ إـلـىـ أـيـ شـابـ  
وـاسـأـلـهـ : كـمـ عـنـدـهـ مـعـرـفـةـ آـيـاتـ الـحـقـ ؟ كـمـ عـنـدـهـ مـنـ أـسـبـابـ الـتـرـبـيـةـ وـمـظـاهـرـهـاـ وـأـصـوـلـهـاـ  
وـفـرـوـعـهـاـ ؟ كـمـ عـنـدـهـ مـنـ مـعـانـىـ الـعـلـمـ وـالـحـكـمـ ؟ أـيـ مـاـ رـبـاطـهـ بـالـنـبـىـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ؟

فمن كان محروماً من الآيات المتبولة لا يدرى عنها شيئاً ، ومن كان محروماً من الزكاة النفسية ، ومن كان محروماً من العلم والحكمة فلا صلة له بمحمد عليه الصلاة والسلام وإن ادعى النسبة إليه !! التربية صعبة ، لماذا ؟ لأنها تجئ إلى غرائز وميل وترى أن تحكمها وتقيد جماحتها ، فهي صعبة من هذه الناحية ، الإنسان في طبيعته حب المال ، ولو كان الإنسان مالكاً لكنوز الأرض فإن شح نفسه سوف يظهر في سلوكه حتماً : "قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربكم إذا لامستكم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً" أى بخيلاً ، فلكى تهذب نفسك ، وتکبح جماحتها ، وترغماها على العطاء إذا هى رغبت في الشح فهذا يحتاج إلى تربية .. النفس فيها طمع ، قد يكفيها القليل ولكنها تتطلع إلى الكثير ، ومع مضي السن وذهاب الإنسان إلى الشيخوخة يقول عليه الصلاة والسلام : يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان : حب المال وطول العمر وورد أيضاً : لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان ، ولن يملأ فاه إلا التراب ، ويتبّع الله على من تاب ووصف القرآن الإنسان فقال : "إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسّه الشر جزوعاً وإذا مسّه الخير منوعاً"

هذه طبيعة الإنسان ، فكيف يهذب هذه الطبيعة ؟ لابد من تربية ، هناك عادات رديئة ، كالتدخين ، والثرثرة ، وإضاعة الأوقات في المقامات ، وبسط اللسان فيما تعلم وفيما لا تعلم ، فهذه عادات رديئة تحتاج إلى تهذيب ، والتهذيب أو التربية أو التزكية ، كل هذا يحتاج إلى زمن ، والزمن جزء من العلاج . وتعبير القرآن يحتاج إلى تأمل ، فنحن نقرأ قوله تعالى "الذين تتوفاهم الملائكة طيبين" هذا التعبير يحتاج إلى تأمل ، لأن اللغة العربية تقول : طاب الطعام : أى نضج ، بعد أن مكث على النار وقتا ، وتقول طاب الزرع : أى نضج بعد أن مكث في الأرض زمنا ، إننا نولد وفيينا أشياء تحتاج إلى تهذيب ، وفيينا نقص ، وفيينا عجز ، وفيينا بخل ، وفيينا نزق ، وفيينا تهور ، وفيينا هلع ، وفيينا جزع ، وفيينا هذا فعل نلقى الله بهذا ؟ إذا لقيناه بها ضيعنا ، فما العمل ؟ لابد من إزالة هذه الرذائل من نفسك ومحوها من طباعك ، والعبادات التي شرعها الله إنما هي مدارج للكمال الإنساني ، فإن الذي قال "إن الإنسان لفي خسر" قال : "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر" والذي قال "إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا" قال : "إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون"

"إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون" وهكذا نجد أن الطيبة تتكون على مر الزمان بالمسالك والأخلاق التي شرحها القرآن الكريم . هنا ألفت النظر إلى أمور خطيرة : ففترة الشباب لها عند الله حساب خاص ، فالعمر كله له حساب ، وفترة الشباب لها وحدتها حساب .. وفي الحديث : لا تزول قدمًا ابن آدم يوم القيمة من عند ربها حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه ، وماذا عمل فيما علم لماذا يسأل الإنسان عن فترة الشباب خاصة ؟ لأن فترة الشباب فترة يقطة وصحوة وقوه بين مرحلتي ضعف تسبيق إحداهما وتعقب الأخرى .. الشباب فترة قوة بين ضعف الطفولة وقصورها وعجزها الذهني والبدني ، وضعف الشيوخوخة

عجزها وعدم مواتاة الأسباب البدنية والعافية الجسمانية لتحقيق ما يصبو إليه ، وهذا معنى قول الله جل شأنه "الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشبيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير"

فترة الشباب لها خطورتها ، وينبغي أن تعدد لها إعدادا خاصا .. والأمم . في الإجمال . تعول على الشباب في تجنيدهم للمعارك ، وتعول على الشباب في تجنيدهم للتعلم والمعرفة ، وتعول على قواهم في أشياء كثيرة .. يقول المتنبي : **إِذَا شَيْخٌ قَالَ أَفْ فَمَا مَلَ حَيَاةً وَانْمَا الْعَذَابُ مَلَ آلَةَ الْعِيشِ صَحَّةً وَشَيْبَابَ فَإِذَا وَلِيَا عَنِ الْمَرْءِ وَهَذَا صَحِّحٌ ، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِّحِ : **نَعَمْتَانِ مَغْبُونٍ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ** وَالْوَاقِعُ أَنَّ الْإِسْلَامَ يُكَرَهُ لِلشَّيْبَابِ الْفَرَاغِ ، لَأَنَّ الْفَرَاغَ هُوَ الْمَعِينُ الْطَّبِيعِيُّ عَلَى التَّحْرِكَاتِ السَّيِّئَةِ ، وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي هَذَا قَوْلُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ : **نَفْسُكَ إِذَا لَمْ تَشْغُلْهَا بِالْحَقِّ شَغَلْتَكَ بِالْبَاطِلِ** ! هَذِهِ قَاعِدَةٌ فِي عِلْمِ التَّرْبِيَّةِ ، مَا دَمْتَ تَرَكْتَ لِنَفْسِكَ الْفَرَاغَ وَلَمْ تَشْحُنْ أَوْقَاتَهَا بِعِلْمٍ أَوْ بِجَهْدٍ أَوْ بِعَمَلٍ أَوْ بِأَيِّ فَرِيْضَةٍ لِلْمَعَاشِ أَوْ لِلْمَعَادِ فَإِنْ نَفْسُكَ سَتَسْتَغْلِلُ الْفَرَاغَ فِي بَاطِلٍ .. وَهَذَا مَا حَرَصَ الْإِسْتِعْمَارُ الْعَالَمِيُّ عَلَيْهِ ، كَمْ أَمْرَ فِي الْطَّرِيقِ فَأَجَدُ عِيَالًا يَلْعَبُونَ الْكُرْكَةَ فِي الشَّارِعِ ، وَأَوْقَاتَ الصَّلَاةِ تَجْئِي ، طَبِيعًا لَا صَلَاةَ ، وَوَاللَّهُ رَأَيْتُهُمْ فِي **الْدَّقَّى** **حِيثَ أَسْكَنَ كَادُوا يَدْخُلُونَ مَسْجِدًا** ، فَوَقَفْتُ أَتَأْمَلُ كَمَا يَتَأْمَلُ الْقَائِدُ جَيْشَهُ الْمَكْسُورَ ، قَلْتُ فِي **نَفْسِي****

هذا الشباب الضائع هل تعلم أن هناك صلوات تؤدى ؟ لا .. هل تعلم أن للمساجد حرمة؟ لا .. غيره تعلم أن لبيوت العبادة حرمة ، لكن الاستعمار العالمي خلق شبابا فى بلادنا لا يحترم المساجد ، ولا يحترم شيئا ، فهو يعيش كأى حيوان ليس له صاحب ، هذه ثروة مهملة ، هذه ثروة ضائعة ، هذا الشباب المهممل كان يجب أن يساق إلى معسكرات عمل ، ليس أخطر على البلاد من شباب فارغ ، فالفراغ هنا باب التسول الجنسي ، باب الانتهاك لحرمات الله ، باب التتبع للوساوس ، باب للجدل الذى لا يفيد ، باب للمهارشات التى قد تنتهى بالسجون. على العلماء وهم يتحدثون فى التربية أن يقولوا : إن النفس البشرية لها ميول ، تميل إلى الشىء ، فهل إذا رأيت نفسك على الصدق أو على الوفاء ، وبدأ هذا التوجيه النفسي ميلا نفسيا إلى الصدق ، أو ميلا نفسيا إلى الوفاء ، هل تعتبر صادقا أو وفيا بهذا الميل ؟ لا .... ربما قوى الميل وأصبح رغبة ، فهل رغبتك فى الصدق والوفاء تجعلك صادقا أو وفيا ؟ لا . فإذا قويت هذه الرغبة وتحولت إلى إرادة جازمة أصبحت - بها - تريد الصدق والوفاء ، فهل تكون - بهذا - صادقا وفيا ؟ قال العلماء : بالإرادة القوية تقترب ، لكنك لن تكون صادقا ولن تكون وفيا إلا إذا أصبح الصدق عادة لإرادتك ، إنك إذا كذبت والكذب ليس عادتك أو ليس خلcek فإنك تتلعثم ، ويضطرب لسانك ، ويحمر وجهك لأنك ما تألف الكذب ولا تعرفه ، إنما الصدق عادة الإرادة عندما تخون أو تغدر فإنك تضطرب وتشعر بأنك ستذبح لأن هذا ليس خلcek . الأمة الإسلامية - للأسف - من الفراغ الذى كثر فيها أصبح لا يعرف المسلم من غيره بسلوكه ما .. دخل جاسوس يهودي سوريا

ووصل إلى أعلى المراتب ، حتى قيل : رشح للوزارة !! ولم يكشف أنه جاسوس إلا لأن المصريين كانوا قد التقىوا له صورا عرفوه بها ، وحكم عليه بالإعدام .. لما سألت نفسى : كيف لم يعرف هذا ؟! كان الجواب : كيف يعرف فى بيته ليس للإسلام فيها خصال معينة ولا تقاليد معينة تحدد سيرة الرجل المسلم وسلوك الرجل المسلم؟ لاصلاة ، لاصيام ، فى رمضان فطور ، فى أحفال الخمر يشرب .. إننى أعرف أن المسلم عندما يرفع الإذان يشعر أن الوقت قد دخل ، ويشعر بقلق من يريد أداء فريضة فى ذمته ، فى رمضان يستعد للشهر قبل أن يدخل بالنية وبما يحتاج إليه الشهر ، فى أحفال الخمر يرفض أن يحضر .. فإذا كان يدعى الإسلام ولا يصلى ولا يزكي ولا يصوم ، وفى أحفال الخمر يشرب فكيف يعرف

ال المسلم من الم جو سى ؟ لقد ضاعت كل السمات أو الخواص أو المعالم التي تميز سلوك المسلم من غيره . أما إذا كان المسلك الذى يظهر من المسلم هو هو المسلك الذى يظهر من م جو سى أو يهودى فكيف يفرق بينهما ؟ بشهادة الميلاد . شهادة الميلاد لاتنفع فى كشف حساب الله . الإسلام فى أيامه الأولى نهض بشباب كان لهم مع الله جانب ، وكانت لهم عبادات ، وكان لهم جهاد وكانت لهم قدرة على إحقاق الحق وإبطال الباطل .  
وابطال الباطل وهل نصر الأوائل هذا الدين إلا فى إبان شبابهم ؟ إبراهيم عليه السلام عندما قرر أن يهدم الأصنام كان شابا جياش العاطفة ، مو فور الحماس ، صادقا مع ربه ، غيورا على عقيدته ، فأخذ يتناول الأصنام بالاحتقار والغمز ، وفي يوم ما هدمها ، وعندما بحث عن الفاعل " قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم " فتى : شاب قوى . أهل الكهف الذين كابرموا الضلال وقاوموا الباطل ، وتمردوا على مجتمع منحرف ، وأبوا إلا أن يعيشوا مؤمنين بربهم ، ما صفاتهم ؟ إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى " هؤلاء عندما استيقظوا فأول ما حرصوا عليه أمر دينهم ، ولذلك لما شعروا بالجوع قالوا لمن أرسلوه يجيء بالطعام : احذر ، فإننا إن وقعنا مرة أخرى في أيدي القوم أضاعونا " إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعذوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا " إذا هذه العاطفة واضحة في خلق ناس لهم إيمانهم ، ولهم شبابهم الذي نحرص عليه ونحبه ... الذين تجمعوا حول نبينا عليه الصلاة والسلام كانوا شبابا ... سيدنا موسى عليه السلام عندما وصف الله أتباعه عندما حارب الفرعونية الحاكمة قال " فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم "

ومعنى ذرية من قومه أن الأجيال الجديدة ، أو الشباب الناشئ ، أو أن أصحاب القلوب النظيفة هم الذين أبوا أن يستمرؤوا ما استمرأه آباؤهم من ذل وخنوع ، ومشوا مع فطرتهم في رفض الدنيا والمطالبة بالحرية ، ولذلك آمنوا بموسى وانقادوا إلى دعوته . الشباب عنصر خطير ، ولذلك نريد أن نوفر له الجو النقي الذي يحسن فيه الاتصال بدينه وأداء ما عليه لربه ، فترة الشباب خطيرة ، ولخطورتها فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سبعة يطളهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله حاليا ففاضت عيناه الشباب هم الذين كانوا وقد المعارك في مجتمع الإسلام الأول .. وقد استغربت وأنا أتابع النشاط الإسلامي الأول ، وأرى كيف أن العيال في المدينة . الشباب الناشئ في مستقبل عمره - عندما رجع جيش " مؤته " دون أن يحقق نصرا قالوا لجنود هذا الجيش : يا فرارا ! فررتم في سبيل الله فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى الشباب الذي لم يبلغ درجة القتال والقدرة على مواجهة الأعداء شباب يقطن ، ينتظر الوقت الذي يؤدي فيه واجبه ،

ولذلك ظل المسلمون نحو مائة سنة يحاربون فما انكسر لهم جيش ، ولا نكس لهم لواء ، حتى فتحوا المعروف من أرض الله . أنا كذبت الصحف التي طلعت في أوائل يونيو سنة 1967 م تقول : إن سبب الهزيمة ضعفنا في التكنولوجيا !! الذين قالوا هذا الكلام كانوا شيوعيين كذبة ، الفراغ هو الذي صنع الهزيمة ، السلاح في أيدي المؤمنين ولو كان قاصرا يصنع العجائب ، يقول رجل قصير : إلا يكن عظمى طويلا فإني له بالخصال الصالحات وصول إذا كنت في القوم الطوال علوتهم بعارة حتى يقال طويل المسألة إذا نفسية ، والحالة النفسية يصنعها الإيمان ، وكما يقول البوصيري : إذا حللت الهدایة قلبا نشطت في العبادة الأعضاء لا تزال محنتنا الأولى أخلاقنا .. إننا بحاجة ملحة إلى ربط الأخلاق بالإيمان ، وإلى ربط المجتمع بالإيمان ، فإن الإيمان هو الذي يصنع اليوم والغد ، وهو الذي يصون حياتنا ومستقبلنا . إذا كان الإسلام . كما نعتقد . سبب النجاة عند الله في الدار الآخرة فالإسلام . قبل ذلك . هو ضمان بقائنا على ظهر الأرض . شبابنا يجب أن يتعلم كيف يتمشى مع تعاليم الإسلام وكيف يؤدي حقوق الله عليه يؤدي حقوق الله عليه، وكيف يصون قوته وعافيته بتقالييد الإسلام وعباداته ، بتعاليم الدين الحنيف وتوجيهاته "ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم" أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

~~~~~

## المنقذ من الضلال

أيتها الأخوة:

هل كان العالم محتاجاً إلى هذه الرسالة؟ وما مدى هذه الحاجة؟ هذا ما أحب أن ألقى الضوء عليه . يقول رب العالمين

”تَاللهُ لَقَدْ أَرْسَلَنَا إِلَى أُمُّمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَزِينْ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيَهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتَبَيَّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدِيَ وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ“

لقد كان العالم قبلبعثة الإسلامية يخوض في الأوحال ، وكان الناس قسمين : قسماً لا يدرى عن رسالات السماء شيئاً وهم الأميون أيا كانوا عرباً أو غير عرب ، وقسماً يدرى شيئاً من رسالات السماء يهودا كانوا أو نصارى . فلنعلم أن الأميين والكتابيين جميعاً كانوا حيارى تائبين عن الحق .

عقيدة التوحيد هي أساس الرسالات السماوية كما قال الله تعالى : "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبden" تحولت هذه العقيدة في التراث اليهودي والنصراني - كما نقرؤه الآن- إلى شئ يستحق التأمل . ففي العهد القديم تقرأ أن الله دخل في ملاكمة مع يعقوب ظلت طول الليل !! الله بديع السماوات والأرض الذي ليس كمثله شئ المحيط بالعرش والفرش والأفلاك علوها وسفلها هذا الإله الذي يعجز الناس عن إدراك كنهه ويسجدون في ساحتته وهم معترفون بالعجز الأزلى الأبدي إلا عن هذا الوضع من إدراك حقه وهو السجود له يدخل في ملاكمة ويظل يلاكم طول الليل ؟ !! نعم هذا ما جاء في سفر التكوين ، وفي السفر نفسه أن هذا الإله جاء مع ملكين ودخلوا بيت إبراهيم وأكلوا وشربوا جميرا !! وفي السفر نفسه تجد أن الله كان يتمشى في الجنة فسمع صوتا فقال : من ؟ ، أين أنت يا آدم ؟ مختبئ هنا ، لماذا ؟ لأنى عريان ، هل أكلت من الشجرة ؟ نعم !! أهذا تصوير للعليم بكل شئ ؟ أهذا تصوير للخبير بكل خلجة قلب ؟ أما بالنسبة للديانة النصرانية فإن الأقانيم الثلاثة أفهمت الناس أن الله ليس واحدا على ما ينبغي أن تفهم الوحدانية . هذا شئ ، شئ آخر : سقطت المسئولية الإنسانية عن ضمائر الناس وكواهله لأنه قيل لهم : إن الابن الوحيد لله قتل وضحى به كي يكون فداء عن خطايا الخليقة !! هل قال الأنبياء هذا ؟ ما قال الأنبياء هذا منذ بعثوا إلى يومنا هذا ، ففي وحيهم الخاتم يقول الله تعالى : "أمر لم ينبا بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفي ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأولي" إن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانت بالنسبة إلى العقيدة تصحيحا لابد منه ، ولو لم تجئ هذه الرسالة لظل الناس طول أربعة عشر قرنا تائرين في صحراء طامسة موحشة لا معلم فيها ولا هدى . لو لم تجئ هذه الرسالة لظل التاريخ الإنساني يتدرج من درك إلى درك في صلته بالله وتهوينه في آفاق الخرافية حتى لا يمكن أن يكون لهذا التاريخ كرامة ولا لهذا الإنسان مكانة ولا لهذا الكوكب الضال بمن عليه وما فيه أى استحقاق للبقاء !! إذا كانت الإنسانية قد بقيت واستحققت الوجود فإنما بقيت واستحققت الوجود لأن الإنسان الكبير الذي تجسد الهدى فيه وأرسله الله للناس يستخرجهم من الظلمات ويستنقذهم من الضلالات هو الذي فعل بالناس هذا !!

فنحن في أعقابنا دين له ، ونحن نشعر بأننا لو لا هذا النبي الكريم صلي الله عليه وسلم لكان عبيد خرافة لا ندرى شيئاً عن الحقيقة الوحيدة الواحدة التي قامت بها الأرض والسماءات !! هذا في مجال العقيدة ، فماذا عن مجال الإنسانية ؟ الإنسانية الآن نزعة تسود أقطاراً كثيرة ، بل لعلها الآن العنوان المختار لأغلب الأنظمة السياسية والفلسفات البشرية . لقد تبعت هذه النزعة فوجدها تزويراً أحياناً وغشاً ودخناً أحياناً أخرى . الإنسانية في نسقها الأعلى وجوهرها الصافي ما تكون الإنسانية إلا إذا وفت أولاً لمن أبرزها إلى هذا الوجود وشعرت بحقه . العالم - الآن - يستحب أن يكون العنوان الذي يعمل تحته أو الشارة التي تظلل قافلته هي الإنسانية . والإنسانية عنوان - في حقيقته - مرغوب ، ولكنه كما درسته في الهتافات والصيحات المعاصرة مزور ومحشوش . ولذلك فإنني أحب أن ألفت النظر إلى الإنسانية كما يعرفها الإسلام وكما قدمها للناس محمد عليه الصلاة والسلام . الإنسان عقل وقلب ، والرسالة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام كان هدفها الأول تحرير العقل الإنساني ورد اعتباره إليه وجعله القائد لصاحبـه بل إن الإسلام تميز بحقيقة ينبغي أن نعلنها في هذا العصر . وهي أن ربط الإيمان بالمنطق العقلى ، وأمر أمراً مشدداً بأن يمزق الإنسان الحجب عن عينيه ، وأن يتأمل في الكون ، وعن طريق هذا التأمل يعرف ربه ويدرك عظمته !! عن طريق التأمل يبني الإيمان ، فبین الإيمان الراسى في القلب وبين

الكون الذى نعيش فيه علاقة قوية ، عبر عنها الأستاذ العقاد بقوله : ` التفكير فريضة إسلامية ` وهذا صحيح فالقرآن الكريم يقول : "أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين أولم ينظروا في ملکوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء " هذا شئ قام الإسلام عليه ، ومن هنا فإن الإنسانية إذا قررت ألا تمشي وراء عقلها فهى تتمرد على منطق الإسلام . وقد كنت أتابع فى هذه الأيام بعض الكتاب - وأنا أتابعهم من قديم - فوجدت أن عددا من الكتاب - تقليدا لأوربا - يحاول أن يقسم الكيان المعنوى للإنسان قسمين ، فيجعل العقل والعلوم التجريبية التى يستقل العقل بالبحث فيها نوعا من اليقينيات المسلمة ، ويربط بين العقل والعلم على هذا الأساس ، ثم يجعل الدين قسيما للعقل والعلوم الأخرى ، وكأنه يقول : إن الدين نوع من الانطباعات النفسية أو نوع من السكينة القلبية أو نوع من المخدرات الاجتماعية أو نوع من العلاقة الخاصة بين العبد وربه . وهذه العلاقة لا بأس بها أن تأخذ ألوانا معينة فى شرق وفى غرب فإن الدين كالفن أو كالغناء ، وكما توجد موسيقى شرقية وموسيقى غربية فلا بأس أن يتتنوع الدين وأن يجمع بين الهندوكية والبوذية والشنتوية واليهودية والنصرانية !! وأنا أفت النظر إلى أن ما ي قوله أولئك عن الدين نوع من الارتداد عن الإسلام ، ونوع من القطيعة بين تاريخنا المعاصر وماضينا العريق ، ونوع من التدليس يراد به خداع الأجيال الناشئة وجعلها تقبل الدين على أنه نوع من الفن أو مرادف له ، أما أن الدين حقيقة عقلية فلا !! نعم .. الدين يستحيل أن يكون حقيقة عقلية فيما عدا الإسلام

كيف تعتبر تقدير الحيوان دينا في الهندوسية ؟ كيف تعتبر عبادة الأجداد دينا في الشنتوية ؟ كيف تعتبر ملاكمة بين الله وبين عبده دينا في اليهودية ؟ لما وجد هؤلاء أن الدين شيء والعقل شيء آخر جعلوا الدين نوعا من الصلة الخاصة وعزلوه عن الفكر والعلم ، والمراد في العصر الحاضر أن يساق الإسلام مع بقية التركة الدينية التي جاء الإسلام للقضاء على بعضها وإصلاح ما وقع من خطأ في بعضها الآخر الإنسانية . في نظرنا . عقل تحرر من الخرافات ، وأول الخرافات جعل الدين بعيدا عن العقل . وباسم أن الدين شيء والعقل شيء آخر يمكن تنويم العقل الإنساني ليقبل الخرافات في الدنيا هنا أو هنا !! من من محمد عليه الصلاة والسلام في عنان الخلائق إلى قيام الساعة أنه جاء إليهم وقال لهم : احترموا أنفسكم ، احترموا عقولكم ، احترموا سمعكم وبصركم ، احترموا نسبكم السماوي إلى الله ، احترموا وجودكم الأعلى والجانب الأذكي والأتقى في حياتكم وتفكيركم !! ديننا دين العلم والعقل ، وهو أيضا مبعث لتراث عاطفي محترم ، ولكن على أساس من العقل اليقظ ، والفكر الحارس ، والفقه الدقيق ، والأوهام المطاردة ، والظنون التي لا يقبل لها أن تستقر ، لأن الأقدمين أخذ عليهم أنهم يتبعون الأوهام والتخمين ولا يتبعون الفكر واليقين : "وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله علیم بما يفعلون" إذا كان الإسلام على لسان الإنسان الكبير الضخم الذي جاء به قد رد للعقل الإنساني احترامه فإنه . أيضا . قد أعطى القلب الإنساني مكانه .

العقل الإنساني قد يخدم الخير وقد يخدم الشر فإذا لم يتحرك القلب ، وإذا لم ينتفض انتفاضة تسقط ما علق به من أدران الهوى فإن الذكاء العلمي قد يكون وسيلة طيبة لخدمة الشيطان ، وهو ما يقع في عصرنا هذا !! الذكاء مطلوب ، لكن ليخدم قلبا نبيلا ، ليخدم غرضا شريفا ، ولذلك فإن الإسلام قال مارا عديدة وفي أماكن كثيرة : "إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون" واعتبر أن العقل هو الإنسانية إلا أنه بين أنه لابد للإنسانية - كى تستقيم على الطريق - من قلب يشرف على هذا العقل . ففي الحديث الشريف يقول الرسول صلي الله عليه وسلم : `ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ولا يقصد بالقلب - بداعه - العضلة أو المضخة - بتعبير الأطباء - التي تدفع الدماء في العروق وتقوم بدورها في صيانة الحياة المادية ، لا .. القلب - هنا - يقصد به ما يسمى في عصرنا بالضمير .. الضمير الذي يشرف على الكيان المعنوي للإنسان : "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد " "يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم"

لقد حارب الإسلام الهوى في سبيل إقامة قلب سليم ... أحياناً انظر إلى قوانين كثيرة وتشريعات لا حصر لها وأنواع شتى من الرقابة الموضوعة ، ولكنني أحس كأن هذه الشبكة التي نسجت دقةً مهكمةً لكي تضبط السلوك البشري لا تساوى شيئاً ، يستطيع الإنسان بذاته أن يتغلب عليها وأن ينتصر في معركة الشر . والسبب : أنه لا قلب له ، لا ضمير له ، والأهواء قد سيطرت عليه . إن الله قال لداود: "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلوك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب " الهوى هو آفة القلب ، وعندما يطلب الإنسان ضميراً لا تعلق به شهوة أو قلباً يحكم الهوى ولا يحكمه الهوى فهو يطلب للإنسانية المجال الصحيح الذي تعمل فيه والأداة الطيعة التي تنتصر بها . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

## معالم الرسالة الإسلامية

أيها الأخوة : حياكم الله ، ونصر وجهكم ، وربط بالإيمان على قلوبكم ، وقوى صفوفكم وثبتكم على الصراط المستقيم ، إننيأشعر بشئ من السعادة وأنا أتفرس في الوجه ، وأستحيى ذكريات ، وأمضي مع كثيرين من أهل الإيمان على الدرب الذي شرفنا الله بأن نمضي فيه وأن نثبت عليه.

موضوعنا الذي نتحدث فيه الليلة . إن شاء الله . هو : معالم الرسالة الإسلامية في صنع الإنسان .. هذه المعالم . فيما ذكر . تكررت أربع مرات في القرآن الكريم ..

الموضع الأول : في قوله تعالى على لسان إبراهيم وإسماعيل :  
"ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم " .

الموضع الثاني : في السورة نفسها عند الحديث عن تغيير القبلة "كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلّمون " الموضع الثالث : في سورة آل عمران : "لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين" الموضع الرابع : في سورة الجمعة : "هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين" لوحظ أنه في الموضع الأول وحده تأخرت التزكية ، أما في الموضع الثلاثة الأخرى فإن التزكية توسطت التلاوة والتعليم . قد يقال لم هذا ؟ والجواب : إن العطف بالواو لا يفيد لا ترتيبا ولا تعقيبا وإنما يفيد التشيريك في الحكم ، والقرآن الكريم مرتين يقول : موسى وهارون ، ومرة أخرى يقول : هارون وموسى ، فلا ضرر أن تتعاطف هذه الحقائق على نحو ما ، وقد يكون هناك معنى آخر ليس هنا مجال توضيحه.

ساختار الموضع الثاني وأبدأ الحديث عنه ، والموضع الثاني يبدأ من قوله تعالى " ومن حيث خرحت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأنتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ينلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون " عندما كنت أقرأ السورة وقفت طويلا عند قوله تعالى : " كما أرسلنا فيكم رسولا منكم" وقلت في نفسي : ما معنى ` كما ` هنا ؟ ما الربط الذي يربط بينها وبين ما قبلها ؟ بدأت أتدبر الآيات جيدا ثم اتضح المعنى كله ، ومعنى هذه الآيات أن الله تعالى يقول للعرب : إنني وجهت الناس إلى قبلتكم ، هذه نعمة مني عليكم معاشر العرب ، لكنها ليست النعمة الأولى عليكم ، إنها منة مسبوقة بمنة أخرى وهي إرسال محمد صلى الله عليه وسلم فيكم وابتاعته منكم : " ولأنتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما أرسلنا فيكم رسولا منكم " بدا لي من دراسة التاريخ ، ومن دراسة الإنسان العربي بالذات أن الأمة العربية تفقد إنسانيتها يوم تفقد الإسلام اكتشف هذا المعنى فيلسوف عربي اجتماعي هو ابن خلدون عندما قال : لا يقوم للعرب ملك إلا على أساس نبوة .

وبنعتير العصر الحديث لا تقوم للعرب دولة إلا على أساس دين ، ومهمما بذل الناس من أسباب اقتصادية ، ومهمما أنفقوا من أموال لكي يجمعوا قلبا على قلب وصفا إلى صف فإن هذا يتغدر عليهم كما قال تعالى "هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفق ما في الأرض جميرا ما ألغت بين قلوبهم ولكن الله أله ألف بينهم إنه عزيز حكيم " خيل إلى أن الطبيعة العربية كطبيعة هذه المصايبح التي أمامنا الآن ، هذه المصايبح صممت على أساس أنها لا تضي إلا بتيار ينساب في أسلاكها من خارج ، فإذا لم يجئ هذا التيار بقى المصباح مظلما لا يصلح بزيت أو شمعة ، لا يمكن أن يضاء إلا إذا جاء التيار الذي يتالق به !! كذلك النفس العربية إذا انقطع تيار الإسلام عنها رسبت فلم تعل أبدا حتى يجئ الإسلام فيرفع خسيستها ويزكي سيرتها ويعيدها لكي تكون أستاذة للناس وموجها للعالم وقيادة روحية للخلق !! ليس للعرب وجود مادي أو أدبي أو إنساني إلا بهذا الدين ، ربما نجحت أجناس أخرى - كاليونان مثلا - بفلسفة من الفلسفات ، ربما نجحت أجيال أخرى بفكرة من الفكر ، لكن يوم يفقد العرب الإسلام يعودون جاهليه وقبائل متناشرة متهالكة لا يمسكها شئ !! إن التاريخ بتجاربه الطويلة يؤكد هذه الحقيقة ، فما كان للعرب وجود مادي أو أدبي له حرمة وكرامة إلا يوم اصطبغوا بهذا الدين وأسلموا

لله وجوههم ، وأخلصوا قلوبهم ، وحملوا الرسالة التي شرفوا بها وفهموا قوله تعالى : "كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون " ولذلك فإنني واثق من أن أمجاد العرب ستظل وهما بعيدا حتى يعودوا إلى الإسلام ، وتكون هذه العودة على النحو الذي شرحته الآيات القرآنية في أربعة مواضع .. تلاوة وتركيبة وحكمة وتعليم . وأريد الآن أن أشرح هذه الكلمات . ` يتلو عليكم آياتنا ` ما معنني يتلو ؟ هل التلاوة كلمات منغومة نبدأ بها مجالسنا كما حدث الآن ؟ هل التلاوة أن نسمع كلمات منغومة بصوت عذب ؟ لا .. لا .. نحن نضحك من أنفسنا ونخون الحقائق الإنسانية والتاريخية يوم نتصور التلاوة على هذا النحو !! الذي فهمته بعدها تتبع كلمة ` يتلو ` في أماكن كثيرة من القرآن الكريم أن التلاوة تعني شرح مراحل الطريق أو ما يسمى في عصرنا إعلان المبادئ . التلاوة هي معرفة المنطلقات التي نبدأ منها والأهداف التي نصل إليها . تأمل معي قوله تعالى : "كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتقتلوا عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب " التلاوة هنا بعد المقارنة أو التذكير بالرسالات السابقة تعني أن الرسالة الجديدة تعرض جملة مبادئها ، كما تعرض أي نهضة الأصول التي تنطلق منها

وكما تعرض أي جماعة الأهداف والأركان التي تبني عليها وتحدو الأمة إليها . تأمل معي قوله تعالى : "واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا " تأمل قوله تعالى : "إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين " التلاوة هنا : قراءة تدبر ، قراءة وعي لما يراد ، قراءة بناء لما يراد إنشاؤه من حضارة !! وأحب أن ألفت النظر إلي أن التلاوة لها معنی أوسع وأعمق وأشرف من التلاوة بالمعنى الشائع في عصرنا هذا . لابد أن نحفظ القرآن ، لابد أن نقرأه ، لكن هذا ليس هو المقصود ، المقصود أن نعرف أن الكتاب الكريم دليل عمل . وأن التلاوة تعطي فكرة عامة عن الإسلام . لابد من تلاوة عامة يعرف بها الكيان الأدبي كله للدين الذي أنت مقبل علي دراسته . **ويزكيهم** ما معنی التزكية ؟ التزكية هي التربية ، المصطلح الحديث لكلمة التربية لا يدل عليه شيء إلا هذه الكلمة . كلمة التزكية . استعمل القرآن كلمة **التزكية** وقد استعمل الصوفية كلمة **التخلية والتخلية** **والكلمة الدقيقة الجامعة** لكل من هذه المعانی هي كلمة **التزكية**

ماذا تعنى كلمة التزكية ؟ تعنى أن يستجتمع الإنسان الفضائل التي لابد منها للكمال الإنساني . هل - نحن - ولدنا مطهرين بلا عيوب وبلا غرائز تهبط بنا ؟ الإنسان يولد ويولد معه ما يدعوه للاختبار ، والاختبار يلخص فى كلمات سريعة : " ونفس وما سواها فالمهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسها " أفلح من زكاها بالصدق ، بالوفاء ، بالأمانة ، بالرقة ، بالرفق ، بالرحمة ، بالشرف ، بأمور كثيرة . خاب من دسها بأضداد ما ذكرنا من صفات . تأمل فى قوله تعالى " إِنَّمَا مَنْ يَرِهُ مُجْرِمًا فَإِنْ لَهُ جَهَنَّمُ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الْدَّرَجَاتُ الْعُلَا جَنَّاتُ عِدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى " لابد من أن تزكي ، لابد من أن تترفع ، لابد من أن تظهر ، معنى التزكية : أن يظهر البخل بخله ليكون كريما ، معنى التزكية : أن يظهر الجبان جبنه ليكون شجاعا ، معنى التزكية : أن يظهر الإنسان الرذائل التي تجعله يمد عينيه طامعا جشعيا ويعيش عفيفا ولو فى مستوى دون العادة . لابد أن تكون الأمة الإسلامية أو تصب فى قالب جديد . يقول الشيخ محمد عبده : الفساد يهبط من أعلى إلى أدنى ، والإصلاح يصعد من أدنى إلى أعلى !! وهذا صحيح ، هذا طريق الأنبياء ، فإن الأنبياء بدأوا يتحركون بين جماهير الناس .

التزكية : هي البحث عن كل عيب في النفس الإنسانية ووقفه واحتثاث جذوره ، ثم يجيئ بعد هذا تكميل النفس الإنسانية بالكمالات الإنسانية . " ويعلمكم الكتاب والحكمة " كثير من المفسرين ظن أن الحكمة هي السنة ، وهذا تفسير يصح في بعض المواضع التي ذكرت فيها الحكمة في القرآن الكريم . إن كلمة `الحكمة` ذكرت في القرآن الكريم أكثر من عشر مرات ، وهي تفيد أن العمل الصالح المتقبل إنما يتم بصدق النظر وحسن الفقه ، وأنه مع الجهل لا تقوم حكمة ، إنما تقوم الحكمة مع الحكم الدقيق والنظر الصائب في الأمور . وقد ذكرت كلمة `الحكمة` في مواضع شتى .. منها قوله تعالى : " ولقد آتينا لقمان الحكمة أَن اشْكُر لِلّهِ وَمَن يَشْكُر لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ عَنِيْ حَمِيدٌ" نحن محتاجون إلى أن نتعرف كيف نقيم العناصر الثلاثة لرسالتنا . إن الأمة الإسلامية في الحقيقة اكتملت تعاليمها في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولكن ظهر من انحرف بهذه التعاليم وابتعد عنها أو أساء إليها فماذا كانت النتيجة ؟ بدأنا ننحدر عن المكانة التي بلغ إليها آباؤنا !! كان آباؤنا العالم الأول خلال ألف سنة تقريبا .. من علمنا أضاءت

الدنيا .. ومن خلال أخلاقنا انقمعت شهوات !! إن الأمة الإسلامية نسق وحده فلا تصحيح الأفكار ، وفي صيانة الأعراض ، وفي ضبط السلوك ، وفي ذكر الله وتحري رضاه والاستعداد للقاء !! وهذه هي العناصر التي يمكن أن تؤدي باستكمالها واجباتنا . والله ولی التوفيق ..  
وصلی الله علی سیدنا محمد وآلہ وسلم والسلام علیکم ورحمة الله وبرکاته

## الحقائق والنظريات بين العلم والدين

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآلها . وبعد

فإن الإنسان مريض بالغرور ، وقد يحسب نفسه ويحسب الأرض التي يعيش عليها الكون الكبير في آماده وأبعاده ، وربما جره هذا إلى ألا يحسن معرفة ربه ، ولو أنه استمع إلى قول الله تعالى "خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون" أو استمع إلى قول الله تعالى : "تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض" لو أنه استمع إلى هذا لعلم أن الكون الكبير الذي نعيش فيه أكبر من خيالنا مهما كان جامحا . وقد قلت يوما : إن الأرض بمن عليها وما عليها لو أنها ذهبت بددًا في الفضاء وفنيت فإن الملكوت الإلهي لا ينقص شيئاً ذا بال !!

وهذا ما جعلنى أفهم بدقة ما ورد فى الحديث القدسى : ﴿ .. يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك فى ملكى شيئا ، يا عبادى لو أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا دخل البحر !! ولو أن الأرض غلت بالإثم غليانا وفاقت بالشر فيضانا فإن هذا لا يخدش شيئا من كبراء الله ولا من عظمته !! فإن الذين يسبحون بحمده خلال ما سمعتم من ملابيب السنين الضوئية تكفى : "وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون" لا يستحسرون : أى لا يمتنعون ، لا يفترون ، أى لا يتبعون الكون ضخم ، وقد قلت يوما لأحد الناس : هل تتصور أن رجلا يبني عمارة من خمسة آلاف دور ثم يسكن غرفة فى الدور الأرضى ويدع بقية الآلاف من الأدوار تصفر فيها الرياح؟ فلم بناها ؟ الكون مشحون بالمخلوقات التى تبعد ربهما وتؤدى حقه ، ونحن البشر فى كوكب تافه ، نحن البشر أتفه من أن نكون شيئا خطيرا فى الكون !! هذا شئ ، الشئ الثانى : أن القرآن الكريم قسم والكون كله قسم

آخر ، وقد وجدت أن الله عز وجل يقسم بعظمة الكون على عظمة القرآن "فلا أقسم بمواعع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين" أى أنه يقسم بعظمة عمله على عظمة قوله ، وقد تكرر هذا القسم في مواضع أخرى من القرآن الكريم ، ففي سورة الحاقة يقول : "فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين " وفي سورة التكوير يقول : "فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس إنه لقول رسول كريم " في هذه الآيات يصف رب العالمين الفترة قبل بزوغ الشمس وقبل مطلع الفجر ، والكون في حالة ترقب لليوم الجديد الذي يطل على الناس ليفتتحوا معه صفحة جديدة ، إنه يقسم بهذه الحالة لكي يلفت النظر إلى أن من أراد الهدى ففي القرآن هداه !! إن الله جل شأنه جعل الكتاب موازياً أو مساوياً للكون الذي نعيش فيه ، فعندما وصف نفسه رأيت أنه وصف نفسه بأمرتين : أمر يقول فيه : أنا خالق الكون ، وأمر يقول فيه : أنا منزل الكتاب ، فجعل خلق الكون وإنزال الكتاب صفتين كلتاهما تعادل الأخرى !! قال تعالى : "تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قادر"

وقال تعالى : "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً " فمرة : تبارك من بيده الملك ، ومرة : تبارك من أنزل الفرقان !! وعندما حمد ربنا نفسه قال مرة : "الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور" وقال مرة أخرى : "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً " فبين أنه أهل الحمد لأنه خلق الكون وأنزل الكتاب !! بديهي أنه يستحيل أن يختلف قول العاقل وعمله ، فكون العلم يصف الكون بما يخالف كلام الله وهذا شئ غريب !! ولهذا أحب أن أحدد الحقيقة التي درسناها واستقر رأينا عليها ولا أري لا عننا ولا حرجاً في تردیدها . هذه الحقيقة - باختصار - هي : كل متيقن في العلم يوافق كل متيقن في الدين ، وكل متيقن في الدين يوافق كل متيقن في العلم !! فالمقطوع به في العلم يوافق المقطوع به في الدين ، والمقطوع به في الدين يوافق المقطوع به في العلم !! فإذا قيل : هناك خلاف بين العلم والدين ، فأحد أمرتين : إما أن ما وصف بأنه علم هو جهل وقيل إنه علم ، وإما أن ما وصف بأنه دين هو جهل وقيل إنه دين . ما كان ديناً حفا

يستحيل أن يصطدم بعلم ، وما كان علما حقا يستحيل أن يصطدم بدين. يقول الله عن القرآن : " وبالحق أنزلناه وبالحق نزل "

ويقول عن الكون : "ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق " فكلاهما حق ، فكيف يختلف حق وحق ؟ أريد أن أشرح كلمة ` متيقن به في العلم ` وكلمة ` متيقن به في الدين ` هل هناك حقائق علمية ونظريات علمية ؟ نعم . هل هناك حقائق دينية وظنيات دينية ؟ نعم . هناك حقائق دينية وظنيات دينية ، وهناك حقائق علمية ونظريات علمية ، فإذا قيل : إن الحقائق العلمية والدينية لا تختلف فالكلام مطلق لا تقييد فيه . وإذا قيل : قد تختلف نظريات علمية مع حقائق دينية أو ظنون دينية فالكلام صحيح لأن النظريات العلمية لم تستقر بعد والظنون الدينية آراء . خذ مثلا للحقائق الدينية "قل هو الله أحد " هذه حقيقة لا كلام فيها فهل أثبت العلم أن الله ثلاثة ؟ لا .. مثال آخر : أثبت القرآن أن الماء مصدر للحياة "وجعلنا من الماء كل شيء حي" فهل أثبت العلم خلاف هذا ؟ لا .. نأتي إلى الظن الديني : الظن الديني له مصادران .. المصدر الأول : الآية القرآنية التي ثبتت يقينا من ناحية السند ولكن اختلف العلماء في دلالتها .. واختلاف العلماء في دلالتها يجعل هذه الدلالة طنية .. أقرب مثل إلى جمهور المسلمين قوله تعالى : "وامسحوا برءوسكم"

فالآلية . يقينا . ثابتة ، لكن هل معناها متيقن ؟ لا .. الشافعية قالوا : الباء للتبسيط والافتراض مسح بعض الرأس . الحنفية قالوا : الباء للإلصاق ، والمفترض مسح ربع الرأس . المالكية قالوا : الباء زائدة ، والمفترض مسح جميع الرأس . هل المعنى - هنا - متيقن ؟ لا .. المعنى هنا ظني . المهم إذا اختلف ظني ديني مع ظني علمي فلا حرج ، لماذا ؟ لأن المعنى لم يتحدد . نأتي إلى حقائق العلم .. هناك - يقينا - حقائق علمية .. فالهندسة تقول : مجموع زوايا المثلث يساوي قائمتين ، وهذه حقيقة ليس عندي ما يردها . تبقي الظنون العلمية ، ما الظنون العلمية ؟ نظريات ، هذه النظريات موجودة في العلوم الإنسانية وفي العلوم الكونية . النظريات في العلوم الإنسانية كثيرة ، وأمثلة ذلك كثيرة فـ فرويد يرى أن الجنس هو أساس كل الدوافع الإنسانية هذه نظرية قد يكون فيها صادقا وقد يكون فيها منحرفا . ماركس يدبر التاريخ كله حول نظرية القيمة ويفسر بها كل الأحداث هذه نظرية . النظريات في ميدان العلوم الإنسانية أفكار قد ترجم بالقرائن التي تحفها لكنها لا تتحول إلى حقيقة علمية إلا إذا ثبتت بأدلة حاسمة لا تقبل المناقشة وبطل نقيضها بأدلة حاسمة لا تقبل المناقشة . هناك نظريات علمية ، افترض أن داروين رأى أن التطور أو النشوء والارتقاء أصل في الكون ، فهل هذه حقيقة ؟ لا .. هذه نظرية ، بعض العلماء يصدقها ، وبعض العلماء يكذبها ، وللأسف هذه النظرية تدرس عندنا في علوم الأحياء علي أنها حقيقة علمية

تدرس عندنا في علوم الأحياء على أنها حقيقة علمية ، وهذا غلط . حاول بعض المشايخ وبعض علماء الطبيعة والكيمياء والأحياء أن يفسروا القرآن على ضوء نظرية داروين فقالوا : داروين يقول بالتطور والقرآن يقول " وقد خلقكم أطوارا " ويقول : " الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرؤن " قلت لمن يستدل بهذه الآيات على نظرية داروين : قد تتحمل الآيات ما تقول وربما رفضت ما تقول ، لكنني أكره أن أفسر القرآن بنظريات علمية قد تبطل . عندما يستقر العلم على حقيقة لا خلاف فيها فأنا أفسر بها القرآن ، أما النظريات العلمية الرجراحة المائعة التي لم تستقر علميا فلا تحرجني بها ولا تورطني فيها ، وإذا كانت لم تستقر بعد عند أصحابها فكيف تلزمني بقبولها وتكلفني أن أفسر الوحي على أساسها ؟ هذا لا ي قوله عاقل !! نظرية تمدد الكون لـ ' أينشتين ' من الجائز أن تكون صحيحة ، لكن هل تحولت النظرية إلى حقيقة علمية ؟ لا أدرى هذا ، ويوم تتحول إلى يقين علمي فأنا مستعد أن أفسر قوله تعالى : " والسماء بنيناها بأيد وإنما لموسعون " على أساس نظرية التمدد الكوني ، لكنها إذا بقيت نظرية علمية ولم تتحول إلى حقيقة علمية فأنا أرفض أن أفسر القرآن بها . هذا بالنسبة إلى القرآن الكريم ، أما بالنسبة إلى السنة المطهرة فأغلب ما ورد في السنن من أحاديث آحاد فهو مصدر للظنون وليس مصدرا للقطعيات المتيقنة منها .

ولذلك فإن جمهور المسلمين يأخذ العقائد من المتواتر لا من أحاديث الأحاداد ، إنما تؤخذ أحاديث الأحاداد ويعمل بها في الأحكام الشرعية الفرعية التي لا شك فيها . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وصلي الله علي سيدنا محمد وآلته وسلم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

العلم يدعو للإيمان أيها الأخوة والأخوات : يسرني أن أشرف بلقائكم لأول مرة في هذا المعهد ، إبني مسرور إذ يوفقني الله جل شأنه لأن ألتقي بطلاب الجامعات المصرية في الإسكندرية والقاهرة والزقازيق والمنصورة وأسيوط والمنيا وقنا . إن الأجيال الجديدة التي تحمل راية الثقافة العصرية ينبغي أن تتصل بها - فعلا - لمنع عنها بعض التزوير الذي تلبسه ثقافات ليس لها نصيب من الفكر الصحيح ، وليس لها رصيد من العقل السليم ، وليس لها كذلك ما يجعلها تلقي حفاظة من أمتنا لأنها ثقافة قد تهدد حاضرنا ومستقبلنا علي سواء . ولذلك فإن ثقتي في أن الأجيال الجديدة تحترم عقلها يجعلني أتحدث إلي المتعلمين وإلي طلاب الجامعات وأنا مستريح الضمير هادئ النفس .

كل ما أطلبه هو ما يطلبه الإسلام وهو :احترام الدليل ، تحريك العقل الهاجع الغافل ، البحث عن الحق بنزاهة وشرف نفس . سمعت كلمة ` للعقاد ` في أحد كتبه يقول : هناك مقلدون في كراهية التقليد !! ربما يكون التقليد معينا يوم يكون إلغاء للعقل وانسياقا وراء الآخرين . وعندما يكون الإنسان حر الفكر ، صاحي العقل ثم يكره التقليد فمن حقه هذا .. ولكن مقلدين في كراهية التقليد ، كراهيتهم ليست عن حركة عقلية واعية ، ولا عن صحو نفسي محترم . ويوجد بين المثقفين ناس ربما انساقوا وراء تيارات تصف نفسها بالتقدمية .. والتقدمية صفة مستحبة ، ونحن نرى أننا تقدميون ، ونرى أن كثيرا من الذين يدعون التقدمية يحتاجون إلى أن يحرکوا عقولهم وإلى أن يواظروا ضمائرهم لأنهم كما قال القرآن الكريم : "ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير " . حديثنا - اليوم - عن الله ، وهو حديث أستحبه لأنني مؤمن ، وقد يستغربه من لا إيمان له . أنا أستحبه لأنني مؤمن أرى أن الله ولني أمري وولني نعمتي وصاحب فضل علي . عرفت ربى بعقولي أولا ثم عرفته بحسبي بعد ذلك فحديثي عنه حديث من يأنس ويألف . إنني أكلف كل عاقل أن يحترم عقله ، وأكلف كل مفكر أن يحترم تفكيره ، لأن الإيمان - كما تعلمناه في كتابنا - نتيجة عمل عقلي سليم ، والذي أنزل القرآن هو الذي أودع فيه هذا التساؤل : "أَمْنَ يَبْدَا الْخَلْقُ ثُمَّ يَعِدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بِرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ".

إن القرآن يطلب الدليل لأنه يقيم تعاليمه على الدليل ، وهو إذ يعيب المشركين قدימה على تقديسهم للخرافات وسيرهم وراء الأوهام فإنه يقول في شأنهم : "ومن يدع مع الله إليها آخر لا برهان له به فإما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون " . كأنما جاء حسابه من أنه لا برهان له في ما زعم ، ولا دليل له فيما ادعى . إننا قوم نحترم الدليل ، ونكرم البرهان ، ونمشي وراء العقل . إن وراء العقل الإنساني أن يفكر ، وأن يفكر بأصالحة ، وأن يتحرى الصواب . وجمهور كبير من الناس يزعم أنه عاقل أو أنه يتحرى الصواب أو أنه يبني منطقة علي مقدمات مرتبة ونتائج مستفادة ، ولكن عندما نناقش لا ترى شيئاً من ذلك كله : "ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعننا من كل أمة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون" . بعض الناس يحلو لهم أن يتصوروا الإيمان وكأنه نتيجة تعصب للقديم أو نتيجة دراسات تلقينية ، ويحلو لهم أن يصورووا الإلحاد وكأنه منطق العالم المتحضر ، وكأنه منطق البحث الحر !! هذا هو الكذب ، هذا هو التزوير ، هذا هو اللعب بالألفاظ . إن الإيمان يوم يكون نتيجة تعصب وثقافة تلقينية لا فكر لها فأنا أول من يدوسه بقدمي وأول من يتمدد علي مطالبته ، لأنني أحترم عقلي ، أحترم المنطق ، أحترم العلم ، وأرى أن كل ما ينافق العقل والمنطق والعلم يجب أن يداس وأن يطرح وألا يلتفت إليه . من الإشاعات الكاذبة . التي انتشرت في مصر ونشرها ناس لهم غرض - أن أكثر الفلاسفة والعلماء ملحدون ، وأن أكثر العظماء والقادة لا خلق لهم !!

هذا نوع من الدجل ، هذا نوع من الإشاعات الحقيرة ، يجب أن يحارب هذا الدجل بصرامة لأن أغلب الفلاسفة مؤمنون .. نعم قد يكونون غير مسلمون لكنهم مؤمنون .. فأنا أعلم أن أرسطو `مؤمن ، وأن `سocrates `مؤمن ، وأن `أفلاطون `مؤمن . وهؤلاء لم يعرفوا الإسلام لأنهم ما اتصلوا لا بموسى ولا بعيسى ولا بمحمد ، ربما كانوا في أقطار أخرى لم تظهر فيها هذه الديانات . ولكن الفلسفه الثلاثة بعقولهم المتحركة وصلوا إلى أن الله حق . ومع ذلك فإن بعض الناس إذا ذكر الفلسفه القديمه كره أن يذكر أرسطو وسocrates وأفلاطون وغيرهم من الفلسفه المؤمنين ، واكتفي بفلاسفة منفعتي ك "أبيقور" أو فيلسوف لدى ك "أرستيوس" وكان الفلسفه هي الإلحاد .. هذا نوع من السفه أن نلتفت إليه وألا نتورط فيه . إن الإسلام دين يقوم علي تحريك العقل البشري ، وكما قلت لكم : أريد أن نحرك عقولنا حتى لا نعصي ربنا .. قد يقول قائل : سبحان الله : تحريك العقل عبادة وعدم تحريك العقل معصية ؟! نعم . هذا هو الدين ، إن الله يقول . علي لسان أهل النار : "وقالوا لو كان نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير" . لأن عدم العقل ذنب !! فأنا أريد العقل ، أريد التفكير . في أثناء قراءتي العاديه للقرآن الكريم . دون تعمد . لفت نظري فجأة أن القرآن خلال عشرين سطرا فقط في سورة الزمر لفت النظر ثلاث مرات إلى العلم والعقل وضرورة احترام العلم والعقل . الموضوع الأول هو قول الله تعالى : "أمن هو قانت آباء الليل ساجدا وقائما يحدِّر الآخرة ويرجو رحمة ربِّه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكَّر أولو الألباب" وبعد عدة سطور قرأت قوله تعالى . وهو يوازن بين أصحاب الفكرة الجامدة وبين من يوازنون ويرجحون ويتخرون . : "والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فيبشر عباد الدين يستمعون القول فيتبعون أحسنَه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب" . وبعد عدة سطور يلفت العقل البشري إلى ظاهرة تستحق أن تعرف : "ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرأ ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكى لأولي الألباب" . إن أولي الألباب ذكروا في عشرات السور في القرآن الكريم ، والتفكير احترم في مئات السور . رجل مدنى ك "عباس محمود العقاد" لم يدخل الأزهر ولم يعرف الثقافات التقليدية ، ومع ذلك فقد ألف كتابا عنوانه ` التفكير فريضة إسلامية ` وبدأ الكتاب بأن ذكر قريبا من ثلاثة آية تحدث جميعا عن العقل البشري وعن وظائفه

وعن خصائصه وعن ضرورة الاهتمام به والانقياد له والتعویل عليه فيما يكون من أحكام وفيما ينبغي أن نتوافق به من مسالك وأعمال . أضحكني أن هناك خلافا وقع بين علماء العقيدة المسلمين حول إيمان المقلد ، هل إيمان المقلد له قيمة ؟ الجمّهور على أن له قيمة باعتبار أن بعض الدهماء وبعض العوام لا طاقة لهم على التفكير، فهم يقلدون من هم أرقى منهم عقلا ومن هم أنضج منهم رأيا .

أضحكني وأنا أتابع المناقشات بين الفريقين أن الفريق الذي يرفض إيمان المقلد كان من ضمن أداته قوله جل شأنه : " وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ". قال هؤلاء : وإيمان المقلد ليس من سعيه إنما هو من سعي الآخرين وجهدهم العقلي ، والإيمان مسئول عن سعيه الخاص ومثاب أو معاقب عن جهده الذي يبذله من مواهبه وخصائصه !! فالعقل لأنّه لم يبذل من نقصه شيئاً فليس له عند الله شيء ينال به درجة ما . بعض الناس تصور أن العلماء لا يؤمنون ، وقد قرأت في كتاب فلسي نفلاً أثبته في كتابه الدكتور التفتازاني أستاذ الفلسفة في كلية آداب القاهرة ، أثبت الدكتور النقل ، وأنا أحكيم الآن بشيء من التجوز وهو أن صحفياً أمريكياً جاء إلى أينشتاين - صاحب نظرية النسبية . فقال له : هل أنت مؤمن بالله ؟ فقال أينشتاين : نعم ، فقال الصحفي مندهشاً : صفاتنا لله الذي تؤمن به . فقال أينشتاين : لا أستطيع !! فقال الصحفي : ولم وأنت العالم الذي لخص الطاقة الذرية في معادلة جبرية فهل تعجز عن وصف الله ؟ فضحك أينشتاين . قال له : أنا أعجز وغيري من العلماء يعجزون ، أرأيت لو دخل طفل مكتبة مليئة من سطحها إلى سقفها بالمجلدات في جميع أنواع المعرفة ويجميغ لغات الأرض أيعي الطفل منها شيئاً ؟ قال له : لا .. قال : نحن في هذا العالم لا نستطيع أن نعرف الله أو نعرف كنهه كما

تريد أن تطلب مني وصفه إلا كما يعي هذا الطفل شيئاً في هذه المكتبة !! فقال الصحفي : وما الذي عرفك به ؟ قال : الحكمة !! نحن في تتبعنا للخصائص والقوانين التي تحكم حركة الكون مضطرون للإيمان بالله لأننا نجد حكمة فيما نري ، وجدنا أن مادة الكون دقيقة مرتبة وعندما نتبعها يقودنا مجهول إلى معلوم وفق خطة منسقة بارعة ، وعندما نصل إلى هذا المعلوم نتبين أننا أمام مجاهولات تالية فنسير في سراديها أو دهاليزها وما نكاد نصل إلى معلوم حتى يدلنا على مجهول آخر !! فاستيقنا من الحكمة التي أمامنا ، وهي أن أشرافاً أعلى فوقها ويستحيل أن تكون وليدة عمى أو جهل أو اضطراب أو خلط !! لقد عرفنا الله بهذه الحكمة التي تجعلنا نسجد أحياناً لجلاله !! هذا رجل عالم ، ما أزعم أنه مسلم عرف الكتاب والسنّة ، ولكن الذي أزعمه أنه رجل عالم برى من العلل النفسية. قد تقول لي : وما معنى البراءة من العلل النفسية ؟ أقول لك : لقد تبين لي - فعلاً - أن بعض الملحدين يجيءون إليهم من علل نفسية لا من حركة عقلية . وعندما يكون الإلحاد وليد علل نفسية فإن له علاجاً آخر غير العلاج العقلي الذي يحتاج إليه العلماء في بحثهم المنطقي . يحكى تاريخنا أن ابن الرواندي - وهو رجل معروف بالإلحاد - ظهر

في بغداد وحفظ عنه بيتان من الشعر قيل : إنهم أأساس الحكم بكفره والإلحاد . هذان البيتان هما : كم عاقل عاقل أغيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاء ممزوجاً بهذا الذي ترك الألباب حائرة وصير العالم النحرير زنديقاً لهذا رجل غضبان لأن العلماء . فيما يرى أو في تجاربه في مجتمعه - جياع ، وأن الجهلة . في تجاربه أو في مجتمعه . شبعانون !! وقيل أن السبب في نطقه بهذين البيتين أنه كان جائعاً وأنه وقف على جسر في بغداد فإذا خيل الخليفة تمر به ، وهو رجل ذكي وأضاعته الأوضاع التي عاصرته فقال هذين البيتين !! أنا عندما أرى ابن الرواندي متعب النفس ظاهر الكفر لهذا السبب أشعر أنه مصيبة في اعتراضه ولكنه مخطئ في الجهة التي يعترض عليها . هو مصيبة في أنه لا يجوز أن يكون العاقل أو العالم جائعاً والجاهل أو الغبي متربعاً . ولكن الذي يجعلك ترمي على القدر أو على الله الأخطاء الاجتماعية التي وقعت بين الناس ، والله جل شأنه أمر بغير هذا ؟ "قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون قل أمر ربي بالقسط" . إن الله أمر بالعدالة ، أمر بالعدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعدالة في كل شئ . وإذا كان الله أمر

بالقسط والناس عصوا فما دخل الله في هذا ؟ إذا وجدت انقلابا في المجتمع جعل الذكي يتأخر والغبي يتقدم فصحح هذا المجتمع باسم الله وقل : إن الله أمر بالقسط.

أما أن ترفض الإيمان بالله لأنك تنسب إليه أنه أراد هذا وأمر به ويني المجتمع طبقيا على هذا النحو فهذا هو الضلال ، هذا هو العمى ، هذا هو الجهل . الإلحاد هنا له علة نفيسة وليس عقلية لأن الأنبياء لم يجئوا لاستبعاد الجماهير وتدليل بعض الفئات ، يقول الله -

مبينا الهدف من رسالات سبقت ولحقت - : "ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونتمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجندهما منهم ما كانوا يحذرون" . وقد بين القرآن هدف رسالات السماء عندما قال : "لقد أرسلنا رسالنا بالبيانات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط" . فقيام الناس بالعدل هدف رسالات السماء !! فابن الرواندي جاهم لأنه ظن أن رسالات السماء هي التي جعلت الخليفة يشبع وجعلت هذا يجوع . وأعقل منه زكي مبارك الذي قال يصف نبينا صلي الله عليه وسلم : محمد الذي عاش فقيرا وباسمه حكم ملوك وسلاميين !! تناقض يلحظه أديب ك : زكي مبارك ، لا بأس أن يلحظ التناقض لكن ليس علي طريقة من قال : لما رأيت الحظ حظ الجاهم ولم أر المغبون غير العاقل شربت عشرة من كؤوس بابل فصرت من عقلي علي مراحل هذا نوع من العبث والضياع ، هذا نوع من الأمراض النفسية . واعتقادي أن صرخ المعد الجائعة إذا أوحى بکفر أو إلحاد فإن هذا الصراخ يجب أن يشبع أولا ثم بعد الشبع يمكن أن نجر الناس من أفكارهم

لنقول لهم : الجوع كافر ، وربما أخرجكم الجوع عن وعيكم لكنه باسم الإيمان تطعمون من جوع وتأمنون من خوف !! إن الله عز وجل عندما أمنن علي مجتمع مكة امتن عليه بالشعب والأمان : "فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعهم من جوع وآمنهم من خوف" . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . وصلي الله علي سيدنا محمد وآلها وسلم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## القرآن معجزة عقلية خالدة

أيها الأخوة أَحَمَدُ إِلَيْكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَصْلِي وَأَسْلَمُ عَلَيْ مُحَمَّدَ وَآلَهِ .. وَبَعْدَ ..

تميزت الرسالة الإسلامية بأنها إنسانية عامة خالدة ، وأن المعانى التي جاءت بها والأهداف التي سعت إليها تكررت في كتاب هو دليل النبوة وبرهان صدقها ، وهو في الوقت نفسه وعاء الهدى وكنز الخيرات التي جاء بها هذا الدين.

ولم يقع هذا لنبوة مضت ، فإن النبوات التي مضت كانت الرسالات فيها وصايا حسنة ، و كلمات طيبة ، وعظات مقبولة ، وتوجيهات لا ريب فيها ..

وربما كان الدليل الذي يساق دعما لصاحبها وبيانا لأنه موفر من عند الله جل شأنه ربما كان خارقا من خوارق العادات أو معجزة من المعجزات الحسية التي ترغم الناس على التصديق ..

لكننا قلنا : إن الله ربى محمد ليربى العرب به وربى العرب بمحمد ليربى بهم الناس جمیعا !!! فهل خوارق العادات عندما تقع تكون سندًا له وتصلح تربية لأمة وصقلًا لمعدنها ورفعا لخسيستها وبلوغها بها إلى مستويات أذكى في الخلق وفي المسلك والتي ببرامج أدق في الاقتصاد والاجتماع والسياسة ؟ لا .. خوارق العادات لا تؤدي هذه الرسالة . طلب العرب من النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام أن تقع على يديه هذه الخوارق : "وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهر خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا أو تأتي بالله والملائكة قبليًا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقتك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه" هذه مقتراحات القوم ، فيها شئ من آمال الصحراء ، ينبوع يتفجر بالماء وسط الجد ، أو بساتين ناضرة فيها العنب والبلح تكون طعاماً مبذولاً ميسراً ، ورجل يركب فرساً من أفراس الخيال ليصعد إلى السماء ويعود كما تصور لنا الأساطير في ألف ليلة وليلة !! هذه مقتراحاتهم ، لكن الله عز وجل رفض هذه المقتراحات كلها وأجري على لسان نبيه هذا الجواب : "قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً" . أنا بشر رسول لا أملك إلا ما يملكتي الله ، أنا ألتقي الوحي وأبلغ ما ألتلقاه : "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ إنما الحكم إلا واحد" رسالتي أن أحرك عقولكم ، رسالتي أن أنقي قلوبكم ، رسالتي أن أوحد صفوفكم ، رسالتي أن أهذ هذا المجتمع الراكد ليتحرك وينطلق !! وبم يهزم المجتمع ؟ بهذا القرآن الذي يتلوه علي الناس !! إن هذا المجتمع لابد لكي يربى من أن يكون علي أخلاق أخرى ، كتابي هذا الذي شرفني الله به وأنزله علي قلبي هو المنهاج الذي حوى من القيم ما يزكي الخلق ، ومن البرامج والأنظمة ما يدعم المجتمع ويجعل هذه الأمة - فعلاً - طليعة عالمية تقدم للناس الأفكار التي تنعشهم من خمول ، وتحطم القيود التي كبلتهم وكبلت الإنسانية معهم دهراً ، وتمحو الخرافات . معجزتي : كتاب يغير النفس الإنسانية ، كتاب يرقى المجتمع البشري ، كتاب يترجم عن أشواق الفطرة الإنسانية إلى الكمال وإلي السمو . يقول ابن رشد : إن الأدلة على القضايا نوعان : أدلة من جنس القضايا ، وأدلة من خارجها ، وضرب المثل على ذلك .. وسأضرب أنا المثل من شركة المقاولين العرب التي نتحدث فيها الآن : رجل يدعي أنه مهندس ، نقول له : ما دليلك ؟ يقول لك : أمشي علي

الماء ، ويمشي - فعلا - علي الماء !! يقول ابن رشد : الواقع أن الرجل أتي بدليل يخدعني أنه مشي علي الماء ، وهذا خارق للعادة ، ولكنه دليل من خارج القضية .. وهذا صحيح ، لأنه لا صلة بين الماء والهندسة .. لكن لو قال .. دليلي علي أنني مهندس أني أبني لك قصرا منيف الشرفات واسع الردهات ويبنيه فعلا ، أو يقول لك : أبني لك جسرا تعبر عليه المارة والسيارات ، ويبنيه فعلا .. فهو بهذا الدليل العملي الذي هو من جنس القضية قد أثبت أنه مهندس.

لو جاءني رجل وقال لي : أنا طبيب ، و دليلي طبي أنى أطير في الهواء فهل هذا دليل ؟  
لكن لو قال لي : دليل طبي أنى أداوتك إذا مرضت ، و فعلا ي جاء له بالمرضى فيشفى  
سقامهم و يكتب لهم الدواء فيزدح علهم !! فأى الدليلين أقرب إلى نفسك و أدل على  
صحة القضية التي انتصب لإثباتها ؟ بداهة الدليل الثاني لأنه من جنس القضية . يقول ابن  
رشد : إن دلالة القرآن على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليست كدلالة انقلاب العصا  
حية و لا إحياء الموتى المرضى . فإن تلك و إن كانت أفعالا لا تظهر إلا على أيدي الأنبياء إلا  
أنها مقطوعة الصلة بوظيفة النبوة .... أما القرآن فدلالته على صفة النبوة مثل دلالة الإبراء  
على الطب . يكفى أن رجلا جاء و قال للناس : اسمعوا لي ، انتفعوا بي ، سيروا ورائي ، ما  
أطلب ملكا و لا مالا و لا لذة ، سأكون طليعتكم ، يوم أطلب شيئا سأكون قبلكم منفذه ، يوم  
أكلفكم غرما سأكون قبلكم دافعه ، اتصلوا بي ، و سيروا ورائي ، و انظروا ماذا سيكون .  
فأنظر فأجد الأصنام المعبدة تهشمت ، و كيف تهشمت ؟ قلت في كتابي *ـ فقه السيرةـ* :  
مشكلة الوثنية ليست في تحطيم الأصنام ، لأن الوثني غبي و يوم تأكل الإله الذي يعبده .  
إن كان يعبد إليها من العجوة . فسوف يذهب ليصنع إليها آخر و يعبده !! لماذا ؟ لأن العيب في  
نفسه ، كالخائف بالليل عندما يصور له الفزع أن الظلمة مليئة بالأشباح وأن جذع الشجرة  
عفريت متربص به !! وكل هذه خيالات نابعة من نفسه ، فالدواء ليس في هدم الأصنام ، لا  
.. الدواء أن تجئ بهذا الإنسان فتصح لعقله ، و تغسل قلبه من الأدران وتعيد إليه وعيه  
الصحيح .

إذا فعلت هذا معه فسيذهب بنفسه إلى الصنم ويحطمها !! هذه هي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا ما صنعه محمد صلى الله عليه وسلم . رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أنه جاء للناس وقال لهم : أنتم لستم عباداً صغاراً تحتاجون إلى من يمشي بكم في الطريق ، لا .. لقد كبرتم ، سأرسم لكم خريطة تبين لكم الطريق وما فيه من عقبات ، والمتاعب التي قد تلقاكم ، والأعداء الذين يتربصون بكم فانظروا فيها واقرأوها جيداً وسأمشي معكم عشرين سنة أدرِّيكم علي السير !! هذا هو الفارق بين الرسالة الخاتمة وبين غيرها من الرسالات هذا هو الفارق بين الإعجاز في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبين الإعجاز في غيره من الرسالات . لو كانت معجزة محمد صلى الله عليه وسلم عصا قلب جبل أحد إلى بستان لامن بها من رآها ، لكن من لم يرى هذا سيقول : أنا لم أمر هذا . لكن عندما أسمع آية في القرآن تقول : "قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار" . عندما أسمع هذا الكلام يحركني وأنا في القرن الرابع عشر للهجرة !! القرآن يخاطبني وأنا في القرن الرابع عشر للهجرة ويحرك عقلي بهذه التساؤلات : "قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أمة يشركون أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسٍ يجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون. " "أمن يجib المضطرب إذا دعاهم ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون أمن يهدّيكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " القرآن بهذا التخاطب العقلي اشتربك مع دماغي وأن في القرن الرابع عشر للهجرة وكان صاحب الرسالة يقول هاتوا برهانكم !! هذا منطق جديد يقول لي : اتبع الدليل العقلي ، احتمكم إلى البرهان ، انظر في الكون ، انظر في نفسك ، وازن بين الأفكار والمبادئ ، قلب وجوه النظر في كل شيء !! إننا أمام كتاب

عمله الأصلي أن يدخل إلى الأجهزة المعنوية في الكيان الإنساني ثم يدير مفتاح هذا الكيان فيرضى ، كما تدخل مكان مظلما فتضي مصباحا لإنارتة . هذا القرآن كتاب يحرك العقل الإنساني ، وتحريكه للعقل الإنساني يكون بوضع ضمادات حسنة لسير هذا العقل . يقول العقل الإنساني : احترم نفسك ، لا تتبع الأوهام ، لا تتبع الظنون ، لا تتبع التخمين ، ابحث عن اليقينيات . إن أمما سبقت ضلت لأنها اتبعت التخمين والوهم : "وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يعني من الحق شيئا إن الله علیم بما يفعلون" . ويقول القرآن في ناس ضلوا : "وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوا وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفی شک منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوا يقينا . "

نحن نبحث عن اليقين ، ولذل يقول القرآن للإنسان : "ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والرؤا كل أولئك كان عنه مسؤولا. "

لا تتبع ما تجده ، ابحث فيما يعرض لك ، كن طالب يقين ، إن الطعون لا تليق أن تحرك الناس

والغريب أمن الناس في كثير من الأزمنة والأمكنة تحركهم إشاعات باطلة ، وكلمات طائرة لا ترتكز على يقينيات ! هذا المعنى في الرسالة الإسلامية هو الذي جعل نبينا صلي الله عليه وسلم يقارن بين دليل الإعجاز كما خصه القدر به ودليل الإعجاز كما في النبوات الأولى فيقول : ` ما من الأنبياء من نبى إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أُوتىت وحياً أُوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثراهم تابعاً يوم القيمة. `

لم يكون أكثر الأنبياء تابعاً يوم القيمة ؟ لأن الكتاب الذي جاء به يجدد الإيمان في كل عصر !!

افرض أني وجدت نسخة من القرآن في أي قارة ، في أي بلد ، في أي زمن ، وأخذتأتأمل في هذا الكتاب ، إنني سأجده الحديث في هذا الكتاب كتاباً إنسانياً ، حديثاً عن الله رب العالمين لا حديثاً عن الله

رب إسرائيل فقط كما جاء في العهد القديم ، لا ، سأجده حديثا عن الله بديع السماوات والأرض ، سأجده رب العالمين يعرف نفسه للناس فيقول : " الله الذي خلقكم ثم يرزقكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون " . " الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون " هذا التعريف بالله فيه لفت لنظرى إلى الكون ، بل لفت لنظرى إلى نفسي : " وفي أنفسكم أفلأ تبصرون " " فلينظر الإنسان مم خلق " وهناك أسئلة تعطى دفعة علمية ، تأمل في قوله تعالى : " أفلأ ينظرون إلى الإبل كيف خلقت " كيف هذا سؤال علمي يجعل العقل البشري يبحث . لكن - للأسف - الأمة العربية التي قلت في صدر حديثي : إن الله ربها بمحمد صلى الله عليه وسلم ليربي بها الناس ، هذه الأمة لم تحسن أن تتجاوب مع التراث الغالي الذي شرفها الله به ، ولم ترفع مستوىها الفكري لتكون عند حسن الظن بها . ومن باب الإنصاف أقول : أن هذا التخلف العربي طارئ وما هو بأصيل في تاريخنا . والحقيقة أن العرب يوم ظهروا كانوا - بتعبير العصر الحديث - طليعة تقدمية فكرية واجتماعية طفت بالمجتمع العالمي - علي عهدها - طفرة رحيبة ، كان العرب يمثلون يومئذ أرقى أطوار الفكر البشري والتقدم الاجتماعي ، ويعجبني أن مؤرخين منصفين تحدثوا عن دور العرب في هذا

الموضوع . كنت أقرأ كتاب ` معالم تاريخ الإنسانية ` لـ ` ولز ` وهو يتحدث عن تاريخ الإنسانية فقال ما خلاصته إنه من الغبن للحق أن نتصور الفتح العربي غزوا عسكريا فهذا غير صحيح ، لقد كان الفتح العربي يمثل انفجارات فكرية واجتماعية صاحبت تقدمه على أنقاض الاستعمار الروماني الذي شغل الناس بجدل بيزنطي وبحث لاهوتي مرهق عن العلاقة بين التثليث والأقانيم وما إلى ذلك . فكان مجيء الإسلام بمسؤولته في تصور العقيدة ، وبالعدل الاجتماعي الذي وفره للجماهير الكادحة ، وبالحريات والكرامات الإنسانية التي نشرها بين الناس كان ذلك هو الذي وطد أركانه ، وجعل العرب لا يعتمدون على القوة العسكرية في بقائهم ، إنما يعتمدون على المبادئ والمثل في إقبال الناس عليهم وترحبيهم بهم !! هذا هو الكلام - تقريبا - الذي قاله المؤرخ الإنجليزي ` ولز ` في كتابه ` معالم تاريخ الإنسانية ` . الواقع أنني تصورت العرب يومئذ بالقاطرة التي تشد ورائها سبعين عربة !! العربات - وحدها . كانت موجودة جاثمة في مكانها لا تتحرك محتاجة إلى جهاز قوي يشد ، من الذي صنع الجهاز ؟ من الذي صنع الأمة التي شدت هذا القطار من العربات ؟ إنه القرآن ، القرآن هو الذي كون هذا كله !! القرآن هو الذي ضبط سلوكهم وأحكم أمورهم ورقي مستواهم وجعلهم يمسكون بالقلم الأحمر لينظروا في فلسفات الإغريق والسريان والهنود وآداب الفرس وغيرها ثم ما رأوه صحيحا استبقوه ونموه ، وما رأوه خطأ شطبوه !! وكل هذا يعطيك فكرة عن المستوى العلمي الهائل الذي صنعه القرآن

للامة العربية وجعلها طليعة عالمية بالحق ل بالإدعاء، بالقدرة لا بالتصنع. القرآن لا يزال بين أيدينا ما ارتفع، السنة لا تزال بين أيدينا ما اختفت ، أسباب النهوض موجودة في الأمة الإسلامية، والأمة الإسلامية تستطيع أن تؤدي دورها التاريخي للعالم أجمع يوم ترجع إلى القرآن الذي شرفها الله به وجعلها أرقى أمم الأرض على الإطلاق. أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم وصلى الله على سيدنا محمد وآلہ وسلم. والسلام عليکم ورحمة الله وبركاته.

هذا ديننا

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. بسم الله الرحمن الرحيم  
أيها الأخوة

إن مطالعة وحوهكم تشرح الصدر، وتملاً الفؤاد طمأنينة علي مستقبل هذا الدين.

إن النظر في تلك الصفواف المترادفة يكشف عن معجزة من معجزات الإسلام تحدث أعداؤه  
عنها .

هذه المعجزة أساسها : القدرة الخارقة المودعة في تعاليم هذا الدين التي تجعله علي  
امتداد الزمان والمكان يصنع الرجال ، وينشئ الأجيال ، ويمد معنی الإيمان به من عصر إلى  
عصر، ومن قطر إلى قطر.

إن هذه المعجزة لفت نظري إليها صديق من أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة بمكة  
المكرمة ، قال لي : أحب أن أترجم لك مقالا نشرته صحيفة أمريكية ، وووجدت هذه الصحيفة  
تتحدث في مقال لها عن الطبيعة .

التي تميز بها هذا الدين ، بعد أن أجرت حديثا مع بعض الشباب الذين تصورت فيهم انهم نسوا دينهم ، لأن بعضهم ما كان يؤدي الصلاة مثلا أو لأنه انقطع عن قومه أبدا . أجرت معهم علي اختلاف أفكارهم وأمزجتهم أحاديث شتى خلصت في نهايتها إلي أن كل واحد كان غيورا علي دينه ، متشبثا به ، وإن شده الشيطان بعيدا عنه فهو يحن إلي العودة إليه ، وينبئ أن يألف المهاجر النجس الذي هيأته له الحضارة الحديثة بما يسرت من ملذات وبما أتاحت من متع . ولفتت الصحيفة النظر إلى أن هذه الخاصة في الإسلام خاصة غريبة لأنها تجعل أتباعه سرعان ما يجيب أحدهم الآخر إذا ناداه أو استنجد به قائلا له لبيك إنني أريد أن أنه بأن للإسلام فضلا علينا ، ليس لأحد فضل على الإسلام ، الفضل للإسلام في أنه زودنا بشخصية صلبة أبى أن تذوب أمام الميوعة والإباحية التي وفدها سماسته الغزو الثقافي من كل ناحية . إن الإسلام يتعرض في عصرنا لحرب طاحنة من جهتين معروفتين - الآن - في العالم : جهة تناصر الدين من أساسه ، تحب أن تبعثر الشبهة في تاريخنا وفي حضارتنا وفي يومنا وفي غدنا على أساس من تفسيرها المادي للتاريخ ، وعلى أساس من الإلحاد الذي تبشر به . وهناك جهة أخرى ترى أن لها ثارا عند الإسلام وأن هذا الثأر لا يمكن أن ينسى . إن الأوروبيين قبل أربعة عشر قرنا كانوا يحكمون مصر والشام والشمال الإفريقي كله ، وكانت سيطرتهم علي هذه الأرض تنصح بشيء من الأفكار التي تدين بها .

من الذي أجلى هذه القوى عن مصر وعن الشام وجعل مدتها ينحصر ويتراجع إلى روما أو إلى القسطنطينية أو إلى البلاد التي جاءت منها ؟ إنه الإسلام ولذا يشعر الاستعمار الغربي - وهو يضرب بلادنا بشتى القوى - أنه يريد أن يسترد أرضا كانت له قديما هذا المعنى يجعلنا ندرك طبيعة القوى التي تواجهها ، وهذا الإدراك لا بد منه . ولذا فأنا أقول لكم : إن خدمة الإسلام لا يقدر عليها كل أحد ، خدمة الإسلام تحتاج إلى رجل يجمع بين عنصرين لا يعني أحدهم عن الآخر : العنصر الأول : الإخلاص العميق لله . العنصر الثاني : الذكاء العميق في رؤية الأشياء علي طبيعتها . كلا العنصرين لا يعني أحدهما عن الآخر ، قد تكون مخلصا جدا ولكنك عديم الفقه ، أو قليل الذكاء ، أو ضعيف البصر بالأوضاع والحقائق ، فأنت تنسى إلى دينك ، وربما أصابه منك ما أصاب صاحب الدبة منها ولذلك قال علماؤنا : إن العمل لا يقبل إلا بأمرتين : النية الصحيحة ، والعمل الصحيح ، وهو أن يجيء وفق ما رسم الله .

فلو أن أحدا ابتدع شيئا ليس له في الدين أساس فنيته الطيبة لا تغنى عنه ، ولو أنه أتى بشئ صالح في الدين ولكنه كان مضطرب النية مغشوش الإخلاص فإن عمله لا يقبل منه . فلنجتهد في أن نجمع بين الأمرين : صدق النية وفهم ناصح لحقائق الإسلام . لقد تابعت أعداء الإسلام فوجدتهم صنفين ، وذكرني بالصنفين القارئ وهو يقرأ - اليوم - الآيات الأولى من سورة البقرة . هناك صنف يكفر بالحق وهو يعرفه ، ويحتجد اليقين وهو يعرفه ، ويحارب المؤمنين ويظلمهم وهو يعرف ذلك ، لماذا ؟ لأنه فرعوني المزاج ، فرعوني المذهب والوجهة ، وفرعون كان يدرى أنه ليس بإله ، وكان يدرى أن موسى على الحق ، ومن مع فرعون كانوا يعرفون هذا ، ولكنهم كما قال رب العالمين : "وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ ظَلَمًا وَعَلَوْا" وهؤلاء عاقبتهم مشئومة "فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" هذا النوع هو الذي تقال فيه الآية الكريمة : "أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضْلَلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غَشَاوَةً" هذا نوع من الناس ، هناك نوع آخر ، وهو الذي سمعتم وصفه في الآيات العزيزة من سورة البقرة وهي تصور وجهة نظر المنافقين . المنافق لا يدرى أنه خسيس ، ولا يحب أن يعرف بأنه خداع ، بل عندما يناقش يدافع عن نفسه باتهام الآخرين ، وتأمل معي في هذه الآيات "إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنَّمَّا كُنَّا  
آمِنِينَ السَّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ"

هذا النوع من الناس صورته الآية الأخرى:

”قل هل نبيكم بالأخرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزناً ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا“

وأنا لا أنقب عما في القلوب من أسباب الكفر هل هي أسباب حقيقة أو مفتعلة ، هل هذا الكافر يدرى أنني صالح مصلح أو أنني ضال مضل ؟

أنا لا أنقب عن هذا فإن هذا يعلمه الله ويحاسب على أساسه عباده أجمعين.

لكن الذي أشرحه بشيء من الوضوح والمصارحة ، بشيء من الإصرار والمكاشفة ، الذي أريده هو أن يعلم من يجهل أو من يعلم أن الإسلام لا يتطلب إلا بيئة تسودها حرية الكلمة ، وأنه لا يتосل إلى بلوغ أغراضه بعنف أو إكراه أو إرهاب ، وأنه الدين الفذ الذي يرى الحرية ظهيراً له ، ويرى أن النور والشعاع هما وحدهما المسار الطبيعي لانطلاقه.

ديننا يكره الظلم ، ويكره الإرهاب ، ويكره الاستبداد . وأنا أقول باسم الدعوة الإسلامية : إننا نحن الدعاة إذا فشلنا في خدمة ديننا ، وفي تحقيق أهدافه في جو تسوده حرية الكلمة فلسنا جديرين بالحياة ، بل ننسحب من الميدان وحق علينا خزي الدنيا والآخرة.

إنني باسم الدعوة الإسلامية أقول : إننا ما ندعو للإسلام أبداً ولدينا تفكير في اضطهاد مخالف أو اغتيال عدو لأننا نملك ثروة هائلة طائلة من

الأدلة التي تجعلنا نعرض ديننا وصوتنا جهير وفمنا ضليع وصفحتنا نقية . إننا ما نخاف الحرية ، إن الذي يخاف الحرية هو الإلحاد ، والإلحاد في روسيا ظل ستين سنة إلى الآن يخشى الجو الحر ، لأنه يعلم أن حرية الكلمة سوف تجهز عليه ، وأن فطرة الله في الأنفس سوف تنطلق وتمتد . إن الخرافات والأوهام هي التي تعيش في الظلام ، أما الحق فهو يعيش في النور . نحن أتباع دين جاء في كتابه العزيز : " وبالحق أنزلناه وبالحق نزل " نحن لا نخاف الضوء ، نحن نكره الظلم ، ونكره الظلم ، نحن نريد الجو الحر ، لأن الجو الحر هو الذي يتبع لنا عرض ديننا ، ويوم نعرض ديننا في الجو الحر فنحن واثقون من أن سلامة المقدمات ستنتهي بالنتيجة الصحيحة ، وأن ما لدينا من حقائق يهواها العقل البشري ، وتسريح إليها الطبيعة المستقيمة أقول هذا لا عن الإسلام كما بلغه في صورته النهائية محمد عليه الصلاة والسلام ولكن أقول هذا عن الإسلام كما بدأ بتبليغ عقائده وفضائله وقيمه ومثله أول الرسل العظام نوح عليه السلام . قد تستغرب ، ما دخل نوح في قضية الدعوة ؟ وأقول لك : دخله واضح ، فإن أبا البشر الثاني نوحا عليه السلام قال لخصومه في وضوح : أنا ما أفك في إكراه أحد ، أنا أعرف ربي بوضوح : " قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنزلتكموها وأنتم لها كارهون "

هذه طبيعة الدين منذ حمل لواء الدين نوح ، نوح ما كان يشكو من عجز في أداته ، أو ضعف في بيته ، إنما كان يشكو كما تشوكون الأنبياء جميعا من أنهم يقولون : الله واحد ، يجدون أيديا وضعتم في أفواههم ترد الكلمات في حلوقهم وتمنعوا من أن يتموا بيائهم . " ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمونهم إلا الله جاءتهم رسالهم بالبيانات فردو أيديهم في أفواههم " الشكوى من هؤلاء ، ما شكا الأنبياء إطلاقا إلا من أنهم يطلبون الجو الحر ويرأون من الإكراه . ولنقرأ من سورة الأعراف هذه الآيات : " وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين " هذا ما عرض به شعيب رسالته ، ثم وجد أن خصومه يسلكون مسلكا فيه شطط ، وفيه لدد ، فقال لهم : " ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين "

قد يطول الأخذ والرد ، قد يطول الزمن الذي تعرض فيه الدعوة ، قد تطول الأيام التي يبقى فيها المعوج على عوجه والمنحرف على انحرافه ، وبالتالي تطول الأيام التي نشرح فيها أصول دعوتنا وأسس رسالتنا ، وحقائق القيم التي جاء بها وبلغناها عنه.

قد تطول الأيام ، فماذا نصنع ؟ نفس رسالة شعيب تتحدث : " وإن كان طائفه منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفه لم يؤمنوا فاصلبوا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين " فماذا كانت الإجابة ؟ كانت الإجابة : " قال الملاؤ الذين استكروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال ألو كنا كارهين " من أين جاء الضغط ؟ من أين جاء الاستبداد ؟ هل جاء من قبل شعيب أم من قبل أعدائه ؟ كان رد شعيب على هذا الاستبداد والإكراه : " قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين " إن ديننا يفخر بأنه دين تفكير ، وبأنه يعرض الحق على الناس ويقول لهم : " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " ولذلك يغيبني أشد الغيظ أن تكون أعظم فضائل هذا الدين منكورة عليه ، وأن تكون أبعد الرذائل عن مسلكه شبهة يتهم بها ثم من الذي يتهمه ؟ يتهمه الذين لطخوا وجه الحياة بالقذى ، والذين سجنوا الآراء وحولوا الأوطان إلى سجون كبيرة من الذي يتهم الإسلام بأنه دين يتعسف في دعوته ؟ أعداؤه من المبشرين والمستشارين الذين ملأوا الدين اضطهاداً وألاماً . إنني لم أعرف في دراستي للأديان كلها وللفلسفات كلها ديناً يعمل في حرية ولو كانت الحرية ضد هذا الدين الذي ننسب إليه

هذا الدين ينظر إلى العقل البشري ، من أين تجيء الأفكار إلى هذا العقل ؟ هناك أفكار تتسلل إلى العقل الإنساني كما يتسلل اللص ليدخل خفية أو ليدخل دون إذن ودون رضا . هذه الأفكار ربما تجيء من تيارات موروثة أو من تقاليد متبعة . فالإسلام يجيء لهذا الإنسان ويقول له : فكرك هذا من أين جاء ؟ وكيف رضيت بأن يكون هذا الفكر ضيفاً ثقيلاً على عقلك ، وكيف دخل رأسك ؟ يصف القرآن الكافرين والجهلة والمتعصبين فيقول : " وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ألو كان آباءهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون " إذا تفكير التقليد والتبعية مرفوض . ربما أخذنا الأفكار عن طريق الإشاعة أو التخمين أو النقل الذي لا ندرى بالضبط ما سنته أو عن طريق الطنون ، يرفض القرآن الكريم

هذه الطرق كلها ، ويأبى أن يسكن عقلنا إلا اليقين القائم على أدلة محترمة أما الظنو فقد قال في الكافرين : "وما يتبع أكثراهم إلا ظنا إن الظن لا يعني من الحق شيئاً إن الله عليم بما يفعلون" يجب أن تقوم على منافذ الفكر والحكم في الكيان الإنساني حراسة أساسها الوحي الإلهي ، يقول جل شأنه : "ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً" وعندما قال أهل الأديان نحن أهل الجنة وأصحابها : "وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصاري تلك أمناهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون"

كان الرد على هذا الزعم "هاتوا برهانكم" ويسأله القرآن الكريم ليحرك العقل البشري هذا التساؤل : "أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض إله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" هذا دين لا يلطم وجوه المعارضين ولكنه يقول : "هاتوا برهانكم" والذي يقول "هاتوا برهانكم" هو الذي يكره الكفر لأنه لا برهان له : "ومن يدع مع الله إليها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون" إن ديننا يرى أن غزارة الثقافة الإنسانية عون له في انطلاقه ، فكلما ازدادت الثقافة الإنسانية فإن هذا الدين يجد المهاد الصالح لانتشاره وتقبله . ليس هناك إلا عيب واحد هو أن الأمة التي تتبع هذا الدين لا تحسن فهمه ولا العمل به !! وقد رأيت في عواصم كثيرة أن أمراض المسلمين متتشابهة . وكما قلت في أحد كتبني : كما تحتاج الصحراء إلى أنهار تحمل الري إلى جنباتها وأكناافها كي تخصب وتشمر ، تحتاج الأمة الإسلامية إلى أنهار من المعرفة والتثقيف والتربية كي تعرف دينها وتحسن خدمته . إن أمتنا الإسلامية - للأسف البالغ - عبء على دينها وعائق أمم انطلاقه كيف نردها إلى الإسلام ؟ هذا ما تحتاج مدارسته إلى محاضرات مطولة ، لماذا ؟ لأن الأمراض معقدة ، ولأن العلل التي تعانيها أمتنا علل متتشابكة ومتداخلة ، وتحتاج إلى إنسان فيه بصر وحنو على أمتها.

إنني أحياناً أرى البدعة أمامي وأريد أن أحجز عليها ، ولكنني أراها مشتبكة مع سنة من السنن أو مع بقية من تعاليم الإسلام فأنترك الأمرين معاً على أمل أن أستطيع فصل السنة عن البدعة حتى إذا ضربت ضربتي ضربت الضلال وحده بدل أن أخطط خطط عشواء . إن الأمر يحتاج إلى البصراء ، ولذلك أكرر في أماكن كثيرة أن دين الله أشرف من أن يؤخذ عن أفواه الحمقى !! لقد قلت في كتابي *ـ فقه السيرة* : إن محاربة الوثنية لا تكون بتهمشيم الآلهة الباطلة ، فلو أني في الهند وذبحت العجول التي يعبدتها الهندوك فهل ستنتهي الهندوكية في الهند ؟ لا .. العبيد المسحورون سيجيئون بعجل آخر بدل العجل المذبوح ولذلك فإن المسلمين هناك كانوا في بلاهة يوم كانوا يستحبون أكل الأبقار وذبح العجول إن الآفة في العقل الإنساني ، في النفس الإنسانية . هؤلاء أشبه بالخائف الذي يسير في الظلام فيتصور أن جذع الشجرة في الطريق عفريت متربص به ، يتصور أن الظلمة السائدة مليئة بالأشباح التي تريد أن تقتله ، يتصور أن همس الريح أو حفيظ الأوراق نوع من الأرواح المجنونة التي تريد الهجوم عليه لأن هذا كله نابع من قلبه . إن التغيير الحقيقي يكون في النفس الإنسانية ، وهذا ما فعله محمد عليه الصلاة والسلام ، بهذا بدأ عليه الصلاة والسلام دعوته ، ولهذا شحن الإسلام بألف من الأدلة التي تجعل العقل الإسلامي أنضج العقول بإطلاق . ولقد أتعجبني أن الأستاذ العقاد ألف كتابه *ـ التفكير فريضة إسلامية* ووضع بين يدي الكتاب بين مائتين وثلاثمائة آية تشرح وظائف العقل الإنساني وطرقه في التصور والاستدلال ، وهذا كلام صحيح ، وتلك طبيعة امتاز بها ديننا.

أعود مرة أخرى بعد الطبيعة العقلية التي امتاز بها ديننا إلى الطبيعة الروحية في ديننا ، والتي تجعل المسلم أخي للمسلم يحبه وإن كانت بينهما ألف الأميال . لقد ذهبت إلى مكة المكرمة فوجدت ناسا من أقصى الهند ، وجاءني مسلم من تايلاند يحييني ويسلم علي وكأني قريب له يراه بعد غياب طويل . إن الإسلام وحده هو الذي ألف بين قلوبنا ، وجمع أشتاتنا ، وجعلنا نتحاب بروح الله فيما بيننا ، وجعل غائبينا يشتق لحاضرنا وحاضرنا يشتق لغائبينا . هذه الخصلة من الخصال التي أودعها الله - جل جلاله - في هذا الدين ، احرصوا عليها واستمسكوا بها لأنه لا أمان لقوى الشر في العالم ، فإن قوى الشر في العالم تملّك الكثير ، لا أقول تملك القنبلة الذرية ، فإن القنبلة الذرية يوم تنطلق تريحنا ، ولكنهم يملكون من أسباب الخداع والختل والغش والفتنة وتزيين الضلال وبيث الهوى ونشر الإشاعات وتلمس العيوب للأبراء ونفت الدخان في أفق النشاط الإسلامي والشباب الإسلامي ، إنهم يملكون من هذا الكثير .. ولن تتغلبوا على هذه القوى إلا بتماسكم وتحابكم بروح الله فيما بينكم وتواصيكم بالحق والصبر . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصحبه وسلم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

## الإسلام و الحرية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

إن الإنسان - كما رسم القدر له - كريم ، لم لا يكون كريما وهو في أصل تكوينه نفحة من روح الله الأعلى وقبس من نوره الأسمى ؟ صحيح أنه وضع في غلاف من الطين ، لكنه وضع هكذا ليختبر وليمضي في طريقه كي ينضج هذا الغلاف أو يزكي أو يظهر الروح الذي حل فيه ، ولذلك يعجبني قول القائل :

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له فارأ بنفسك أن ترعي مع الهمل

إن الإنسان خلق ليكون كريما ، ول يكن وسيما ، إن الإنسان خلق لكي يأخذ طريقه إلى الخير ، وكرم الإنسان كما سمعتم في كتاب الله تعالى :

”ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا“

صحيح أن بعض الناس بدل أن يرفع بدنه إلى مستوى الروحي ارتكس أو أسف وارتكب من الدنيا ما جعله يهبط : وصحيح أن المجتمعات البشرية بدل أن تتعاون على تكريم الإنسان كثراً فيها التظالم ، وكثير فيها التغابن ، وهذا شئ يؤخذ على التاريخ الإنساني . وقد لخصه أبو الطيب المتنبي في قوله : كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سناناً وبذلك تظالم البشر ، وأساء بعضهم إلى البعض الآخر ، لو أن الناس بدل أن يبحثوا عن الحقوق بحثوا عن الواجبات وأدواتها لتتوفر الحقوق تلقائياً : فلو أنها أقمنا سياجاً دقيقاً حول الدماء والأموال والأعراض والكرامات المادية والأدبية ، وأدى كل إنسان ما سجله الحديث الشريف :

ـ إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا .. ـ أكان إنسان يشكو ضيماً أو يتوجع ألمًا ؟ إننا نريد أن نتحدث عن حريات هي حقوق أولى للإنسان : وهذه الحريات - كما شرحتها وكتبناها - أربعة ، وسأتحدث الآن عن ثنتين منها وأدع الباقي لإخوتي الذين يتحدثون من بعدي . أولاً الحرية الدينية : الإيمان الصحيح المقبول يجئ نتيجة يقطة عقلية واقتناع قلبي ، إنه استيانة الإنسان العاقل للحق ، ثم اعتناقه عن رضا ورغبة وقد عرض الإسلام نفسه على الناس على هذا الأساس.

ونوح عليه السلام وهو أول رسول على الأرض - على القول الصحيح - يرى أن إكراه الآخرين على العقائد مرفوض ، وأن المنطق السليم هو أن يملاً أفندة الآخرين بالإقناع الحر ، فليس هناك إكراه على الدين ، الرجل عرض دعوته على قومه فرفضوها ، فماذا كان جوابه ؟

قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربِّي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون " لا .. لا إكراه ، هذا المعنى الذي قاله نوح لقومه وسجله القرآن الكريم هو المعنى نفسه الذي قاله الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : " ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جمِيعاً فأَنْتَ تَكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ " ومشت حرية الدين في القرآن الكريم فأحصيَت - في بحث أكتبه الآن - أكثر من مائة آية قرآنية تترك حرية الدين للضمير الإنساني ، فالإسلام يعرض عرضاً حراً ، ويمكن كل ذي لب من أن يتبيَّن معالمه ، وبعد ذلك يقال له : قيلت أَمْ لَا ؟ إن قيل فبها ، وإن رفض قلنا له : لا تعمل على تكميم أفواهنا ، واعتراض طريقنا ، والنيل من ضعافنا ، والسخرية من شرح الله صدره بالإيمان من أتباعنا . هذا ما نطلب منه وأنت حر : " قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمِي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ " إن صيحة : " لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون " هذه الصيحة لم تعرف إلا في كتابنا الأقدس العظيم ، إن صيحة " لكم دينكم ولِي دين "

هذه الصيحة لم تعرف - إطلاقاً - في ملة أخرى . كانت أوروبا قبل القرآن وبعده ، وكان العالم كله يعيش في برك من الدم ، وصراع آثم حول إكراه الناس على العقائد حتى جاء القرآن الكريم يقول للناس : " لا إكراه في الدين قد تبيَّن الرشد من الغي " هذه فترة ، لكن الذي حدث أن العالم - الآن - يعامل الإسلام وحده معاملة شاذة ، ويخصه بمزيد من المقت والترويع .. فعندما عرض رئيس الولايات المتحدة العون على باكستان اشتُرط عليهم ألا يصنعوا القنبلة الذرية ، لماذا ؟ !! أنت تعلم أن الهندوكية عابدة الوثن ومقدسة البقر وعدو باكستان الأول صنعت القنبلة الذرية ، فلم تُريد أن تجعل كفَّة باكستان مرجوحة ، وجانبها أذل وسلاحها أقل ؟! لماذا تُريد أن تجعلها ضعيفة أمام الوثنية ؟ لأنها مسلمة ؟ نعم هذا هو السبب الحقيقي ! لماذا يكون الميزان الدولي الآن أن جميع الدول العربية يجب أن يكون سلاحها - إذا اجتمعت - أقل من سلاح إسرائيل وحدها ؟ لماذا ؟ لأننا مسلمون وهم يهود ؟

نعم !! هناك حقد على الإسلام وحده، وجدنا هذا الحقد يصلح بين الكاثوليك والبروتستانت ، ومحيت قرون من العداوة بين الفريقين ، ثم انضم إليهم الأرثوذوكس فمحيت عشرات القرون من تاريخ العداوة ، واجتمعت الكنائس الثلاث : ثم وجدنا الصهيونية - وهي اليهودية - تتفق مع المسيحية ضدنا ، ثم وجدنا العالم كله - قاصيه ودانيه - يشتغلون ضد الإسلام ، أين حرية الدين ؟ إنني أشعر بهوان وساد في وجهي عندما أسمع القائد الشيوعي المتمرد في جنوب السودان وهو يقول : لا نصلح إلا إذا ألغى التشريع

الإسلامي في الشمال !! هذا بلاء ، إنني كمسلم أؤمن بحرية الدين ، وأقول : دين واسع رجلاً وامرأة في بيته - الرجل مسلم والمرأة كتابية - ألا يسع ألوافاً من الناس - يتعارفون أو يتباورون - في الأرض الفضاء ؟ !! إن التعصب للإسلام أصبح منقصة ، والتعصب لأي نحلة شاردة أو بدعة فاسدة لا حرج فيه : وقد قلت للأخ ياسر عرفات - وأنا في الجزائر - لماذا رفعتم شعار العلمانية ؟ إذا كان اللص الذي سطا على البيت يرفع شعار اليهودية فما معنى أن يسلح المهاجم بعقيدة دينية وأن المدافع يحرم من سلطان هذه العقيدة ؟ ألا تعلم أن صاحب البيت يوم يكون مزلزل الأركان سقيم الوجدان فإن اللص سيستولي على البيت ولن تكون له حرمة لا عند الله ولا عند الناس ؟ !! لماذا رفعتم شعار العلمانية ؟ ارفعوا شعار الإسلام ، إن الذين لا شرف لهم لو كانوا بغایا لرفعوا راية البغاء على حواناتهم وهم يوأقونون الدنيا !! فلماذا يكون صاحب المحراب الطهور خجلان من محرابه يتوارى بدينه وحقائقه عن الأعين ولا يتكلم ؟ لماذا لا تقول بملء فمك : أنا مسلم أتبع صاحب الرسالة الخاتمة وصاحب الرحمة العامة ؟ لماذا لا تقول هذا وقد قال غيرك ما لا ينبغي أن يقال ؟ . إننا نؤمن بالحرية الدينية لكننا لا نؤمن بالهوان الديني للإسلام وحده ونرفض هذا رفضاً باتاً . ثانياً : الحرية السياسية : أتحدث على عجل عن الحرية السياسية ، الحرية السياسية لها شقان : أولاً : يقرر الإسلام أن أكفاً رجل في الأمة الإسلامية يقودها ،

والمناصب كبراها وصغراها ليست حكرا على أحد ، لا على طائفة مدنية أو عسكرية ، ولا على أسرة ، ولا على حزب ، ولا على هيئة . الأمة لها وظائف إدارية واجتماعية ينبغي أن يختار أكفاء الناس لها . هذا هو الإسلام ، لكن الذي حدث أننا توارثنا الفرعنة ، وكلمة الخديوي توفيق لأحمد عرابي : هل أنتم إلا عبيد إحساناتنا ، هذه الكلمة ترجمة حرفية لكلمة فرعون : " أنا ربكم الأعلى " والعرب عرفوا أن الطبيعة البشرية هي الطبيعة البشرية ، ولذلك أدخلوا الكلمة " فرعون " في بنية اللغة واشتقوا منها فعلا ، يقال : فرعون ، يتفرعن ، تفرعننا ، فرعنة ، فالكلمة أصبحت من كيان اللغة لأن الفرعنة أصبحت من كيان البشر . لماذا تفرعن البشر ؟ أحسن جواب على هذا السؤال المثل العالمي : لم تفرعن يا فرعون ؟ قال : لم أحد من يردني !! هذا المعنى أخذه الأستاذ العقاد ووضعه في بيتين من الشعر : أنصفت مظلوما فأنصف ظالما في ذلة المظلوم عذر الظالم من يرض عدوانا عليه يصيره شر من العادي عليه العاشم والقرآن الكريم قسم الظلم قسمين : ظلم النفس وظلم الغير . في ظلم النفس يقول القرآن الكريم : " إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساعتهم مصيرا " اعتبرهم ظلمة لأنهم ظلموا أنفسهم . أما ظلم الغير فهو السطوة على حقوق الآخرين ، السطوة على الدماء والأعراض والأموال ، وقد تحدث القرآن في كثير من الآيات عن هذا النوع من الظلم .

ما يعنيني الآن ، أنه قد تبين لي أن الإصلاح الحقيقي يتوجه إلى الشعوب ، أولا ، فإن الفساد كما قال محمد عبده : يهبط من أعلى إلى أسفل ، والإصلاح يصعد من أدنى إلى أعلى !! وقد تأكّدت بعد دراسات طويلة أن الحكومات إفراز طبيعي للشعوب التي تنبت فيها .. ومعنى هذا أن الشعب الذليل يحكمه حاكم ظالم ، إذا وجد الحيوان الذي يركبه يمتطيه !! لقد قلت : إن الشعوب الأوربية أرقى من الشعوب الإسلامية ، وقلت إن الشعوب الأوربية لا تنتشر فيها معاصي القلوب ، وإنما تنتشر فيها معاصي الجوارح . معاصي القلوب هي : الكبر والحدق والحسد والرياء والتذلل والنفاق وحب الظهور والفاخر ، هذه هي معاصي القلوب ، لا تجدها في أوروبا إلا ندرة . معاصي الجوارح هي : السرقة ، الزنا ، وهي أمور تنشأ عن هيجان بعض الغدد أو بعض الأجهزة البشرية .. هذه المعاصي في نظر المربين تجئ في المرتبة الثانية بعد معاصي القلوب . ومعصية آدم كانت معصية جوارح ، ومعصية إبليس كانت معصية قلوب . لقد وجدت كل معاصي القلوب من كبر وحدق وفاخر ورياء وتقاول على الدنيا ، وجدت كل هذه المعاصي عند العرب .. كنت أشك أن اللبنانيين عرب فلما وجدت القتال احتمم بينهم عشر سنين قلت : الآن عرفت أنهم عرب !!

العرب لا يمكن أن يصلح طبيعتهم إلا دين كما قال ابن خلدون : لا يقوم للعرب ملك إلا على أساس نبوة . إنني كلما وجدت صوت الإسلام خافت ، وووجدت البعد عنه ظاهراً أيقنت أنه لا مكان للعرب في العالم الأول ، بل سيكونون - هم - الجمهور الذي يزحيم العالم الثالث أو العالم الرابع إن وجد !! ولن تختفي الفرعونية الحاكمة من بيننا إلا بهذا الدين ، الأوريبيون لا يعرفون هذه الفرعونية .. لو قال " تشرشل " للإنجليز : أنا حاكم عليكم إلى الأبد ، والله لا يستمر في مكانه أربعاً وعشرين ساعة !! لو أن " ديجول " عندما قيل له : ارحل ، قال : لا .. أنا الذي صنعت لكم هذه الحرية وأناولي نعمتكم ، لو قال هذا ما خرج من مكتبه هذه شعوب أخرى ، ولذلك فإن التربية الحقيقة تتجه إلى الشعوب ، إنني أريد أناساً لهم إيمان ، لهم حرية ، لهم كرامة ، وفي الحديث : إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له : أنت الظالم فقد تودع منهم لا قيمة لها ، أصبحت أمة لا كرامة لها ، انتظر أن تدفن وينتهي أمرها . هذه حقائق دينية ، عند التطبيق يحتاج الأمر إلى رجل له عقل يعرف كيف ينزل الآيات على الواقع : كيف ؟ أقول لك : لو أن صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام تعجل العراق مع الظلمة وهو غير مستعد لدفن الإسلام في بطحاء مكة لو أن صاحب الرسالة - وهو الذي جاء بتدمير الأصنام - فكر في تدميرها حول الكعبة قبل أن يخلّي النفوس من قداستها ومن توقيرها لما قامت للإسلام قائمة !!

لكن صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ترك الأصنام حول الكعبة في مكة ، وتركها ثمانين سنين بعد الهجرة ، وشاء الله أن يطوف في عمرة القضاء - في السنة السابعة - والأصنام بالمئات على جوانبها وما كسر صنما . لكنه في السنة الثامنة في مكة أمر صلى الله عليه وسلم بتكسيرها ، والذين عبدوا الأصنام هم الذين كسروها ، ومنهم خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي أسلم بعد عشرين سنة من بدء الدعوة ، خالد هذا - الذي قال أبو سفيان في ظله : أعل هيل - هو الذي كسر الأصنام وهو يقول لها : يا عزي كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك لا بد مع الإخلاص من ذكاء ، لا بد مع العاطفة من عقل ، لا بد للدين من فقهاء يعرفون كيف يطبقون الشريعة ، وكيف يزاحمون المبادئ الباطلة ، وكيف يحتفظون بجذوة الإيمان في قلوب الشباب إلى أن تجيء الساعة التي يقرر رب العالمين فيها أن الإسلام ترتفع رايته . أنا - يا إخواني والله - موقن بأن الإسلام قادم ، وأنا أعرف أن الإسلام في طريقه إلى النصر لكنني نظرت إلى الأمة الإسلامية من شواطئ المغرب - وأنا هناك - إلى شواطئ الهند - وقد كنت في سيلان - فوجدت الصحوة الإسلامية لما تكتمل ، وأن الشباب لما ينضج ، وأن حماسه تحتاج إلى فقه . وأنه لا بد من ضبط دقيق لكي يعلم الشباب ما هي الساحة التي ينطلق فيها وهو حر ، وما هي الساعة التي يسكت فيها وهو راغم . لا بد أن نعيid النظر في طريقتنا لجعل شعوبنا ترتبط بالإيمان وتحرك بقواه ، ولست أقول هذا تخذيلا ، لا .. والله ما أقول هذا إلا لأنني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأحب الشباب المؤمن الذي أرى وجههم النيرة أمامي الآن . وبالله التوفيق . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

## الإسلام لا يعرف هذه الحروب

أيها الأخوة والأخوات:

عندما بدأ الإسلام دعوته ببدأها على أساس وفرة الحريات للبشر ، فلكل إنسان أن يعتنق ما يحب ، وأن يترك ما يكره ، وليس لي ولا لغيري أن أفرض ديني أو معتقدٍ على من يضيق بهذا الدين أو يأبى الدخول فيه..

ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ دعوته بين مشركين يعبدون الأوثان ويتعصّبون لها ، ومع أن الوثنية سقوط بالكرامة الإنسانية وهوان بالتفكير البشري ، ووجهة نظر ليست جديرة بأن تُحترم ولا أن يترك لها حق الحياة ، ولكن نبه على النبي صلى الله عليه وسلم ألا يضيق بما يرى ، وألا يجمح إلى عنت فيما يواجه.

قيل له : " نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعید " **ـ ما أنت عليهم بجبار ـ** لست حاكماً مستبداً تبسط سطوتكم على الناس ، وتجعل مكانتكم بينهم مبنية على قانون صارم أو أمر حاسم يغلبهم على إرادتهم : " فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر " والناس إن تبعوك بعد ذلك أو عصوك فهم أحرار : " قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ " ويقول : " وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " إن الدعوة في منطقتنا الإسلامية تعني عرضاً مجرداً لمبادئنا وتصويراً نظرياً لما لدينا ، وللناس بعد ذلك الحق في أن يقبلوا ما عرض عليهم أو يرفضوه . قال تعالى : " فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير " وعلى هذا الأساس انطلقت الدعوة الإسلامية ، بل أستطيع أن أقول بشئ من المصارحة: إن الدعوة الإسلامية يوم انطلقت ابتدعت حرية التدين في الأرض لأنه ما كان قبل ذلك معروفاً في العلاقات العامة بين الناس ، حتى جاء

الإسلام وأرسى قواعد هذه العلاقات العامة على أساس الحرية الشخصية والفكرية ، وأبى إباء صارماً أن يكون للجبر والإكراه مجال في حرية العقل والضمير.

اخترع الإسلام حرية الدين اختراعا ، لأن العالم على عهده كان يضن بهذه الحرية لا على المخالفين في الدين فحسب بل على أتباع المذهب الديني المخالف وإن كان الكل يتبع دينا واحدا !! أما المشركون فضنوا على النبي صلى الله عليه وسلم بحرية الدعوة إلى التوحيد وكرهوا أن يستمعوا إليه ، وإذا كانوا أبوا أن يستمعوا إليه فلا حرج ، ولكنهم كما قال الله : " فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنما لفي شك مما تدعوننا إليه مريب " بالنسبة إلى اليهود ، هرب اليهود من وجه الدولة الرومانية ، وأقاموا لهم مستعمرات أو احتلوا بعض الأماكن شمالي المدينة وفي جوف الصحراء حتى يكونوا بمنجى مما لحق بهم على يد أعدائهم . ولقد كانت العلاقات في الدولة الرومانية - وهي دولة مسيحية - علاقات تثير التساؤل والاستغراب ، لماذا ؟ لأن الدولة ضفت على من يعتنقون مذهبها غير مذهبها بحق الحياة الكريمة الهادئة .. يمكن أن يقال - بشئ من التجوز - إن الرومان كانوا كاثوليك ، وإن المصريين كانوا أرثوذكس ، وأبى هرقل أن يعطي المصريين الحق في أن يحيوا على مذهبهم هذا ، وصب عليهم جام غضبه عندما أصرروا على أن يبقوا وفق تعاليمهم . ماذا حدث ؟ أصدر أوامر مشددة بالاضطهاد والعنف ، وهرب البطريرك المصري من وجه السلطة الرومانية ، وأما أخوه - وكان رجلا بدينا - فقد حرق حتى قيل سال دهنه على جوانبه ، ثم أبى أن يترك معتقده فرموا به في البحر الأبيض ، فمات غريقا بعد أن حرق !! هذا ما فعله الرومان ، أما البطريرك بنiamin فقد هرب لأن جو الاضطهاد غير عادي، فماذا صنع العرب عندما دخلوا مصر ؟ أعلنوا

منشروا يطلبون فيه إلى البطريرك الهاوب أن يظهر وله الأمان كله في أن يقود رعایاه، وأن يترأس أهل دینه ، وأن يحيا وفق ما يشاء من معتقد دون حرج ودون ضيق، بل جاءت بعض الروايات تقول : إنه . أى عمرو بن العاص . أعطى البطريرك . يومئذ أموالا تعينه على ترميم الكنائس التي تهدمت !! هل هذا المسلك ماكر من عمرو بن العاص؟ ننظر ، عندما ننظر نجد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . الذي أرسل عمرو بن العاص . يرفض أن يصلى في الكنيسة التي عرض عليه أسقف بيت المقدس أن يصلى فيها !! لماذا؟ حرصا من عمر على بقاء الكنيسة لأصحابها، فقد قال للأسقف : لو صليت هنا لوثب المسلمين على المكان وقالوا : هنا صلى عمر وجعلوه مسجدا !! أكان عمر في هذا ماكرا أو رجل سياسة يريد استمالة الناس؟ لا ننظر إلى سيده الذي رياه . محمد صلی الله علیه وسلم . ماذا صنع؟ لما جاء وفد نجران إلى المدينة ليتكلّم مع النبي . صلی الله علیه وسلم . في أمور غبية لاهوتية . بالتعبير الحديث . تكلم معهم ، وأدركت الصلاة الأساقفة الذين يجادلون فصلوا صلاتهم المسيحية في المسجد النبوي ، تركهم النبي . صلی الله علیه وسلم . يصلون ما تعرض لهم بشئ ، لا اعترضهم ولا تعرض لهم. ثم وجدنا ، النبي . صلی الله علیه وسلم . في المدينة يواجه . في صدر الهجرة . أقواما من اليهود . أصحاب منعة وقدرة . فماذا صنع معهم؟ عقد معاهدة حسن جوار . بتعبيرنا الحديث . تنص على أن لكل

أمرئ دينه الذي يعتنقه ويعيش في شعائره ولا حرج عليه ، ويتعاون الكل على الدفاع عن المدينة إذا هاجمها معتد من الخارج . المعاهدة معاهدة لطيفة وعادلة ، ولا حرج فيها ، لكن اليهود أبوا الوفاء بها وظهر أنهم يريدون النيل من الإسلام وأصحابه ، ومع انكشاف نيتهم ، ومع أنهم رثوا قتلى قريش الذين هزموا في بدر ، ومع أنهم أخذوا ينالون من المسلمين بكلمات ترسل هنا وهنا تحقر من النصر الذي أحرزوه . مع كل هذا فإن الإسلام تحايل على ما يسمع ، وترك لليهود أن يقولوا فيه وفي نبيه وفي تعاليمه ما يقولون ، وما تحرك لقتال اليهود إلا لما اعتدوا على امرأة مسلمة في سوق `بني قينقاع ` وكشفوا سوأتها كان لابد من القتال ، وقتل اليهود ، وطرد بنو قينقاع من المدينة ، وبدأت الاشتباكات مع اليهود لأسباب هم أساسها ولعل هم جرثومتها . واستطاع الإسلام أن يدمر العسكرية اليهودية تدميرا ، وأن ينال منها فلم يبق لهم أثرا ، فلما سقطت حصن اليهود ، وتلاشت قلاعهم ، وفقدوا النصير والعون ، ماذا حدث لهم في الجزيرة ؟ حدث في الجزيرة العربية . كما يروي البخاري . أن عبد الله بن عمرو ذبحت في بيته شاه فقال : أهديتم لجارنا اليهودي منها ؟ قالوا : لا .. قال : أهدوا إليه ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ` مازال حبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ` ومرت جنازة يهودي فقام النبي صلى الله عليه وسلم لها ، فقيل له : إنها جنازة يهودي فقال : ` أليست نفسها `

ثم وجدنا بعد ثلاث وعشرين سنة من بدء الإسلام أن الجزيرة العربية لم توحد تحت راية دين وتحت علم أحد إلا بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، أصبح سيد الجزيرة ، وأصبح قائدها الأعلى ، تلاشت قوى اليهود فيبني قينقاع وبني النضير وبني قريضة وخمير . أما الرومان فقد أمكن مناوشتهم في ` مؤة ` وأمكن تخويفهم في ` تبوك ` يعني أصبح محمد صلى الله عليه وسلم سيد الجزيرة غير منازع ، ومع هذا فقد ذهب إلى تاجر يهودي في المدينة يطلب منه قوتا لأولاده ، كان يريد أن يشتري منه بالنسبيّة ، ليس معه ما يدفعه الآن ، فكان رد التاجر اليهودي لسيد الجزيرة : لا أعطيك حتى تأتي برهن !! فماذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم ؟ أعطاه درعه رهنا هذا اليهودي هل كان يطلب الرهن أو يقول : لا .. وهو يشعر بقلق على حياته أو حاضره ؟ لا .. لقد قالها وهو راسخ القدم ، مطمئن النفس ، هادئ البال ، يعلم علم اليقين أنه موفور في دمه وماله وعرضه ، وأن أحدا لن يناله بسوء في هذا المجتمع . وعندما وجد عمر بن الخطاب يهوديا يتسلّل قال له : ما أنسفناك ، وأمر له بمرتب من بيت المال !! إذا هذا الذي حدث من النبي صلى الله عليه وسلم ، أو من عمر بن الخطاب ، أو من عمرو بن العاص ليس إلا نضج تعاليم الإسلام . التاريخ الإسلامي تاريخ نظيف ، ولا يعرف الحروب الدينية أبدا ، فأوريا هي التي عرفت الحروب الدينية ، وتاريخ العصور الوسطى شاهد على ذلك ، تاريخ العصور الوسطى تاريخ مشرف لنا ،

فقد كنا نور العالم وأنضر شعوبه ، وأشرف من فيه !! أما دول أوربا فإن سطحها لم تجف الدماء فيه من كثرة الحروب التي وقعت بين أتباع المذاهب المختلفة لدين واحد !! الدين بداهة برى ولكن التطبيق السيئ أو الفكر الجاف هو الذي سبب كل هذا ، لا يتصور أن عيسى بن مرريم الرقيق النبيل تسفك الدماء باسمه ، وإن كان شوقي يقول : يا حامل الآلام عن هذا الورى كثرت عليه باسمك الآلام باسمه ارتكبت هذه المأسى ، وهو بداهة برى من هذا كله ، لكن هذا ما حدث . تاريخ أوربا تاريخ كالح ، فإن الدماء التي سفكت كثيرة ، وتاريخ فرنسا في المذاهب التي نصبها الكاثوليك للبروتستان تاریخ أسود ، في ليلة من الليالي ذبح ما يقرب من أربعين ألفا من البروتستان ، وصكت نقود في روما تخليداً لذكرى المذبحة !! التاريخ الإسلامي لا يعرف شيئاً من هذا ، إنه تاريخ نظيف ، المسلمين في الفلبين ، وجودهم الأدبي صفر ، ووجودهم المادي مهدم ، فالذبح هناك منتشر . المسلمين في لبنان كثرة ، ومع هذا كنت أستمع إلى إذاعة لندن من عدة أيام فسمعت هذه الأضحوكة التي تقول : إن عدد المسلمين في لبنان 49 % وعدد المسيحيين 51 % ، وهذا كذب ، والذي صنع هذا الإحصاء هم الفرنسيون في سنة 1932 م ،

وأنا أعلم أن الإحصاء الحقيقي غير هذا ، والمسلمون هناك لا يقلون عن 65 % وليس هناك إحصاء من سنة 1932 م إلى الآن . المسلمين في الحبشه كثرة ، واريتريرا بالذات فيها 85 % من المسلمين ، ومع هذا فالضغط غير عادي . قصة أن الإسلام متغصب قصة على طريقة الإسقاط في علم النفس أو طريقة المثل العربي : رمتني بدائها وانسلت !! يقول كونت هنري دي كاستريه المؤرخ الفرنسي المعروف : من أسباب انهيار الدولة الإسلامية فرط تسامحها !! نحن لا نحسن التعصب ، بلغ التسامح الإسلامي حد التغفيل . أنا أعلم أن إخواننا الأقباط يعيشون بيننا من أربعة عشر قرنا ، ولدي ولوالدي أصدقاء . في بلدنا - من الأقباط ، وإلى الآن نحن نعيش في تسامح ، لكن الاستعمار العالمي الذي يعلم أن معركة مصر مع الصهيونية قريبة لا بد أن يصنع شيئاً من الإثارات ، الإثارات تأتي من الخارج .

بالنسبة لحوادث الخانكة هنا - في مصر - فقد سألني بعض الناس في هذا ، قلت : ليس عندي ما أخفيه ولا ما أخجل من قوله ، أنا قلت - ولا أزال أقول : يوم يحتاج إخواننا الأقباط إلى كنيسة فأنا أشهد في بنائها إذا كانت لغرض العبادة ، لكن من حقي أن أسأل : إذا كانت كنيسة تكفي فلم تبن ثانية وثالثة ؟ القانون القائم ليس قانوناً جائراً إنما هو قانون يقول : إذا كان هناك ما يستدعي البناء فلا بد من البناء ، ومنع البناء جريمة ، لكن إذا كان هناك ما يكفي فلا داعي لهذا ، أنا أحصيت في مصر الجديدة أربعين كنيسة وعشرين مسجداً !! فإذا منعت الدولة بناء كنيسة هناك لكتلة الكنائس فهل تعتبر الدولة متغصبة ؟ لا ..

قصة وضع طابع معين على الأرض قصة معروفة ، ولبنان تفعل هذا الآن ، ت يريد أن تضع الطابع الصليبي على الأرض مراغمة للكثرة المسلمة .. فإذا كانت أمريكا تريد أن تسعى لهذا . هنا فلا عقلاً المسلمين ولا عقلاً النصارى يرضون بهذا . هناك شئ آخر : إخواننا الأقباط في مصر يجب أن يعيشوا كالمسلمين سواء بسواء ، حقوق مشتركة وواجبات مشتركة ، ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام قال : : ألا من ظلم معاهدا ، أو كلفه فوق طاقته ، أو انتقصه حفه ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيمة ﷺ . النبي الإسلام يقول لي : احذر أن تظلمه أو تناول منه ، فلماذا أظلمه ؟ فإذا أوعز إنسان إلي أن أظلمه أو يظلمني فهي فتنة خارجية يجب أن نطاردها وأن نضع السدود أمامها . أحب أن أقول لكم شيئاً : الشعب المصري شعب متدين ، وهو يكره الإلحاد ، ويوم كانت الناس تبحث عن لقمة الخبز كان - هو - يتحدث عن فلسفة الثواب والعقاب وخلود الروح والجزاء الأخرى . وعلى هذا فمحاولة بث الإلحاد في هذا الشعب لا يمكن أن تنجح إلا بالسلاح . الشئ الثاني الذي أريد أن أقوله هو : الشعب المصري طيب ، يكره الفتن ، ويكره الإثارات ، ولذلك فإن أي محاولة لإغراء المسلمين بالأقباط أو الأقباط بال المسلمين يجب أن يقضى عليها ، وأن يعلم العقلاً من الطرفين أنه لا خير في هذه الفتنة .

الشئ الثالث : قد نختلف ، والإخوة يختلفون ، مثل هذا الاختلاف لا يفسد الود ، ولا تبني عليه أشياء خطيرة ، ويجب أن نفوت الفرصة على الغير حتى لا يتدخل . وأستطيع أن أجزم بأن الأقليات في مصر أسعد الأقليات على ظهر الأرض . كل محاولة للتشكيك في نيات المسلمين فهي وافدة من الخارج ، وكل محاولة لاستشارة الأقباط أو تحريضهم على إخوانهم فهي وافدة من الخارج ، وأرجو أن تكون أبيقاطا ضد هذا كله . والله ولي التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مسئوليّة الحاكم في الإسلام الكلام في مسئوليّة الحاكم في الإسلام له جوانب عديدة أحّار في أيّ الجوانب أبداً ، قد أبدأ بالحديث المشهور عندما طلب أبو ذر رضي الله عنه من النبي - صلّى الله عليه وسلم - أن يوليه عملاً من الأعمال أو منصباً من المناصب - بتعبيّرنا الحديث - فقال : ﴿ يَا أَبَا ذَرٍ إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أُمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ خَزِنَةٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَخْذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا ﴾ . أخذها بحقّها ، وأدى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا .. يعنى أن يكون الإنسان كفؤاً للمنصب ، والكافية للمنصب لا تكفي فيها شهادة الإنسان لنفسه ، وإنما الكافية للمنصب تكون بشهادات الناس .. وعندما يولى يؤدي الَّذِي عَلَيْهِ ، أي ينهض بجميع الأعباء التي يفرضها المنصب عليه.

والأباء التى يفرضها المنصب تتفاوت ، ربما كان الإنسان رئيس عشرة من الناس ، وفي الحديث : ` ما من أمير عشرة إلا يؤتى به مغلولا يوم القيمة ، حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور ` . هذا إذا كان أمير عشرة من الناس فإنه يأتي مقيدا ، إما فكه العدل ، أو أوبقه الجور !! هى مسئولية فعلا . وأذكر أن أحد الصالحين كان فى موسم الحج ، وكان قريبا من أمير المؤمنين ، فقال له : يا أمير المؤمنين انظر ؟ قال : إلى ماذا ؟ قال : انظر إلى أهل الموسم ، فنظر إلى الحشود القادمة إلى البيت العتيق ، فقال له : يا أمير المؤمنين كل واحد من هؤلاء مسئول عن نفسه ، أما أنت فمسئول عنهم جميعا !! وفي الحديث : ` إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع ` فقد يطلب الإنسان المنصب لنفسه ، وفي الحديث : ` إنا والله لا نولى على هذا العمل أحدا سأله ولا أحدا حرص عليه ` لأنه عندما يطلب أو يحرص لا يكون مسارعا فى مرضاه الله ، أو راغبا فى خدمة المسلمين ، أو مساهما فى إحقاق حق وإبطال باطل . إنما هذه الرغبة قد تكون ناشئة عن جنون عظمة ، أو شهوة قيادة ، أو رغبة فى التطلع ، فمثل هذه الأمور لابد من قمعها حتى يبقى أصحابها فى أماكنهم فلا تبلى الأمم بهم !

هناك شائعات في ميدان العلم الديني جرت على الألسنة ناس ليست لهم في الفقه قدم راسخة ، جعلوا الإسلام مظلوما في موقفه على امتداد عصور كثيرة ، وأنا أريد أن أناقش عدة إشاعات علمية في هذا المجال تجعل مسئوليات الحكام خفيفة ، أو تجعل من حقهم أن يمضوا وفق ما يريدون لا وفق ما يريد الإسلام . أنا أعلم الحديث المشهور أن عرى الإسلام تحل عروة عروة ، والحضارات دائما يطروا عليها ما يجعلها تتفكك أو تفسخ ، والأمة الإسلامية - كأى أمة ظهرت في التاريخ ، وسلخت من عمرها القرون - لابد أن يصيغها ما يصيب الأمم الأخرى من تفكك أو من اضطراب ، أو من زيف عن الطريق .. لاحظت أن الحكام على امتداد قرون كثيرة كانوا القشرة العفنة في التاريخ الإسلامي ، أو في الكيان الإسلامي .. لاحظت - للأسف - أن ذلك أثر في بعض الفتاوى أو بعض الكلمات التي جرت على الألسنة ، وهي تذكر موقف الفقه الإسلامي ممن تمردوا على قواعده ونوصوته ، وضعفوا عن حمل الأمانات التي ترتبط بهذا الحكم ، فكان هؤلاء - وهم كثيرون - سببا في أن ناسا كتبوا في أيام اتحاد عرى الحكم ، وكانت كتاباتهم لا تصوبرا لنظرات الإسلام بل كانت تصوبرا للواقع الذي ينبغي أن يحكم عليه لا أن يحكم إليه .. الفقه الإسلامي هو عمل العقل الإسلامي في النصوص المعصومة ، النصوص معصومة لكن عمل الفقيه قد يختل ، وقد يستقيم ، فهو ليس معصوما..

التاريخ الإسلامي - تاريخ الدول والملوك والحكام - هو عمل السلطة الإسلامية في تطبيق الإسلام ، وهو عمل قد يكون مخطئا وقد يكون مصيغا ، فالنظر إلى هذا الواقع على أنه نموذج مثالى يؤخذ منه غلط وغير صحيح . ابتداء من الدولة الأموية دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان ، فقال : السلام عليك أيها الأجير ، فقالت له الحاشية : قل : السلام عليك أيها الأمير ، فقال : السلام عليك أيها الأجير ، وكررها مرتين ، ومعاوية كان لبغا وذكريا ، فقال : دعوا أبو مسلم فإنه أعلم بما يقول . فأفهمه أبو مسلم أنه أجير للمسلمين يعمل لمصلحتهم ، وما يستحق أجرا إلا إذا أخلص في عمله ، وأدى ما عليه . أعني أن ما حدث أيام الأمويين أو أيام العباسيين أو أيام العثمانيين هو واقع يحكم عليه بنصوص الإسلام وقواعده ، وليس هو المصدر الذي تؤخذ منه نظم الإسلام في الحكم . ومن هنا فقد أخطأ بعض الناس عندما قال : إن الشورى لا تلزم الحاكم ، هل كانت الشورى عينا ؟ هل كانت

لعا ؟ هل كانت مسلاة مجالس ؟ هل كانت ترديدا لأحاديث يتسلى بها الفارغون ؟ هذا  
كلام عجيب !! فى العهد المكى نزلت سورة الشورى وفيها : " وأمرهم شورى بينهم . "

وفي العهد المدنى نزل قوله تعالى : "وشاورهم في الأمر" ، وقال عليه الصلاة والسلام لأبى بكر وعمر لـواجتمعـا فى مشورة ما خالفـتـكما . والتزم النبى عليه الصلاة والسلام الخضوع للشـورى فـنزلـ على رأـىـ الشـبابـ فىـ أحـدـ وـهـوـ كـارـهـ . جاءـ بـعـضـهـمـ وـذـكـرـ قـصـةـ الحـديـبـيـةـ وـكـانـ مـزـورـاـ ، لأنـ قـصـةـ الحـديـبـيـةـ فـيـهاـ نـصـ علىـ أنـ السـمـاءـ تـدـخـلتـ ، فـعـنـدـمـاـ تـوـقـفـتـ النـاقـةـ وـهـوـ مـنـطـلـقـ صـوـبـ الـبـيـتـ العـتـيقـ لـأـدـاءـ الـعـمـرـةـ قـالـ النـاسـ :ـ خـلـأـتـ الـقـصـوـاءـ ، فـقـالـ النـبـىـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ .ـ مـاـ خـلـأـتـ الـقـصـوـاءـ وـمـاـ ذـاكـ لـهـ بـخـلـقـ ، وـلـكـ حـبـسـهـاـ حـابـسـ الـفـيـلـ ، ثـمـ قـالـ :ـ وـالـذـىـ نـفـسـىـ بـيـدـهـ لـاـ يـسـأـلـونـنـىـ خـطـةـ يـعـظـمـونـ فـيـهاـ حـرـمـاتـ اللهـ إـلـاـ أـعـطـيـتـهـمـ إـيـاـهـاـ .ـ وـنـزـلـتـ سـوـرـةـ الـفـتـحـ تـبـيـنـ أـنـ اللهـ هـوـ الـذـىـ كـفـ :ـ وـهـوـ الـذـىـ كـفـ أـيـدـيـهـمـ عـنـكـمـ وـأـيـدـيـكـمـ عـنـهـمـ بـيـطـنـ مـكـةـ مـنـ بـعـدـ أـنـ أـظـفـرـكـمـ عـلـيـهـمـ"ـ .ـ لـمـاـذـاـ ؟ـ لـأـنـ هـنـاكـ مـؤـمـنـينـ مـجـهـولـينـ فـىـ الـبـلـدـ الـظـالـمـ أـهـلـهـ ،ـ اـخـتـفـىـ إـيمـانـهـمـ فـىـ صـدـورـهـمـ ،ـ وـلـوـ دـخـلـ الـمـسـلـمـونـ لـحـدـثـ قـتـالـ هـلـكـ فـيـهـ هـؤـلـاءـ ،ـ وـكـانـ ذـلـكـ بـلـاءـ شـدـيـداـ ،ـ عـصـمـ اللهـ الـمـسـلـمـينـ مـنـهـ ،ـ فـتـدـخـلـ السـمـاءـ هـوـ الـذـىـ أـوـقـفـ التـصـرـفـ الـإـنـسـانـىـ الـعـادـىـ .ـ يـقـوـلـ فـقـيـهـ مـسـلـمـ .ـ هـوـ اـبـنـ الـقـيـمـ .ـ إـنـ أـحـكـامـ الـإـسـلـامـ تـدـورـ عـلـىـ ثـلـاثـةـ مـحـاـوـرـ :

محور العقيدة ، والأساس فيه الإخبار ، ومحور العبادة ، والأساس فيه الإنشاء ، ومحور المعاملات ، والأساس فيه الإصلاح . ففى ميدان العقيدة : الدين مخبر ، يقول : "إن إلهكم واحد" . " وإن الدين لواقع" هذه أخبار . فى ميدان العبادة : الدين منشئ ، يقول : "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة" فهو ينشئ صورة مجمعة من أقوال وأعمال وبدایات ونهايات . فى ميدان المعاملات : الدين مصلح ، بمعنى أن الناس تتعامل بالبيوع قبل مجيء الدين وبعده ، فالدين لم يخترع البيع ، إنما دخل مصلحا ، فرفض التغريب ، ورفض الاحتكار ، ورفض الربا ، الناس تتزوج بطبيعتها ، والدين لم يخترع الزواج ، إنما دخل الدين مصلحا ، لابد من عقد ، لابد من مهر ، لابد من شهود ، وهكذا . والسؤال الآن : هل الدين فى ميدان الشورى أو العدل جاء مخبرا أم منشئا أم مصلحا ؟ الحقيقة - كما يقول علماؤنا - إن الحسن والقبح العقليين تدركهما الفطرة البشرية بطبيعتها ، فالإسلام لم يخترع الشورى ، ولم يخترع العدل ، ولم يخترع العلم ، العدل موجود ، والعلم موجود ، والشورى موجودة . لكن فضل الإسلام أنه جعل هذه دينا ، وجعل الأخذ بها وتنظيمها دينا ، وجعل سهر الإنسان على تحصيل العلم أو تحقيق العدل عبادة يتقرب بها إلى الله . وهنا نجد أن الإسلام حدد الصور فيما لابد منه فبين أن صلاة

الصبح ركعتان ، لكن هناك عبادات ، وهناك أعمال تركها لنا ، فشئون الدنيا قال فيها : ` أنتم  
أعلم بأمر دنياكم ` هذه واحدة .. هناك الإجراءات ، كيف تقيم العدل ؟ كيف تقيم الشورى ؟  
كيف تقي الأمة لوثات الحمقى والظلمة ؟ هذا شئ تركه لك ، كالجهاد كان قديما بالسف  
والرمح ، أصبح الآن يحتاج إلى غزو الفضاء . هذه وسائل حرة ، كذلك التعليم ، كذلك تحصين  
الناس بالعدل ، كذلك الشورى. الاجتهاد بداعه فى الإسلام حيث لا نص ، والشورى جهد  
البشر حيث لا نص .. هناك أمور كثيرة جدت لم لا أدرسها ؟ ما كان من حكمة وخير لم لا  
أنتفع به ؟ ما وافق قواعدي أو أعاد على بلوغ غايتها لم لا آخذه : ` الكلمة الحكمة ضالة  
المؤمن فحيث وجدتها فهو أحق بها ` . ولذلك قلت للناس - اليوم فى خطبة الجمعة - إننى  
احترم التفوق العلمى الأمريكى ، وأرى أن وصول الأمريكين إلى القمر كان شيئا عظيما ،  
ولكن بقدر ما احترمت هذا العلم المتفوق احترمت مسلكا حضاريا آخر وهو أن ساكن البيت  
الأبيض يرشح نفسه ، وأن رجلا من الشارع يرشح نفسه ، وأن كلا الرجلين يتقدمان للإذاعة  
يعرضان برامجهما فياخذ هذا خمس دقائق ، ويأخذ هذا خمس دقائق ، ثم ينتهى

الأمر بأن ينجح رجل الشارع ، وهو فى طريقه الآن إلى البيت الأبيض !! هذا ما فعله الأميركيون ، هذا ما فعله ` ديجول ` ، هذا ما فعله ` تشرشل ` هذا ما يفعله الناس ، فهل الأمة الإسلامية صورة صادقة للإسلام فى فهمها فن الحكم ؟ إننى زرت بلادا إسلامية كثيرة جدا - من الأطلسي إلى الهادى - ويسفنى أن أقول : إن الأجيال الحاضرة ليست أبناء شرعية للجيل الأول الذى قال للحاكم : لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد سيفونا !! إنها أجيال غريبة على الإسلام لأنها - فعلا - لا تفهم دينها فهما صحيحا ، وخدعها مرتزقة فى ميدان الفقه يريدون أن يتحاكموا على عصر الفاطميين أو إلى عصر المماليك ، وهى - كما قلت - عصور يحكم عليها ولا يحتمكم إليها ، هى عصور تخطئ وتصيب ، وكما قال ابن حزم : لا يقبل قول أحد بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ورفض حكما يفرق بين عورة الحرة والجارية ، وقال : وأما الفرق بين الحرة والأمة فدين الله تعالى واحد والخلة والطبيعة واحدة ، كل ذلك فى الحرائر والإماء سواء !! لماذا لأن الرجل قال : لا يقبل قول أحد بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . ومع ذلك - للأسف - فإن الأمة الإسلامية مريضة ، عندما قتل الملك عبد الله ، وعندما قتل النراشى - كتبت فى كتاب لى صدر عام 1951م - قلت : هذا قد يدل على فورات حرية عند بعض الناس ولكنه لا يدل على شعوب كريمة وأمم تحترم نفسها ، كيف ؟ قلت : الأمم التى احترمت نفسها الأمة الفرنسية عندما أغضبها الملك ثارت عليه

وقدمته للمحكمة وقطعت عنقه !! الأمة الإنكليزية - أيام كرومبل - عندما أساء الملك قطعت عنقه !! فكانت النتيجة أن الحكم استقر . أما الأمة الإسلامية فإذا بقيت بين تزوير الفتوى والكذب على دين الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وأن كل مجنون عنده لوثة ورغبة في التسلط ينطلق من هنا ومن هنا ليجد من يصفق له فأمتننا لا تستطيع أن تقوم بحقها ، وهي دون رسالة الإسلام بيقين . رسالة الإسلام هي : ألا أحنى جبهتي ولا صلبى ولا ضميرى إلا لله وحده !! وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ، ،

نطرات في سورة القتال بسم الله والصلوة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . أما بعد .. فموضوعى الذى أتكلم فيه الليلة إن شاء الله : نظرة . قد تكون تكررت لكن لا بأس بها . على سورة القتال أو سورة محمد - صلى الله عليه وسلم - . لقد تكلمت في هذا ، لكن لا بأس أن أعيد الكلام في الموضوع ، ولعل في الإعادة زيادة وإفادة . تبدأ السورة بقوله تعالى : "الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم" في المقابل "والذين آمنوا وعملوا الصالحات وأمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيناتهم وأصلح بالهم . "

ما هو الكفر ؟ جحد الحق بعد ما تبين . ما هو الصد عن سبيل الله ؟ أو ما هو الفتنة ؟ استغلال السلطة لمنع حركة الإيمان على الأرض ، ولمنع انتشار الصدور به ، ولمنع أشعته من أن تتسلل إلى عقول أظلمت لأن الخرافية سيطرت عليها من قديم .. هؤلاء الذين جمعوا بين الكفر بالله والصد عن سبيله ، هؤلاء لا يبارك الله لهم في عمل ، ولا يهدى لهم طريقا ، ولا يصلح لهم بالا ، هؤلاء مشئومون في أعمالهم كلها . هذا المعنى تكرر في السورة ثلاث مرات ، تكرر في قوله تعالى : "إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحيط أعمالهم" . هؤلاء شاقوا الرسول ، ومعنى المشaqueة : أن يكونوا في شق وأن يكون هو في شق آخر ، يعني على طرفى نقىض ، هؤلاء أيضا أحبط الله أعمالهم . تكرر هذا المعنى في قوله تعالى : "إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم" . يعني تراخي بهم الأجل ، وطال بهم العمر ، وجاءهم النذير ، فما استفادوا من تجربة ، ولا انتفعوا بعبرة ، ولا كان لهم من ماضيهما أو

ماضي الإنسانية درس يصلح فسادهم أو يقيم عوجهم ، فتكون النتيجة "فلن يغفر الله لهم" . بدأت السورة بهذا المعنى ، لأنها تقول للناس : هناك شئ عاجل وهناك شئ آجل ، الناس تهوى العاجل ، هذه طبيعة النفس البشرية:

إنى لأرجو منك خيرا عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل الناس تريد فى الدنيا بوادر نصر ،  
بوارق خير ، فالله يقول للمؤمنين : لاحظوا أن "الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل  
أعمالهم" . الشؤم مقررون بأحوالهم ، ونتيجة حتم لأعمالهم ، كيف يأتي الشؤم ؟ لا يتم  
عمل إلا بأمرین : أمر في يدك ، وأمر في يد الله ، يعني أن أخرج من بيتي على نية المجرى  
هنا ، لكن كون الطريق يسلم لى حتى أجئ ، كون صحتى تبقى معى حتى أجئ ، كون  
قلبي يبقى ينبض حتى أجئ ، كل هذا فى يد الله !! عندما أنظر إلى أحوال الناس أجد هذا  
المعنى . الشيوعية زعمت أنها ستضاعف الإنتاج وتحسن التوزيع ، فكانت النتيجة أنها  
حكمت العالم ، فماذا حدث ؟ لا ضاعفت الإنتاج ولا أحسنت التوزيع ، كيف وهى تجند ملايين  
العمال للعمل طول النهار ؟ ماذا يصنع العامل إذا بذر الحبة فى الأرض ثم أهبط الله درجة  
الحرارة إلى خمسين درجة تحت الصفر فماتت الحبوب داخل التربة ؟!! هؤلاء مشئومون  
"أضل أعمالهم" ولقد رأيت هذا الشؤم فيما أراه من أحوال العالم العربى ، بلد مثل  
الصومال - وأنا أهتم به لأنى أهتم بال المسلمين ، ولى معرفة بأحوال هذه البلاد - أحب  
ضابط شرطة اسمه زiad برى أن يكون حاكما فضحك على جماعة من الضباط وعملوا  
انقلابا عسكريا شيوعيا وقتلوا النظام البرلمانى الدستورى ، وحكم زiad برى .

أنظر فأجد أنه ألغى الحروف العربية ، قطع صلته بالعرب ، وألغى الإسلام ، قطع صلته بالإسلام ، وأنظر فأجد أنه ألغى الحروف العربية ، لماذا ؟ لا عروبة ولا إسلام فما صلته بالجامعة العربية ؟! تحرّك أئمة المساجد ضد القوانين الجديدة ، فقتل عشرة من الأئمة وأحرقت جثثهم !! قتلوا وأحرقوا بدون محاكمة !! كنت أدرس فخررت من المحاضرة ووقفت وأنا أغلى ، نظر إلى العميد فقال لي : ما بك يا شيخ محمد ؟ فقلت له : لا أستطيع التدريس !! قال : لماذا : قلت ، قلبي يحترق ، عشرة من إخوانى قتلوا في الصومال والناس نائمون ما يتحرك أحد !! سكت الرجل ثم قال : هذا ليس اختصاصنا !! قلت : اختصاص من ؟ قال : اختصاص رابطة العالم الإسلامي ، قلت : اتصل بالرابطة ، وجاءت الرابطة ، وكلمت رئيس الرابطة ، وبعد عدة أيام بدأت حركة احتجاجات . المهم في هذا أن الأنهار الجارية في الصومال جفت !! كان الله يريد أن يرى عجائبه ، وبعد أيام جفاف أحرقت التراب تأثر الآن فيضانات لتكتسح البقية الباقيه !! أما أنا فما شعرت بأى شيء وقلت : تأخذ الحكومة والشعب ، تأخذ الكل ، شعب ما تحرّك فيه أحد ليقول لهؤلاء : قفوا مكانكم . وما يزال القانون الذي يحكم الصومال يسمى بين الرجل والمرأة في الميراث !! لأن زياد بري له فقه ، من أين جاء به ؟ لا أدرى ، وغيره ، وغيره من الجهلة الذين يحكمون .. على أي الحالات هذا شؤم ، الشيوعية الآن تتسلّل إلى الأرضاً أضررتها عن الإنتاج إلا قليلاً "أصل أعمالهم" . هؤلاء الذين جمعوا بين الكفر بالله والصد عن سبيله لابد من تطهير

الأرض منهم ، لابد من الاشتباك معهم ، يأتي الاشتباك فى السورة على هذا النحو : أولا : "إذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهם فشدوا الوثاق فإما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض" . هذا الجزء من الآية يقول : لابد من كفاح دام تتعقبون فيه أولئك المهاجمين حتى تستأصلوا شأفتهم ، وهذا عدل ، افرض أنتى تمكنت - بقدرة الله - أن أرسل جيشا لـ تركستان أو أفغانستانـ التي تجرب فيها حروب ميكروبية فكيف أعامل المعذبين ؟ أعاملهم بالشفقة ؟ بالإحسان ؟ افرض أن الله شد أزرى وقوى ساعدى وجعلنى أرسل جيشا لمقاتلة الجنس الأبيض الحاكم فى جنوب أفريقيا فماذا أصنع مع الحكومة هناك ؟ الآية هنا تحكم "إذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهם فشدوا الوثاق فإما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها" ثم يقول لنا : "ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم" . يمكن أن يرسل الله ملائكة تقاتلهم ، يمكن أن يرسل الله صواعق تحرقهم ، يمكن أن يرسل زلزال تخسف بهم وتدمير عليهم .. لكنه جل جلاله جعل العالم ميدان اختبار ، وقال لنا : "وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا" . فلا بد من أن نختبر بهؤلاء ويخبرون بنا ، يمكن أن يتدخل رب العالمين وكل شئ طوع أمره ولكنه جل جلاله يختبرنا ، أنؤمن ونكافح ونبذل

ونؤدى ما علينا ألم نجبن وننكص على أعقابنا ، ونستكثر تكاليف الجهاد ومقارم الكفاح ونولى الأدبار ؟ "ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض" . هذه الآية هي الآية الرابعة من سورة القتال ، ختمت الآية بهذه الكلمة : "والذين قتلوا في سبيل الله فلن يصل أعمالهم" . أى الذين رزقوا - في هذا الجهاد - مصير الشهداء فقتلوا في سبيل الله فإن عملهم عند الله . وقد سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلا يقول : ` اللهم إنى أسألك أفضل ما تؤتى عبادك الصالحين ، فلما قضى النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلاة قال : من المتكلم آنفا ؟ فقال الرجل : أنا يا رسول الله ، قال : إذا يعقر جوادك وتستشهد في سبيل الله . والشهادة في سبيل الله ليست مصيبة يعزى فيها ، ولكنها خاتمة صدق أو مكافأة سخية أو جائزة يختار الله لها من أراد من عباده . ونرجو أن يرزقنا الله هذه الجائزة ، وأن يختتم لنا بهذا الختام العظيم إنه على ما يشاء قدير ورحيم بمن يرفع يديه يطلب ، وأنا شخصيا أطلب هذا الختام الطيب "والذين قتلوا في سبيل الله فلن يصل أعمالهم" . هل منكم أحد يشعر بغموض في فهم هذه الآية ؟ قرأت كتابا اسمه ` الإسلام دين العقل ' الكاتب منتب لأسرة النور

فى كلية الطب بجامعة القاهرة ومعه آخر سألت عنه فقالوا : شيخ طريقة ، ومعه رجل ثالث ، المهم قرأت الكتاب فوجدت هذا العاقل يقول : حتمية تأويل آيات الجهاد فى القرآن !! لماذا هذا الحتمية ؟ من أين جاءت هذه الحتمية ؟ استغربت فنظرت إلى ما كتب تحت هذا العنوان فوجدت أنه عندما بدأ التأويل بدأ بهذه الآية : "والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم". أى قتلوا شهواتهم وأهواهم وليس لهذه الآية علاقة لا من قرب ولا من بعد بسفك الدم !! يا رجل أنت قسمت الآية نصفين ، النصف الأول يقول : "إذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب" وآخرها : "والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم". فما علاقة الشهوة والهوى بضرب الرقاب ؟ وكيف تقول : ليس لها علاقة بالحرب ؟ وفي نفس الآية يقول الله : "حتى تضع الحرب أوزارها". كيف فكر هذا الرجل ؟ ثم كيف يقول : إن هذا عقل ؟ لقد قلت فى مكان آخر : هذا الكلام يمكن أن يكون إفرازا لأى شئ فى الجسم إلا المخ ؟ وحضره الكاتب أحب أن يستدل على أن المقصود هنا هو حرب الأهواء والشهوات فقال : والدليل على أن المقصود هو الأهواء والشهوات هو قوله تعالى بعد ذلك : "سيهديهم ويصلح بالهم". فقال : `يهدىهم` هذا لا يكون إلا فى الدنيا ، لأن الهدایة تكليف ، والتكليف لا يكون إلا فى الدنيا !!

هذا الكلام باطل ، ففى سورة الصافات يقول الله : "اَحْشِرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجُهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ" . وفى سورة الأعراف يقول الله عن أصحاب الجنة : "وَنَزَّعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غُلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كَنَا لَنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُنَا بِالْحَقِّ وَنَوْدَوْا أَنْ تَلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْ رَثَمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" . من قال : إن الهدى لا يكون إلا في الدنيا ؟ هذا رجل يجمع بين الغباء والضلال . ثم قال : إن إصلاح البال لا يكون إلا في الدنيا ؟ لماذا ؟ وهل الناس في الآخرة يعكر الله بهم ؟ هل هذا كلام عقل ؟ هذا كلام فارغ ، والعجيب أن الكاتب ينسب إلى أسرة النور ، أسرة نور ؟! هذه أسرة ظلام !! لحساب من يقال هذا الكلام ؟ رحل في الهند اسمه ميرزا غلام أحمد - شيخ القاديانية . أول ما كلفه الإنجليز به إلغاء الجهاد ، وألغى الجهاد ، لمصلحة من ؟ لمصلحة الاستعمار الإنجليزي ، والمسلمون مستغفلون ، وحرب الفناء معلنة عليهم ، فلماذا تريد أنت أن تفني آيات القتال ؟ وعندما أول آية القتال في سورة التوبه : "وَإِنْ نَكْثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتَلُوا أَئْمَةَ الْكُفَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُيمِنُ لَهُمْ لِعْلَمُ يَنْتَهُونَ" . قال : المقصود بمقاتلة أئمة الكفر مقاتلة الدليل بالدليل !!

اتق الله يا رجل ، سورة براءة نزلت في ناس قرروا أن يقتلو الإسلام ، وعيثوا بجميع المعاهدات التي عقدت معهم ، وما وجدوا فرصة إلا وحاولوا قتلنا ، فجاء الإسلام وقال : "فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهم بداعكم أول مرة .." بدأونا بالدليل والبرهان ؟ أخرجوا الرسول بالدليل والبرهان ؟ .. "اتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين قاتلواهم يعذبهم الله بأيديكم ويذبحهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيط قلوبهم ويتبوا الله على من يشاء والله عليم حكيم" . كل هذا يلغى ويقال : القتال هنا قتال على الورق أو قتال على المنبر ؟ الحيوان لا يفكر بهذه الطريقة !! لحساب من هذا التفسير ؟ أهذا كتاب للإسلام أم أنه عمالة لجهات أجنبية تريد إماتة الدم المكافح في نفوس المسلمين وجعل الأمة الإسلامية باردة العاطفة ، وقتل ثم تسمع من يقول لها : آيات القتال ألغيت ؟!! على كل حال هذا نوع من الكلام عرض لى وأنا أمضى في سورة القتال : وبعد أن قال الله : "والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يصل أعمالهم سيفهدينهم ويصلح بهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم" . قال : "يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم" .

حکى لى بعض الناس قالوا : قمنا بدعوة إلى الجهاد من أجل تحرير البلد الفلاني فرفض المسلمين أن يشتركون معنا وقالوا : هذه حرب قومية لا نشترك فيها !! أنا خطأت الذين رفضوا القتال ، وقلت : هذا فهم غير صحيح للإسلام ، صحيح أن القتال يوصف بأنه إسلامي والقتيل يوصف بأنه شهيد متى كان من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا ، والأحاديث واردة في هذا وكثيرة لكن وردت أيضا آيات وأحاديث بأنك عندما تنصر نفسك ، وتعز شأنك ، وتحمي دمك ومالك وعرضك وتقتل دون هذا فأنت أيضا شهيد ، لأن الظلم في الإسلام نوعان : ظلم الآخرين وهو إيقاع الغبن بهم والافتياط على دمهم أو مالهم أو عرضهم ، هذا ظلم . وهناك ظلم آخر لا يقل عنه سوءا وهو أن تظلم نفسك ، كيف نظلم نفسك ؟ ترضى بالدنيا والهوان ، وفي هؤلاء نزل قوله تعالى : "إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم

قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وسأله مصيرا". قبلوا الدنيا والظلم ، ويعجبنى من شعر العقاد قوله: أنصف مظلوما فأنصف ظالما في ذلة المظلوم عذر الظالم من يرض عدوانا عليه يضيره شر من العادى عليه الغاشم والواقع أنه ما يعتدى معتمد ، وما يتجرى جبار ، وما يتفرعن متفرعن إلا إذا أمن العقوبة ، وأدرك أنه يمتد فى فراغ . أما الفراعنة فإنهم أجبن الناس عندما تفحص طواياهم ، وتبث خبایاهم ، ولو علموا أنهم إذا لطموا لطموا لغلوا أيديهم فما امتدت بظلم لأحد !! ومن هنا فمن نصرة الله أن أدفع عن بلدى وعن بيته وعن دمى وعن عرضى ، وليس فى هذا ما يجعل بعض الناس من أصحاب الفقه القصير يتاخر ، بلادة الفقه عند كثير من الناس ضيعت الإسلام . "يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم". لماذا ؟ . أعداء الإسلام يكرهون ما أنزل الله ؟ في الجاهلية الأولى كان الكفر متغللا في نفوس كثيرة ، فهم يشمئزون من التوحيد ويرحبون بالشرك والوثنية : "إذا ذكر الله وحده اشمت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون " . ينتج هذا من فساد الطبيعة الإنسانية ، يعني المفروض في الطبيعة الإنسانية أن تحب الحق وتهفو إليه ، وكما قال الشاعر العربي : ولم أر كالمعروف أما مذاقه فحلو وأما وجهه فجميل المعروف جميل ، لكن هناك ناس كالخنازير تعيش على الوساخات ، هؤلاء يجب أن تطهر الأرض منهم ، والذين يطهرون الأرض هم المؤمنون : "يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم". الرغبة في نصرة الله لا تختلف ، حتى في الساعات الكالحة تتنفس . في غزوة أحد اضطر المسلمون بعد إشاعة موت الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يتركوا

الإشاعة تمر ، لماذا ؟ حتى يسكت المشركون ، ويظنو أنهم بلغوا مآربهم ويعودوا . لكن أبو سفيان أخذ ينادى : ` أفى القوم محمد ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا تجيئوه . حتى قالها ثلاثا . ثم قال : أفى القوم ابن أبي قحافة ؟ ثلاثا . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لا تجيئوه ثم قال : أفى القوم عمر ؟ ثلاثا . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لا تجيئوه ثم التفت إلى أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا . فلم يملك عمر رضي الله عنه نفسه إلا أن قال : كذبت يا عدو الله قد أبقي لك من يخزيك به . فقال أبو سفيان : أعل هبل ، مرتين ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : أجيئوه قالوا : ما نقول يا رسول الله ؟ قال : قولوا الله أعلى وأجل ، قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أجيئوه قالوا : ما نقول يا رسول الله ؟ قال : قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وهذا ما قالته الآية . هنا في سورة القتال - : "ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم" . ثم أجرى إلى شئ هنا في هذه السورة ، بعض الناس ينكتون ويقولون بشئ من السخرية : الإسلام فيه أنهار من لبن وخمر وعسل نعم الإسلام فيه هذا ، لأن الإسلام ذكر أن البشر بشر وليسوا ملائكة ، وأن من حق الشاب الذي طوى غريزته الجنسية عن حرام أن يستمتع بالحور العين ، ومن حق الذي ظمأ الله في يوم عن سحت أن يستمتع بالحلال الطيب في دار النعيم ، ومن حق الذي أغلق فمه صائف أن يشرب من الرحيق المختوم ، فمن حق الجسد أن يستمتع .

ومن قال : أن الأجساد ستبلى ؟ لا .. لن تبلى وستعود كما كانت فى الدنيا وأحلى وأحسن وأنضر ، وستمتع ، ولا شئ فى هذا ، وما الحرج فى هذا ؟ لا حرج ، قال تعالى : " مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنها من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم " . لا شئ فى هذا ، وكون المؤمن يطلب ما عند الله من نعيم مادى لا شيء فيه ، ومن قال : إن النعيم المادى يغنى عن النعيم الروحى ؟ ما قال هذا أحد ، لأن الإنسان وهو مادة يستمتع فتستريح أعصابه ، ويمكن أن يستمتع بلذات مادية ولذات أدبية كثيرة ، وما أكثر اللذات المعنوية . يقول المأمون : حبب إلى فعل الخير حتى ظنت أنى لا أوجر عليه !! وقيل لعالم : ما لذتك ؟ قال : في حجة تتبخر انصاحا وشبيهة تقضاء افتضاها !! اللذات كثيرة ، والمؤمن في الدنيا له ملذات مادية وملذات معنوية فما المانع أن يكون له هذا في الآخرة ؟ في سورة القتال - هنا - موقفان : موقف للمؤمنين ، و موقف للكافرين ، المؤمنون أهل حماس وأهل نشاط وأهل خير ، إذا نزلت سورة فيها تكليف يجري المؤمنون إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نحن معك ، نحن مستعدون ، وتجد هذا المعنى في استعجالهم ما ينصر الإسلام : " ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة. "

ينتظرون التوجيه ، ينتظرون الأمر . أما المنافقون فإذا نزلت آية فيها قتال ينظر أحدهم إلى الآخر هل يراكم من أحد ؟ اجر ، انصرف قبل أن تكلف بشيء ، قال تعالى : "إِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هُلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرْفُ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ" . هنا فى سورة القتال يصورهم تصويرا آخر : "إِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً مُّحَكَّمَةً وَذُكِرَ فِيهَا الْقَتَالُ رَأَيْتُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ يَنْظَرُونَ إِلَيْكُمْ نَظَرَ الْمُغَشِّيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكُمْ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقُولٌ مَعْرُوفٌ إِذَا عَزَمُ الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ" . وتمضى السورة تؤكد هذه الحقائق ، لابد من جهاد ، لابد من بذل ، لابد من مواجهة ناس كرهوا ما أنزل الله : "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحَبَّتْ أَعْمَالَهُمْ" . لابد من مقاومتهم ، لابد من مجاهدتهم ، قال تعالى : "وَلَنُبَلُّو نَعْلَمُ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنُبَلِّو أَخْبَارَكُمْ" . أيها الإخوة : الحرب فى العالم - الآن - حرب دينية ، هناك محاولات لتغطية العنوان الدينى داخل الأمة العربية . لبنان بلد كان يأكل من فوق رأسه ومن تحت أرجله ، لكن أبي الموازنة إلا أن يقيموا حكما نصراانيا ، استهانوا بال المسلمين وأرادوا أن يسحقوهم تحت النعال فكانت هذه الحرب التى لم تنته ولن تنتهى . الكاثوليك يريدون فرض الدولة المارونية على لبنان .. حرب دينية .

الحرب التي تدور الآن في أيرلندا حرب دينية .. الكاثوليك الذين يرتفعون عن طريق الجيش الأيرلندي كاثوليكي يحكمهم الإنجليز البروتستانت مع جماعة من البروتستانت الأيرلنديين ، وال الحرب بين الكاثوليكي والبروتستانت حرب واضحة . ولقد ذكرت فصول هذه الحرب في الثلث الأخير من كتابي **ـ التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام** **ـ** الذي طبع في سنة 1949 م ذكرت فيه ماذا كان يصنع البروتستانت بالكاثوليكي ، بل نقلت أن البروتستانت كانوا يحكمون بأنه لا يجوز لкатوليكي أن يمر راكبا فرسا إلا إذا كان الفرس بأقل من خمسة جنيهات !! الحرب دينية ، كما أن الرهبان البوذيين في فيتنام يقاتلون حتى الموت من أجل البوذية .. الحرب دينية في العالم . فالعالم الإسلامي ليس عليه من بأس من أن يكافح من أجل دينه ومن أجل إسلامه في وجه كل المؤامرات التي تحتاج العالم الإسلامي بين الأطلسي والهادئ .. المهم أنه لا حرج علينا من أن نكافح من أجل ديننا .. وضريبة الكفاح معروفة ، لكنى ما أزال أوصى بالحكمة والفقه وإعمال الرأي وفهم كلمة المتنبي : الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المثل الثاني أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

نطرات فى صدر سورة التوبية "سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم" . أىها الإخوة : مع موسم الحج أحببت أن أستعرض معكم صدر سورة براءة ، لأنها شرح وتعليق وإيضاح لأحوال الأمة الإسلامية عندما حج ` أبو بكر ` - رضى الله عنه . بالناس فى السنة التاسعة للهجرة ، وعندما قرأ ` على بن أبي طالب ` - رضى الله عنه . هذه السورة فى مصارب الخيام ومجامع الناس . أحببت أن أشرح صدر سورة براءة كى أربط المسلمين فى عصرنا هذا بواقعهم القرآنى الذى يبين كيف يكون موسم الحج موسمًا لوضع سياسات ، ورسم خطط ، وتوضيح مواقف ، وتحديد أمور قد تكون عائمة.

و قبل أن أشرح صدر السورة أريد أن أقدم بين يديها بياناً صغيراً . نزلت هذه السورة في السنة التاسعة من الهجرة ، أى أنه في علم الله سبحانه وتعالى - وهو منزل الكتاب ومجرى السحاب - أنه بعد عام - تقريباً - سوف يقبض بنيه - صلى الله عليه وسلم - ويسترد له ليلحق بالرفيق الأعلى .. أى أن هذا الركب المؤمن سيشق طريقه في الحياة وحده ، إذن منزل الكتاب يريد أن يهيئ لهذه الأمة طريق امتدادها ، وأن يمهد لها السبيل حتى تحسن أن تسير وحدها ، وأن يترك النبي - صلى الله عليه وسلم - الأمة على مجتمع يسوده الحق والإخلاص والخلق . عندما ينظر إلى السنة التاسعة نجد أن الحال قبل نزول سورة براءة على النحو الآتي : في الصراع السياسي مع الوثنية أمكن إسقاط جبروتها ، ومحق دولتها ، ودخل المسلمون مكة المكرمة ليكسرؤوا الأصنام من حول الكعبة ويعملوا راية التوحيد . في السنة التاسعة من الهجرة أمكن تصفية الوجود العسكري لليهودية في جزيرة العرب بعد وقفات شداد كانت مرة ، ولكن كسبها المسلمون ، وفعلاً محوا السلطة العسكرية والاقتصادية التي كان يتمتع بها اليهود في أنحاء الجزيرة . في هذه السنة - أيضاً - يمكن أن يقال : إن النصرانية في الجنوب كانت قد تعااهدت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في معاهدات شبه متوازنة ، وأمكن دعاة الإسلام أن يسيروا في هذه الأرجاء يصدعون بكلمة الله ، وبلغون رسالات الله .. لكن في شمال الجزيرة كان هناك الاستعمار الروماني ، وكانت الصليبية هناك متهدية ، ترفض أن يتسلل بصيص من نور التوحيد في هذه

البقاء ، ولذلك قاتلت الإسلام بقدرة ، واحتسب الإسلام معها في معركتين لم يحددا بتنا  
ـ مستقبل العلاقة بين الإسلام والنصرانية .. فمعركة ـ مؤتة ـ في السنة الثامنة ، ومعركة  
ـ تبوك ـ في السنة التاسعة ، كلتا معركتين لم ترس الأمور على وضع واضح بين العرب  
والرومان ، أو بين المسلمين والصلبية العالمية ، يمثلها الرومان في هذه الآونة .. لكن  
الجزيرة - مع ذلك - تغيرت خلال ثنتين وعشرين سنة تغيرا واضحـا .. لكن مع التغير الذي  
انتصر به الإسلام فإن هناك أمورا ذات بال لا يمكن أن يواجه المجتمع الإسلامي خصمه في  
الخارج وهذه الأمور باقية ، لا تزال جذور الوثنية ضاربة في تراب الصحراء برغم الحصد المتتابع  
الذى اجتاح ظاهرها ، وقطع أغصانها وأشواكها . لا تزال جذور الوثنية غائرة في التراب ، ولها  
وجود يظهر بين الحين والحين ، فارضا نفسه بحكم أنه كثرة ، وفارضا نفسه بحكم أنه ينبع  
من الشهوات الأرضية ، وذلك في موسم الحج حيث يطوف المشركون عرايا ، ثم في وجود  
طوائف من المنافقين تعتبر بتعبير العصر الحديث طابورا خامسا لليهودية العالمية والصلبية  
العالمية . فلكي يمكن بناء مجتمع سليم ومتوازن لابد من تصفية كاملة للوثنية ، لابد من  
ضرب لطوائف المنافقين واستئصال لها ، حتى يمكن أن يخلص المجتمع لعقيدة التوحيد ،  
وحتى يمكن أن يواجه بها العالمين دون حواذب من خلفه تهدده وهو ينطلق ، أو تعرقله وهو  
يتقدم . لذلك نزلت سورة براءة ، وحدثنا الليلة ليس عن السورة كلها ، وإنما عن صدر  
السورة . والسورة . كما قلت في محاضرة قديمة . تشبه أن تكون ثلاثة وثلاثين ، الثالث الأول  
وهو المتصل بتصفية الوثنية ، والثلاثان الآخرين وهما تعليق على غزوة العسرة أو غزوة تبوك  
، وهما الثلاث اللذان صفيا النفاق في الأرض العربية!!

ثم بعد نزول السورة يمكن أن يقال : إن هذا المجتمع الذى رياه الرسول . صلى الله عليه وسلم . على عينه ، ودمغ بالحق باطلًا ظل قرونا يعرب ويتطاول ، هذا المجتمع يمكن أن يتركه النبي . صلى الله عليه وسلم . بعد أن حج حجة الوداع ، فلا يبقى بعدها إلا ثمانين يوما ثم يلحق بالرفيق الأعلى بعد أن ترك أمة محكمة البناء ، واضحة المعالم ، راسخة الدعائم ، والذى يتعهد بها بهداياته هو رب العالمين ، والذى يبقى معها ، ويمنع العوائق والأكدار من أن تشوب جوهرها هو القرآن الكريم . والآن نبدأ مع سورة براءة لنتتبع حج أبي بكر . رضى الله عنه . بالناس . وأول ما يلفت النظر أن الحشيد الضخم من قاصدي البيت الحرام لا يذهبون لعبادات فردية أو لشعائر جزئية ، إنما استغل هذا التجمع فى علاج قضايا دولية . بتعبير عصرينا . وفي رسم السياسة الإسلامية التى ينبغي أن تعرف من الموسم الجامع للمسلمين ، الحاسد لهم من المشارق والمغارب ، الحاشر لهم من أعماء القرارات الخمس !! فى هذا المجتمع ترسم الخطة الإسلامية ، هذا لو كان الحج إسلاميا ، وكان المسلمين على مستوى دينهم . فى هذا الموسم بدأت سورة براءة تنزل لتحدد سياسة دولية وعسكرية . تقول السورة : ` براءة ` صادرة من من ؟ ` من الله ورسوله ` متوجهة إلى من ؟ ` إلى الذين عاهدتم من المشركين .

براءة صدرت عن رب السماء والأرض تخص الذين عاهدتموهم من المشركين . ما مضمون هذه البراءة ؟ لديكم مهلة أربعة أشهر ، سيحوا في صحراء الجزيرة كما تريدون ، انطلقوا كما تحبون ، لكن اسمعوا : فكروا في مستقبلكم ، لقد ضقتم بالإسلام طويلا ، وتأمرتم عليه كثيرا ، وأكنتم لهبغضاء في خبث ، ووضعتم العوائق في طريقه عن قصد ، لن تتركوا بعد اليوم ، لديكم أربعة أشهر تستطيعون فيها أن تفكروا ، فإذا دخلتهم في هذا الدين ، وتبتم من الفتنة والعدوان ، وإنما ليس أمامكم إلا القتل . "براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين " . أسم من هذه الجملة الأخيرة أن القوم كانت لديهم من أسباب القوة ، ومن وساوس القدرة ما يجعلهم يظنون أنهم يغالبون القدر ، ويعاجزون الله ، ويكسبون المعركة آخر الأمر ! لا .. "واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين" مرة أخرى يكرر الوحي البراءة والتهديد : "وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليت فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم" . براءة مكررة ، وعيدي مكرر ، إعلام مكرر ، ومهلة أربعة أشهر ، تبدأ من التاسع أو العاشر من ذى الحجة على خلاف بين العلماء . كيف تلغى المعاهدات ، والمعاهدات لها قيمة ؟ يجيء الجواب سريعا يقول لى : إن المعاهدات إنما ألغيت مع الذين لا يحترمون المعاهدات ، إن المعاهدات لما لعب بها من أمضوها معكم ، واستهانوا بكم ، واحتقرموا شأنكم ، وتجروا عليكم رأينا إلغاءها ، وما نلغى معاهدة أبدا احترموا الطرف الآخر ، واستمسك بالشروط التي وقع عليها ، ولذلك جاء الاستثناء مباشرا بعد هذه الآية .. "إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مذهبهم إن الله يحب المتقين" . إذن المعاهدات ألغيت مع ناس أساءوا إلينا وناصروا أعداءنا ، وظاهروهم على ضربنا ، ونقصونا حقوقنا ، أما الذين لم نقصونا ، ولم يبخسونا ، ولم يسيئوا إلينا ، ولم يفرطوا في المعاهدات التي بيننا وبينهم فنحن نتقى الله فيهم ، لا يشملهم لا الإنذار ولا البراءة .. "إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مذهبهم إن الله يحب المتقين" . "إذا اسلخ الأشهر الحرم فاقتلو المشركين حيث وجدتموهم وخذلوهم

واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم". الأشهر الحرم في هذه الآية ليست هي الأشهر التي قال الله فيها : "منها أربعة حرم" وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، وإنما هي أشهر مخصوصة سميت بذلك لتحريم القتال فيها ، وتببدأ من عشر من ذى الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر . وهذا الرأى الذى ذكرته هو رأى بعض المفسرين . بعد هذه الآية تجيء آية تفتح حديثا فى موضوع الدعوة ، وأسلوب عرضها ، ومعاملة الناس على صوتها ، هذه الآية هي قول الله تعالى : "إِنَّ أَحَدَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا اسْتَجَارَكَ فَاجْرِهْ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَا مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ".

فى أثناء هذه الحملة العامة على المتابعين بالعهود صاحب رجل وقال : ما أنتم ؟ أنا لا أدرى ما تريدون !! فماذا نصنع له ؟ لابد من تأمينه ، وإذهاب روعه ، ثم إشعاره بأن الإسلام دعوة تخاطب العقل ولا تكره أحدا !! " وإن أحد من المشركين استجراك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون " . هنا أرجع لأول السورة لأجيء بكلمة : الناس ، لماذا ؟ لأنى فى مجال الدعوة لاحظت أن عددا من الذين يشتغلون بالحديث ليس لهم حق الاشتغال بالحديث وهم ليسوا فقهاء فى القرآن ، وليسوا مطلعين على طرق الفقهاء فى الفهم والاستنباط . لماذا أقول هذا ؟ لأن أحد الناس ذكر حديث : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وما له إلا بحقه ، وحسابه على الله . وفهم هذا الشخص أن كلمة الناس فى الحديث تشمل العالم !! . ومعنى هذا أن الإسلام ماسك العصا ، طائح فى القارات الخمس ، يقول للناس : الإسلام أو السيف !! هذا تفكير قطاع طرق وليس تفكير دعاة ، وهذا جنون فى فهم السنة المطهرة !! قال لى محدثى : الحديث يعمم ويقول : أمرت أن أقاتل الناس . قلت له : فى علم النحو أأى تكون للعهد ، وتكون للجنس ،

وَ أَلْ فِي الْحَدِيثِ لِلْعَهْدِ ، وَأَنْتَ فَهِمْتَهَا لِلْجِنْسِ . قَالَ : أَنَا لَا أَعْرِفُ عَهْدًا وَلَا جِنْسًا !! قَلَتْ لَهُ : مَعْنَى أَلْ لِلْجِنْسِ يَعْنِي لِلنَّاسِ جَمِيعًا ، وَمَعْنَى أَلْ لِلْعَهْدِ يَعْنِي نَاسًا مَعْهُودِينَ مُخْصُوصِينَ . فَقَالَ لِي : وَمَا الْمَانِعُ أَنْ تَكُونَ أَلْ هَنَا لِلْجِنْسِ ؟ قَلَتْ لَهُ : يَوْمَ تَجْعَلُهَا لِلْجِنْسِ ، أَى لِلنَّاسِ جَمِيعًا ، فَإِنَّكَ تَصْطَدُمُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . قَالَ : وَكَيْفَ أَصْطَدُمُ بِهِ ؟ قَلَتْ : الْغَايَاةُ مِنَ الْقَتْالِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَجْعَلُ الْقَتْالَ مِشْتَعِلًا مَعَ النَّاسِ كُلَّهُمْ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ !! قَالَ : نَعَمْ ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْحَدِيثِ !! قَلَتْ : لَكِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ تَحْدُثُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْمُعْتَدِينَ الَّذِينَ تَحْدُوْهُ وَشَاغِبُوهُ ، فَقَالَ : الْقَتْالُ مَعْهُمْ إِلَى أَنْ يُعْطُوْهُمُ الْجُزِيَّةَ ، فَلَا يَكْرَهُونَ عَلَى أَنْ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ : "قَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يَحْرِمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتَوْا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوْهُمُ الْجُزِيَّةَ عَنْ يَدِ وَهْمِ صَاغِرُونَ" . فَهَذِهِ الْآيَةُ فِي مَقَاتِلَةِ قَوْمٍ مِنَ الْمُعْتَدِينَ الْمُجْرِمِينَ الْغَادِرِينَ ، حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ لَا ، حَتَّى يَدْفَعُوا نَفَقَاتِ الْحَرْبِ الَّتِي يَشْتَبِكُ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا دِفَاعًا عَنْ دِيْنِهِمْ وَعَنْ أَرْضِهِمْ وَعَمَّنْ يَعِيشُ فِي ظَلْمِهِمْ . فَأَحْسَنَ الرَّجُلُ أَنَّ الْحَدِيثَ لَا يَشْمَلُ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مُسْتَشْتَنُونَ يَقِيْنًا.

فقال : إذن أهل الكتاب مستثنون . قلت : كيف ؟ قلت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المجنوس - : `سنوا بهم سنة أهل الكتاب` . المجنوس ناس وثنيون ، وليسوا أهل الكتاب . قال : والمجنوس - أيضا - مستثنون !! قلت : هذا الحديث قيل في العرب الوثنيين ، فالمعنى بكلمة `الناس` في آية براءة ، وكلمة `الناس` في هذا الحديث إنما هم العرب الوثنيون . وهناك عموم أريد به خصوص كما يقول علماء أصول الفقه ، ومثال ذلك قوله تعالى : "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهם" . فـ `الناس` - الأولى - هم بعض المرجفين ، وـ `الناس` - الثانية - هم مشركون مكة . فهذا عموم أريد به خصوص .

ومثال آخر ، قوله تعالى : "إِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ وَالْفَتْحَ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا" . فـ `الناس` - هنا - هل هم سكان القارات ؟ لا .. هم سكان الجزيرة العربية . ولذلك فقد قلت : ما يشتغل بفقه السنة إلا فقيه في القرآن الكريم . هذا اعتراض وأنا أفسر الآية صدر السورة ، ثم أعود إلى مكانى مرة أخرى لأقول : لأن القرآن الكريم أراد أن يشرح لماذا كان الإلغاء لمعاهدات لعب بها الطرف الآخر .. بدأ يشرح هذا فيبين أمورا وأوجب أمورا .. الأمور التي بينها وأوجبها أربعة .. الأمر الأول : أن الشرك أو الكفر مطنة الغدر والعبث . الأمر الثاني : أن بيئه الفتنة هي في هذا الشرك المعتمد . الأمر الثالث : أوجب ضرورة التهيئة لقتال أعدائهم دون خشية منهم أو خوف . الأمر الرابع : التأمين الاقتصادي عندما يخشى المسلمون الأزمات على مستقبلهم في حرب شاملة أعلنها الإسلام على أعدائه . ونفصل هذه النقطة الأربع .. أما النقطة الأولى : فبدأ القرآن الكريم يقول : لماذا ننتظر من المشركين أن يكونوا أهل وفاء ؟ لقد غدروا بالله ، غدروا بعهده الذي أخذه عليهم في فطرهم ، فإذا كانوا قد عبثوا بعهد الله الأعظم فلم لا يعثثون بالعهود معكم ؟ قال جل شأنه : كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله .. ؟ ثم يستثنى حتى لا يتهم بأنه غدار

”إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُتَقِينَ كَيْفَ وَإِنْ يُظْهِرُوا عَلَيْكُمْ لَا يُرْقِبُوا فِيهِمْ إِلَّا وَلَا ذَمَّةٌ يَرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ  
وَأَكْثُرُهُمْ فَاسِقُونَ” . إِلَّا : الْعَهْدُ ، الْقَرَابَةُ ، وَالذَّمَّةُ : الْعَهْدُ ، الْأَمَانُ ، الْحَقُّ .. الْمُهُمُّ أَنْ  
هُؤُلَاءِ لَوْ شَعَرُوا بِالْقُوَّةِ فَلَنْ يَعْرِفُوكُمْ ، سَيَجْهَزُونَ عَلَيْكُمْ ، مَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ الإِجْهَازِ عَلَيْكُمْ إِلَّا  
الْخُوفُ مِنْ أَنْ تَكُونُوا أَقْوَى مِنْهُمْ فَتَهْزِمُوهُمْ !! فَكِيفَ أَتَعْالَمُ مَعَ إِنْسَانٍ أَوْ أَرْتِبِطُ مَعَهُ عَلَى  
هَذَا الْأَسَاسِ ؟ وَكِيفَ تَكُونُ الْمُعَاہَدَةُ مُحْتَرَمَةً ؟ ثُمَّ بَيْنَ جَلْ شَأْنَهُ أَنَّهُمْ نَهَازُوا فَرَصِّ ، يَنْظَرُونَ  
إِلَى الْمُجَمَّعِ الْإِسْلَامِيِّ بِعِيُونِ مَا كَرَّهُ ، وَيَوْمَ يَجِدُونَ فِي هَذَا الْمُجَمَّعِ ثُغْرَةً فَسِينَفِذُونَ مِنْهَا  
إِلَى صَمِيمِهِ وَيَفْتَنُونَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ عَقَائِدِهِمْ !! قَالَ جَلْ شَأْنَهُ : ”اَشْتَرِوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثُمَّ  
قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يُرْقِبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذَمَّةٌ وَأُولَئِكَ  
هُمُ الْمُعْتَدُونَ” . ثُمَّ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ : عَلَيْكُمْ أُمُورٌ : الْأُمُرُ الْأُولُ : لَا تَخْشُوا أَحَدًا ، اسْتَنِدُوا  
إِلَى اللَّهِ ثُمَّ أَدْوَا حَقَّهُ وَلَا تَبَالُوا .. قَالَ جَلْ شَأْنَهُ : ”فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوَا الزَّكَاةَ  
فَإِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ وَنَفْصُلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَإِنْ نَكْثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا  
فِي دِينِكُمْ فَقَاتَلُوا أَئِمَّةَ الْكُفَّارِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعْلَهُمْ يَنْتَهُونَ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكْثُوا أَيْمَانَهُمْ  
وَهُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَوْكُمْ أَوْ مَرَّةً أَتَخْشِنُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشُوهُ إِنْ كُنْتُمْ  
مُؤْمِنِينَ . ”

أشم من هذه العبارات أن المسلمين - فعلا - كانوا يحسون خطورة المعركة التي كلفوا بخوضها ، وأشم من العبارات - أيضا - أن المشركين كانوا على درجة كبيرة من القوة تجعل المسلمين يقدرون أن المعركة معهم ليست هينة !! لكن التحرير القرآني في موسم الحج يأخذ عموم الأمة الإسلامية بهذا التوجيه الحاسم "قاتلواهم يعذبهم الله بأيديكم وبخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويدهش قلوبهم ويتوسل الله على من يشاء والله عليم حكيم" . الكلمة : "ويشف صدور قوم مؤمنين ويدهش قلوبهم" ، هذه الكلمة تنضح بأن أعداء الإسلام تركوا في نفوس المؤمنين جراحات عميقة أتعبتهم وأرهقتهم !! ولذلك وعدهم الله بأنهم إذا قاتلواهم فإن الله معهم "قاتلواهم يعذبهم الله بأيديكم وبخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويدهش قلوبهم ويتوسل الله على من يشاء والله عليم حكيم" .. هنا أدب إسلامي ألفت النظر إليه .. إن الله لا يقبل على قلب مشترك !! والقلب المشترك هو الذي يعمل لله ويعمل للناس !! إنسان يدخل في الميدان الإسلامي ونفسه فيها جزء يقول : أخذ صديقا من الكفار ذا قوة وواجهة الجا إليه إذا وقع لى شيء !! هذه هي البطانة أو بتعبير الآية - هنا - `الوليجة` "أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين ولية الله خبير بما عملون. "

لا .. كن رجلا صريحا فى حماية الحق ، كن رجلا مخلصا فى اعتنائه ، كن رجلا واضحا فى عاطفتك ضد أعداء الله ، وأعداء الدين والحق .. هذا الوضوح لابد منه ، ولذلك يستنكر رب العالمين من المؤمنين موقفا فيه ريبة أو ضعف فيقول : "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَرْكُوا وَلَمَا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَحْجُجُوا بِمَا تَعْمَلُونَ" . فلا يجوز أن تتخذ صديقا خفيا نلجا إليه فى وقت الشدة ، فهذا شغل المنافقين "فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ يَسْأَلُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرًا مِنْ عَنْدِهِ فَيَصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ" . صاحب الحق يربط حياته ومستقبله بالحق ، فإن هلك الحق فلا قيمة للحياة بعده !! ثم صدر الأمر الذى خوف المسلمين من الناحية الاقتصادية ، ففى حجة أبى بكر كان المشركون يحجون ، وأهل مكة تجار يسرهم أن تمتلى البلد ، لماذا ؟ يكسبون من هذا ويربحون .. لكن صدر الأمر : ` ألا لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان. `

ليس للوثنيين مجال هنا ، ليس لهم مكان هنا .. "ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون إنما يعمرون مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين" . التفكير المالي عند أهل مكة كان في حساب الوحي وهو يقول : ليس للمشركين أن يجيئوا بعد هذا العام ، ولذلك قال : "يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يعنيكم الله من فضله إن شاء إن الله علیم حکیم" . وكلمة ` إن شاء ` جاءت هنا حتى يلزم الناس مكان العبید أمام الرزاق الكبير ، ليس لك حق عنده ، قف موقف العبد وتعلم قول الله في الحديث القدسی : ` يا عبادی كلکم ضال إلا من هدیتھ فاستهدونی أھدکم ، يا عبادی كلکم جائع إلا من أطعمنتھ فاستطعمنی أطعمنکم ، يا عبادی كلکم عار إلا من کسوتھ فاستکسونی أکسکم ` . من حق أى عبد - بحق العبودية وحدها - إذا جاء أن يقف بين يدي المطعم الذي يطعم ولا يطعم ليقول له : أطعمنی !! من حق العبد إذا تعرى أن يقف بين يدي قيم السموات والأرض ليقول له : اکسنى !! إذن من الناحية الاقتصادية لا تخافوا فأنا سأرزقکم ، فماذا عن الناحية العسكرية ؟ لأننا سنتعرض بهذا إلى اشتباك مع سكان الجزيرة كلها ، مع من بقى منهم على الشرك وهم كثيرون!!

ليكن ، ذكرهم رب العالمين بيوم قريب كان فى السنة الثامنة هو يوم حنين قال لهم : أنتم تظنون أن النصر بكثرة العدد والعدد ، لا .. النصر من عندى ، وقد كنتم قلة ووقفتم أمام أضعافكم عددا وعدة وكسبتم المعركة !! ثم فى السنة الماضية . السنة الثامنة . كنتم كثرة أعجبتكم ، وظننتم أنكم بكثرتكم منصورو فهزتمكم !! وهذا هو السر فى أن يقول فى صدر السورة : "لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تف عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتكم مدربين " . فصدر السورة متماسك ، والكلام من أول السورة إلى قوله تعالى . فى الحديث عن غزوة تبوك : "يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثقلتم إلى الأرض" . الكلام إلى هنا فى صدر السورة ، وهو متماسك ، أو له تمهد لآخره ، وآخره تصديق لأوله ، والقرآن ينبغي أن يفهم على هذا النحو . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وصلى الله على سيدنا محمد وآلہ وسلم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقه الدعوة أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . أَيُّهَا الْإِخْرَاجُ : أَحْمَدَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَأَصْلَى وَأَسْلَمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ وَآلِهِ . وَبَعْدٍ .. فَإِنَّهُ حَبِيبٌ إِلَى نَفْسِي أَنْ أَرَى هَذَا الْحَشْدَ مِنْ شَبَابِ أُمَّتِنَا يَحْدُو إِلَى هَذَا الْمَكَانِ إِيمَانَهُ بِرَبِّهِ ، وَحُبَّهُ لِنَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَرَغْبَتِهِ فِي أَنْ يَعْزِزِ الْإِسْلَامَ ، وَأَنْ يَرْفَعْ لَوَاءَهُ ، وَأَنْ يَعْتَرِضْ قُوَّةَ الشَّرِّ الَّتِي تَنَاوِشُهُ . إِنَّهُ حَبِيبٌ إِلَى نَفْسِي أَنْ أَرَى هَذِهِ الْوُجُوهَ النَّاضِرَةَ بِقُوَّةِ الإِيمَانِ الَّتِي حَثَّتَ الْخَطَا إِلَى هَذَا الْجَمْعِ كَيْ تَسْهِمَ بِعَوْاطِفِهَا وَأَفْكَارِهَا فِي جَعْلِ أُمَّتِنَا بَاقِيَةً عَلَى الْوَفَاءِ لِدِينِهَا وَتَرَاثِهَا وَإِنْ كَرِهَ الْكَارِهُونَ ، وَإِنْ ضَاقَ بِذَلِكَ الَّذِينَ : "يَرِيدُونَ أَنْ يَطْفَئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" . أَيُّهَا الْإِخْرَاجُ :

حديثنا الذى رتبته إدارة المعسكر فى **ـ فقه السيرة** . وكلمة **ـ فقه** . هنا . تعنى الحقيقة اللغوية ، إنها لا تعنى مجموعة أحكام تتصل بشرائع العبادات والمعاملات ، ولكن كلمة **ـ فقه** . هنا . يقصد بها معرفة سر الحادثة ، أو كنه القضية ، أو ما وراء المشاهد القريبة . فالفقه . هنا . أن نغلغل البصر فيما نقرأ من سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام ثم نعرف الأسباب والحقائق وراء ما نقرأ . وأمتننا محتاجة إلى هذا احتياجا شديدا ، لأن عصور التخلف التى تنتاب الأمم المتدينة تجيء من تحول الدين إلى مراسيم وأشكال وإلى صور ومظاهر ، تجيء من تجاوز الناس للباب وتعلقهم بالقشور ، ولذلك فنحن نريد أن نعود إلى ديننا فى حقائقه ونفقه ما وراء الحوادث التى تساق . العيب فى دراسة التاريخ أننا أحيانا نطالع صفحات التاريخ لنقرأ أنباء الانتصارات والهزائم وأخبار المواليد والوفيات ، ولكن التاريخ شيء آخر وراء هذا الظاهر ، وهو أن تعرف ما المقدمات التى انتظمت حتى انتهت بالنصر أو بالهزيمة ؟ ، وما هى العوامل التى تجمعت فجعلت فترة من فترات التاريخ تزهر وتشمر ، وفترة أخرى تجذب وتقشعر ولا ترى فى جوانبها ما يشرح صدرا أو يسر عينا !! إننا نريد أن ندرس سيرة نبينا - صلى الله عليه وسلم - على هذا الأساس ، وأن نعرف أيضا كيف ندعوا إلى دينه . إن بعض الكتاب الأجانب كان أقرب منا إلى فهم نبينا - صلى الله عليه وسلم - ، برنارد شو ـ وهو أديب انكليزى - يقول : لو كان محمد موجودا لحل مشكلات العالم وهو يتناول فنجانا من قهوة !! هذا التعبير من الأديب الإنكليزى أقرب إلى فهم محمد الإنسان الملهى الذى يحلل

القضايا المعقدة إلى بساطتها الأولى ، ثم يستطيع عن طريق هذا الفهم الواعي الناضج لكل شيء أن يأخذ بنوافذه الناس إلى الكمال ، وبأعناق المجتمعات إلى النجاح والصعود !! ولذلك فنحن نحب أن نعرف كيف دعا نبينا - صلى الله عليه وسلم - إلى دينه من خلال السيرة ، فإن مسلك الإنسان أدل شيء على سياسته ، إن حياة امرئ ما على نحو معين دليل على الأسلوب الذي اختاره في حياته . ولذلك فنحن نتابع سفره وإقامته ، وصحته ومرضه ، نتابع حربه وسلمه ، صداقته وخصومته ، نومه ويقظته ، استجمامه وعمله . نتابع حياة هذا الإنسان العالى الراكمى كى نعرف من خلال النظر فيها كيف نجح فى تكوين أمة من الصفر !! كيف استطاع أن يجىء بكل ما آتاه الله من مواهب ، وأفاء عليه من أفضال مادية وأدبية ليقود هذه الأمة ويدفع بها إلى الأمام لتكون الأمة الأولى فى العالم !! أتعجبنى من بعض العلماء أنه قال : إن نبينا عليه الصلاة والسلام أمر أن يقتدى بالأنبياء قبله: "أولئك الذين هدى الله بهداهم اقتده". وقالوا : إن تقليد نبى واحد قد يفيد أنه مفضول ، لأن المقلد أقل درجة من المقلد ، لكنه أمر أن يقتدى بمجموعة الأنبياء بعد أن ذكر الله أسماء ثماني عشر نبى .. إذن فهو مكلف أن يجمع فى سيرته ما تفرق من ألوان الكمال الإنسانى فى سير أولئك الذين ذكر أسماؤهم وأنسابهم . نعم ، ما تفرق من الكمالات البشرية فى الأنبياء السابقين جمع فى

خلق نبينا عليه الصلاة والسلام وفي سيرته .. لكن مع تفاوت فى التطبيق ، كيف ؟ فى تطبيق إبراهيم لأمر الله له أن يدعوا إلى التوحيد وأن يحارب الوثنية وجد أن الناس لم يحسنوا الاستماع إليه ، ولا تتبع الأدلة على النحو الذى شرحته سورة الأنعام عندما تدرج بهم فى فهم الألوهية من كوكب إلى قمر إلى شمس لم يجد معهم هذا الأسلوب فذهب إلى الأصنام وهدمها وعلق الفأس فى رقبة الصنم الكبير وسخر منهم عندما جاءوا فوجدوا أصنامهم حذاذات مقطعة : "قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكراهم يقال له إبراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون " . أفلح إبراهيم فى هدم الأصنام ، وأفلح فى لفت نظرهم إلى أنها لا تملك أن تدفع عن نفسها ، لكن ما حدود هذا الفلاح ؟ "فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون" لكن هل تمت هذه

الرجعة وامتدت ؟ لا .. كان الضمير ميتا ، أدركته صحوة عابرة ثم عاد إليه موته ، كان الذهن خامدا تألق فيه شعاع ثم خفت الشعاع وعاد الظلمة : "فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أفالكم ولما تعبدون من دون الله أفالا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلها لكم إن كنتم فاعلين" . انتهى الأمر برمي إبراهيم في النار !! إذن الطريقة لم تنتج ، لماذا ؟ لأن العلاج كان في حدود هذا العصر العلاج الممكن .

لقد أخذ التطبيق فى سيرة نبينا - صلى الله عليه وسلم - جانبا آخر ، فنبينا - صلى الله عليه وسلم - لم يحاول أن يكسر الصنم بيده وإنما ربى الأمة التى تستطيع أن تعقل ، وأن تفقه ، وأن تستيقظ ، وأن تدرك الحق ، وأن تتعصب له ، وأن تكره الباطل ، وألا تطبق بقاءه ، وأن تجيء يوما هى هى التى كانت تعبد الأصنام لتكسر بيدها الأصنام !! ف : خالد بن الوليد الذى كان يعبد الأصنام فى مكة والذى ظل يحارب تحت راية الشرك حتى أسلم هو الذى أخذ - بنفسه - سيخا من حديد يهدم به صنم العزى ويقول : يا عزى كفرانك لا سبحانك إنى رأيت الله قد أهانك ما الذى صنع خالدا ؟ منهج الدعوة كما رسمه محمد - صلى الله عليه وسلم - !! إن هذا المنهج قام على أساس أن محاربة الشرك لا تكون بتحطيم مظاهره فى المجتمع ، فإن المجتمع الضال سوف يجيء بمظاهر أخرى . ومن خيبة المسلمين فى الهند أنهم كانوا يذبحون الأبقار التى يعبدوها الهند !! لم يجد هذا فى نشر الدعوة الإسلامية هناك ، بل توقف سير الدعوة ، لأن سير الدعوة أن تجيء بعابد العجل لتغيره عقليا ونفسيا ، وهذا يحتاج إلى أمد طويل . إن الأساس ليس أن يطول الطريق ، لكن هل يؤدى أو لا ؟ فإن كان مؤديا فمن سار على الدرب وصل !! ومن خمس وعشرين سنة - تقريرا - قلت هذا الكلام فى كتابى : ` فقه السيرة ` الذى ألفته فى المدينة المنورة - قلت : ` إن الوثنية هوان يأتى من داخل النفس لا من خارج الحياة ، فكما يفرض المحزون كآبته على ما حوله ، وكما يتخيل المرعوب الأجسام القائمة

أشباحا جاثمة ، كذلك يفرض المرء الممسوخ صغار نفسه وغباء عقله على البيئة التي يحيا فيها ، فيؤله من جمادها وحيوانها ما يشاء . ويوم ينفتح القلب الضيق ويشرق الفكر الخامد ، وتنوب إلى الإنسان معانيه الرفيعة فإن هذه الانعكاسات الوثنية تنزاح من تلقاء نفسها .

ومن ثم كان العمل الأول للدين داخل الإنسان نفسه ، فلو ذبحت العجلة المقدسة ، ونكس الأصنام المرمومة ، وبقيت النفس على ظلامها القديم ، ما أجدى ذلك شيئا في حرب الوثنية .. سيبحث العباد المفجوعون عن آلهة أخرى غير ما فقدوا يوفضون إليها من جديد .. وما أكثر الوثنين في الدنيا وإن لم يلتفوا حول نصب ، وما أسرع الناس إلى تجاهل الوجود الحق وريه الأعلى والجري وراء وهم بعيد .. !! هذا حق ، ربما تقدمت الإنسانية . الآن ورفضت أن تعبد صنما محفورا من حجر أو منحوتا من خشب ، ولكن هناك أصناما أخرى .

بقيت . تعبد الآن !! فحب الرئاسة صنم يعبد من يعبد ، ويقدم له قرابين من الجماهير الجائعة الخائفة !! وحب المال صنم يقدم له صاحبه الفضائل والشرف والفتاوي الخاطئة والأحكام الكذب !! أشياء كثيرة جدا أصبحت أصناما جديدة يعبدوها الناس في عصرنا !! وما كان هذا يوجد لو أنك بدأت . فعلا . فملأت النفس الإنسانية بعقيدة التوحيد كما شرحها القرآن الكريم وكما بينها النبي عليه الصلاة والسلام . إن نبينا - صلى الله عليه وسلم - أول ما بعث أخذ يوضح للناس معنى التوحيد الكامل ، جمع قومه وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله ، والله الذي لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ن وإنها الجنة أبدا والنار أبدا . أبى أن يتمسك الناس بشركاء أو شفعاء أو وسطاء وقال : يا معاشر قريش : اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد سلينى ما شئت من مالى لا أغني عنك من الله شيئا . وعن العلاقة بينه وبين الناس نقرأ أنه لما اشتد عليه المرض ذهب إلى المسجد في صحوة من صحوات المرض ، لقد انهزمت العافية في بدنه الجلد أما سطوة المرض العاتى ، إلا أنه أخذ يحدثهم ويربيهم . على عهدهم به دائما . وأنصتوا ، فإذا هم يسمعون منه عجبا ، إنه لما أحس بدنو أجله أحب أن يلقى الله وليس هناك بشر يطلبه

بتبعه ، إنه تحرى العدالة فى شئونه كلها ، لكن من يدرى ؟ ربما عرض له سهوا مما يعرض  
لبني آدم أو خطأ فجار ، وهو الذى يبرا من الجور وذويه ، إذن ليخطب الناس فى هذا حتى  
يسطريح ضميره ، قال : ` أما بعد أيها الناس : إنه قد دنا منى خلوف من بين أظهركم ،

ولن ترونى فى هذا المقام فيكم ، وقد كنت أرى أن هذا غير مغن عنى حتى أقوم فيكم مرارا ، ألا فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منه ، ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى ليستقد منه ، ولا يقولن قائل : أخاف الشحناه من قبل رسول الله ، ألا وإن الشحناه ليست من شأنى ولا من خلقى ، وإن أحبكم إلى من أخذ منى حقا إن كان له على ، أو حللنى فلقيت الله عز وجل وليس لأحد عندي مظلمة . هذه سيرة فى عرض الدعوة ، وفي رسم وظيفة ولى الأمر ، وفي بيان كيف يعيش الحاكم بين الناس وكيف يعاملهم ، وكيف يحنو عليهم . هذا شيء ينبغي أن يعرف فى سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام . لقد كان فى شخصه ، وفي مسلكه ، وفي سيرته حقل التجارب - بتعبير العصر الحديث - الذى دارت فيه تعاليم الإسلام ، كى تقاد الأمة عن طريقه إلى الكمال الفردى والاجتماعى . وهذا هو السر فى أن القرآن كان يحدث النبى عليه الصلاة والسلام بأحاديث - هى فى حقيقتها وفى ظاهرها - ليست موجهة إليه ، إنها موجهة إلى الأمة فى شخصه كى تتعلم منه . لقد كان عليه الصلاة والسلام فى دعوته حسن النظر لطبائع الناس ، وهذا - كما قال ابن القيم - السر فى اختلاف إجاباته على سؤال واحد . ربما جاءه رجل وقال له : أى الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة على

وقتها ، قال : ثم أى ؟ قال : بر الوالدين ، قال : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . وجاءه رجل فسأله عن البر والإثم ، فقال : البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس . وجاءه رجل فقال : يا رسول الله قل لى فى الإسلام قوله أى أسأل عنه أحدا غيرك ، قال : قل : آمنت بالله ثم استقم . وجاءه رجل آخر فقال : يا رسول الله أى المسلمين خير ؟ قال : من سلم المسلمين من لسانه ويده . وجاءه رجل آخر فقال : أوصنى ، قال : لا تغضب ، فردد مرارا ، قال : لا تغضب . وجاءه رجل آخر فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أبوك . وجاءه رجل آخر فقال : أى الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله

رسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور . سبب هذه الإجابات الكثيرة - كما شرح علم النفس الإسلامي - أن النفس الإنسانية تختلف فى هذا الشخص عن ذاك ، والأوضاع - أيضا - تختلف فى هذا الشخص عن ذاك ، ولذلك قال العلماء : إن ما يكون عبادة من شخص قد لا تقبل من شخص آخر !! ما معنى هذا ؟ سأضرب لكم أمثلة توضح هذا المعنى .. 1- أنا رجل تعلمت كيف أدعوا ، وكيف أعرض الإسلام ، وكيف أفتى فى جانب من قضاياه وشرائعه ، فلو أغلقت فمى وصمت الدهر لكنت عاصيا !! ما قيمة صيامي ؟ إننى علمت أن أبين للناس معالم الدين ، فريضتى فى الصيام شهر رمضان ، نافلتى التى تتشبث بى حياتى وتحولت إلى فريضة بعد ذلك هى الدعوة والتعليم ، ولو أنى اعتكفت أو اعتزلت فإنى أخون بذلك دينى !! 2- رجل أغناه الله وكثير له المال ، فوضعه فى خزائنه ووقف فى المسجد يصلى آناء الليل وأطراف النهار ، لا تقبل منه الصلوات !! لماذا ؟ لأن عبادة مثل هذا الرجل - وقد وسع الله عليه فى المال - أن يدرس المجتمع ، وأن يتحسس الشغرات الكثيرة فيه ، ويعمل على سد كل ثغرة تبييت له من المال الذى آتاه الله إياه . وهكذا ، فإذا جاء رجل حج مرة ومرتين وثلاث وأراد أن يحج مرة أخرى قلنا له : لا .. ابحث عن فقراء المسلمين فى المدارس والمعاهد

والجامعات أو فى أى مكان وأعطتهم هذا المال الذى تريد أن تحج به فإن بذله . هنا . فريضة ، وبذله فى الحج نافلة بعد أن أديت الفريضة !! هذا ما ينبغي أن يعلمه الدعاة ، ينبغي أن يتعرفوا الأمور بدقة ، وأن يدرسوا طبائع النفوس وطبائع الأوضاع . الدعوة ليست كلاما يحفظ ويقال هنا وهنا بغياء ، لا .. لابد أن تعرف ما هنالك . أنا رجل أكره . جدا . أن أتعلق بضريح وأقول له : افعل لى كذا وكذا ، هذا كلام فارغ ، الفاعل هو الله !! لكننى غضبت . جدا . أن أحد الأشخاص ذهب إلى ` واشنطن ` يدعوا إلى الله فأخذ يحارب الأضرة !! هنا ناس ماديون يعبدون المال ، ويسيرون وراء الشهوات ، ولديهم ما يشغلهم عن الله والدار الآخرة ، هؤلاء نريد ربطهم وضبطهم على نحو آخر .. لكن هذا الشخص حفظ أشياء ويريد أن يقولها لأنه لا يعرف غيرها !! هذا داعية مقصرا . هذا داعية لا يدرى ما أمامه ، لأنه لا وجود هناك للأضرة ، هناك كفر ينبغي أن يحارب . الدعوة تحتاج إلى أن نعرف كيف كان نبينا عليه الصلاة والسلام يتصرف . عندما جاء أحد المفاوضين فى عمرة الحديبية نظر إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم . فعرف أنه رجل متدين ، فقال لأصحابه : ` إن هذا من قوم يتأنهون ، فابعثوا لهى فى وجهه حتى يراه !! `

لماذا هذا التصرف ؟ حتى إذا جاء الرجل وجد أمامه الذبائح التي ستقدم لرواد أو سكان الحرم فلا ينطق !! وفعلاً حدث هذا ، فخبرة الرسول عليه الصلاة والسلام بالنفوس جعلت الرجل يقتنع ، فلما رأى الهدى يسأله عليه من عرض الوادي ، عاد إلى قريش فقال لهم ذلك ، فقالوا له : اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك ، فاستنشط الرجل غضباً وصاح : يا معاشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ، أيصدا عن بيته من جاءه معظمها ؟ والذى نفسي بيده لتخلى بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرين بالأحبابيش نفرة رجل واحد !! فقالوا له : مه ، كف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما ترضى به !! لقد كان نبيينا عليه الصلاة والسلام خبيراً بالنفوس ، ودعوته كانت على هذا النحو . فهناك أشياء يحتاج إليها الدعاء ، وأنا - هنا - أنبئ إلى بعضها . أولاً : محبة الناس : أضرب مثلاً لمحبة الناس مع سوء السلوك من الطرف الآخر حتى نعرف ما هو الحب المطلوب .. في غزوة أحد أصيّب النبي عليه الصلاة والسلام إصابة بالغة ، ومع ذلك فإنه قال : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون !! إنه إنسان كبير القلب ، والعدوان لا يجعله يخرج عن طبيعته : لقد كان إذا انصرف عنه إنسان حزن لأنه يرى إنساناً أظلم منه ، وأن أينا أو أخاً في الإنسانية فشل في حياته ، وابتعد عن طريق الخير . قد يلمح في بعض الدعاء نوع من القسوة ، لماذا ؟

لقد كان النبي عليه الصلاة والسلام بالغ الرقة ، وفي الوقت نفسه كان بالغ الصرامة لقد رق قلبه حتى سأله عن عصفور لطفل صغير ، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : ` إن كان النبي - صلى الله عليه وسلم - ليخاطبنا حتى يقول لأخ لى صغير ، يا أبا عمير ما فعل النغير الرقة التي تبلغ هذا الحد يصحبها أن يقول : ` وأيم الله لو أن فاطمة ابنة محمد سرقت لقطعت يدها ` فالداعية ينبغي أن يكون رحيمًا في مواضع الرحمة ، شديدا في مواضع الشدة . إن الدعوة إلى الله تحتاج - أشد الاحتياج - إلى التلطف ، ماذا علينا لو أخذنا نوسع دائرة الذين يعملون للإسلام ، ويعطفون على قيمه وتراثه وتاريخه ؟ ! وماذا علينا لو قلنا - ببساطة - الحق دون أن يخرجنا الحماس عن وعيانا ولا أن يوقعنا في مصايد ينصبها لنا خصومنا ؟ ! قد يكون هناك ما يثير ، وأنا - فعلا - تستثير في أشياء كثيرة ، ولكنني أكتفي في التعليق عليها بقول الحق ! هناك حاكم في الشمال الإفريقي قال : إن المرأة ستأخذ نصيبها في الميراث مثل الرجل ، وما كنا نسمعه عن

الثمن والربع والخمس والثلث وغير ذلك فلن يحدث ذلك لأن المرأة على عهد نزول القرآن كانت جاهلة ، أما الآن فهي متعلمة !! هذا حاكم جهول ، لا يحسن شيئاً إلا هذه الجراءة على ديننا . ما واجبي - أنا - كداعية ؟ واجبي أن أذكر للناس أن الرجل جاهم ودعى ، وأن كلامه - هذا - إنما هو لخدمة القوى المناوئة للإسلام . واجبي أن أوسع دائرة العارفين بالإسلام المحبين لقيام حكمه ، حتى يكونوا الرأي العام . وهذا ما فعله نبينا عليه الصلاة والسلام ، ونحن عندما ندرس سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام ينبغي أن ندرسها فقهاً لسيرته ، وليس ترديداً لبعض الحوادث التي تلمع في حياته . ينبغي أن ندرس السيرة لنعرف كيف كان يلقي الوفود ، كيف كان يعرض على الناس . لقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام سوى البدن ، سوى المشاعر ، سوى الفكر ، سوى العاطفة ، ولذلك عرض الدين على الناس صحة عقلية ونفسية ، وبينما يوجد في أديان أخرى من يعرض الدين على الناس كبتاً لا أصل له ، أو عقداً غير مقبولة . كان النبي عليه الصلاة والسلام في فيضانه الروحي على الناس يملأ قلوبهم بالإيمان حتى لكانوا يرون عرش الرحمن بارزاً ، وكان في نصارة جسده بين الناس يسير بينهم فيترك في جو الشارع الذي مشى فيه أثراً من مسك !! ما أجرنا أن نتأسى بنبينا - صلى الله عليه وسلم - وأن نتعلم منه كيف ندعوه اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين . أقول قولى هذا وأستغفر الله لي ولكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته